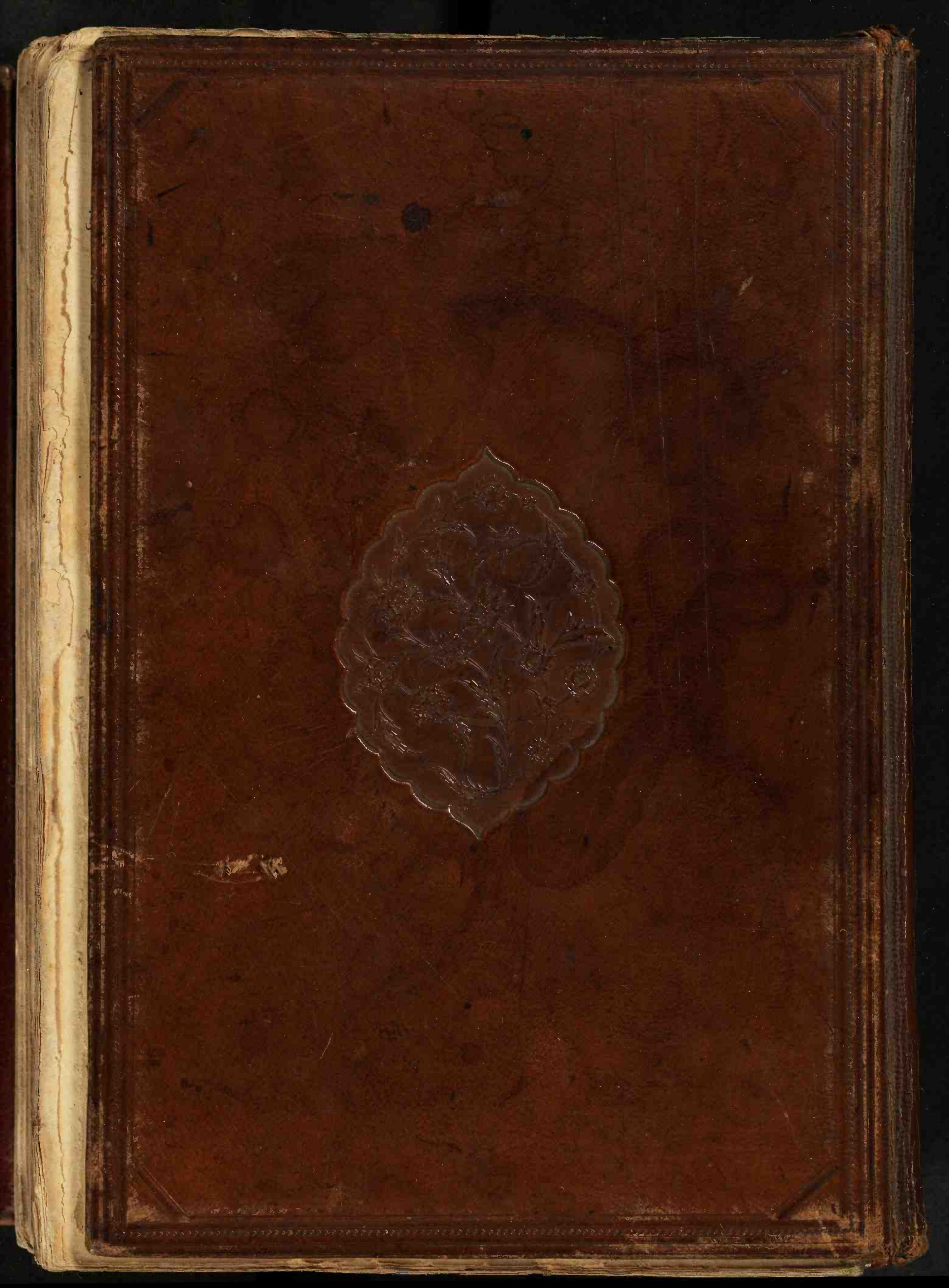
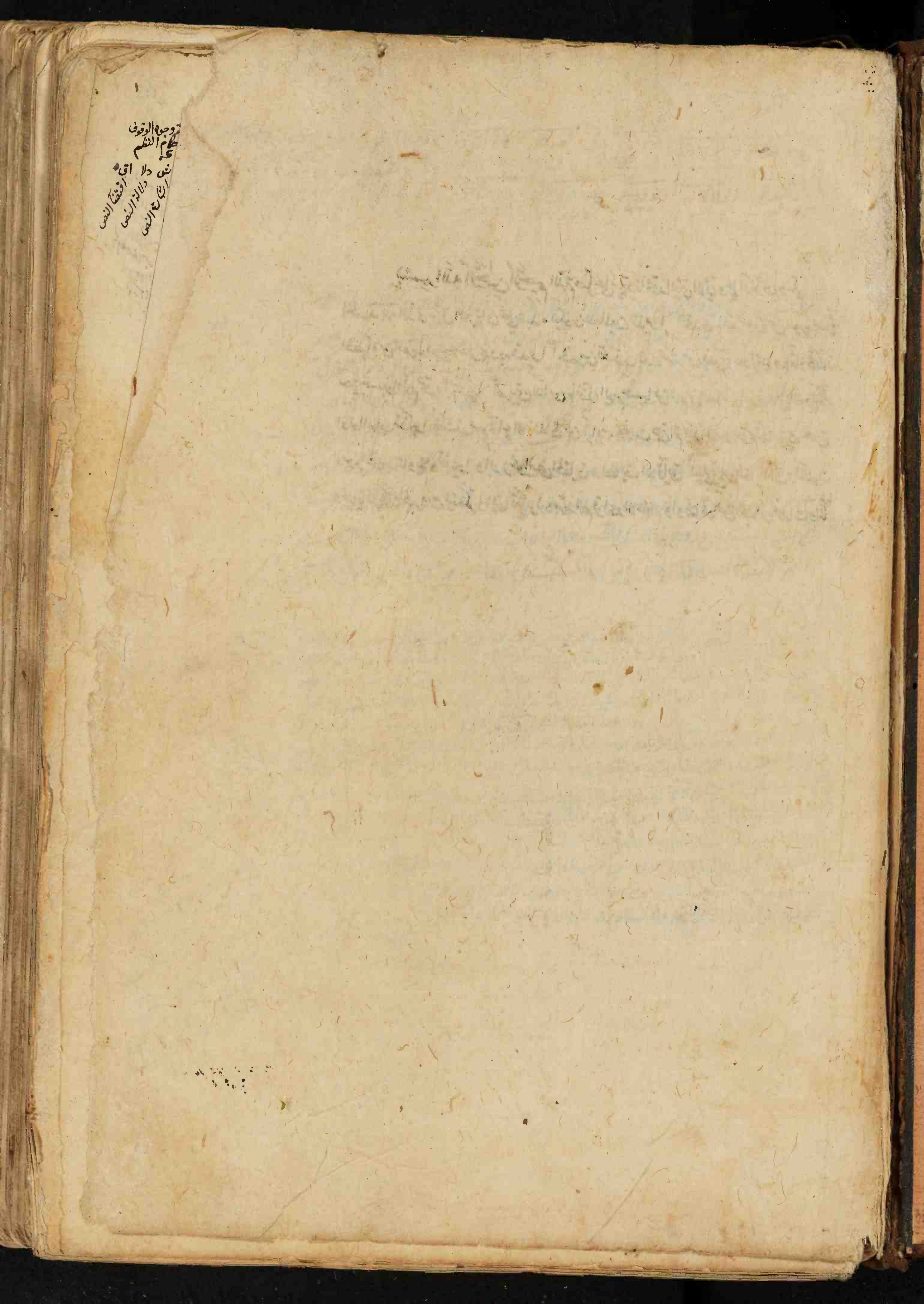


ولو تيمم الجنب لدخول المسجد او لقراءة القرآن لا يجوز له ان يصلي بذلك التيمم ولو تيمم لصلوة الجنازة
او لسجدة التلاوة اجزاه ان يصلي به المكتوبة لان في الوجه الاول التيمم لم يقع للصلوة ولا لجزء
من الصلوة وفي الوجه الثاني وقع للصلوة ولجزء من الصلوة ملتقط الفتاوى



وجوه الوقوف
نظم النظم
شي دلا اق
اقتضاء النص
دلالة النص
اشارة النص


محمد بن تركي التركي

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا افحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان
حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن
رموز الخطاب تاويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقايق ولطايف الدقايق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت
وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها

١

عدد آيات القرآن في المدني الاول	وفي المدني الاخير	وفي المكي	وفي الكوفي
٦٠٠٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٣٦

وفي البصري	وفي الشامي	وفي رواية	عدد كلمات القرآن	عدد الحروف
٦٢١٤	٦٢٢٦	٦٢٢٥	٧٧٦٣٩	٣٢٣٠١٥

وجوه النظم وجوه البيان وجوه استعمال النظم معرفة وجوه الوقف على نظم النظم

الجنات جمع وهي ثمان قال ابن عباس رضه هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنّة عدن وهي قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان كلها وباب جنة عدن مصراعان من زمرد وياقوت بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب وجنة المأوى وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة نعيم قال ودار الجلال كلها من النور مدائنها وقصورها وبيوتها وشرفها وابوابها ودرجها وغرفها واعاليها واسافلها وخيامها واوانيها وحليها وكل ما فيها ودار السلام كلها من اليواقيت الاحمر كلها وجنة ودار القرار كلها من المرجان وجنة عدن من الزبرجد كلها وجنة المأوى من الذهب الاحمر كلها وجنة الخلد من الفضة كلها وجنة نعيم من الزمرد كلها وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لبنة ذهب ولبنة فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وملاطها المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وارضها الفضة وحصباها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر نقل من تفسير

ترجمة المؤلف هو الامام القاضي ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي من قرية يقال لها البيضاء من عمل شيراز قال الاسنوي في طبقات الشافعية كان عالما بعلوم كثيرة صالحا خيرا صنف التصانيف المشهورة في انواع العلوم منها مختصر الكشاف ومختصر الوسيط في الفقه المسمى بالغاية والمنهاج في اصول الفقه وتولى قضاء القضاة باقليمه وتوفي سنة احدى وتسعين وستمائة وقال القاضي التاج السبكي في الطبقات الكبرى كان اماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا صنف الطوالع والمصباح في اصول الدين وشرح المصابيح في الحديث وولي قضاء القضاة لشيراز ودخل تبريز وناظر بها وصادف دخوله اليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس في اخريات القوم بحيث لم يعلم به احد فذكر المدرس نكتة زعم ان احدا من الحاضرين لا يقدر على جوابها وطلب من القوم حلها والجواب عنها فان لم يقدروا فالحل فقط فان لم يقدروا فاعادتها فلما انتهى من ذكرها شرع البيضاوي في الجواب فقال له لا اسمع حتى اعلم انك فهمتها فخيره بين اعادتها بلفظها او معناها فبهت المدرس وقال اعدها فاعادها ثم حلها وبين ان في تركيبها خللا ثم اجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها ودعى المدرس الى حلها فتعذر عليه ذلك فاقامه الوزير من مجلسه وادناه الى جانبه وسأله من انت فاخبره انه البيضاوي وانه جاء في طلب القضاء لشيراز فاكرمه وخلع عليه في يومه ورده وقد قضى حاجته وقال الصلاح الصفدي في تاريخه قال لي الحافظ نجم الدين سعيد الذهلي توفي القاضي ناصر الدين البيضاوي سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز ودفن بها وهو صاحب التصانيف المشهورة البديعة منها المنهاج في الاصول وشرحه ايضا وشرح مختصر ابن الحاجب في الاصول وشرح الكافية في النحو لابن الحاجب وشرح المنتخب في الاصول للامام فخر الدين الرازي وشرح المطالع في المنطق تم من حاشية السيوطي على القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى

الاستعارة التحقيقية هي ان يطلق اسم المشبه به على المشبه بواسطة القرينة نحو رايت اسدا في الحمام وهي قسم من المجاز وشرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يصح ان يراد المستعار منه لولا القرينة والاستعارة المكنية هي تشبيه المضمر في النفس بالاشياء الخارجية كتشبيه المنية بالسبع في قولنا انشبت المنية اظفارها والاستعارة التخييلية اثبات لازم المشبه به للمشبه كالاظفار اللازمة للسبع واثباتها للمنية استعارة تخييلية فافهم

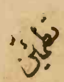
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان و
بلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم
الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف
الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد
لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا
فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ
نبراسه يعش ذميما ويصل سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه
صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم
واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها
شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها
لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في
هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف
الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين
وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام
حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه
بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل

خير المعطي لكل سؤال سورة فاتحة الكتاب وهي سبع آيات وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكأنها اصله
ومنشاؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي
هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز
والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها
والصلوة لوجوب قرآتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي
شفاء كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون
انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت
الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي
ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله تع لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام
قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول
الله عليه السلام الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها
اختلف في انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب امين والباء متعلقة
بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل
التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي
لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك
نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه
تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد
شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه

مقول

لبسم الله فهو ابتدا وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا وما بعده على السنة
العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على
المظهر للفصل بينها وبين لام الابتدا كيدا والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها
لكثرة الاستعمال فبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل لان
من دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء واسامي
وسمي وسميت ومجي سمي كهدي لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا
والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند
الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة
لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل
سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان
اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد
به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايض يجب تنزيه الفاظه الموضوعة لها عن
الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما
وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده
الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم
يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب
الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله
اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه
مختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه
من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير
اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب



Marginal note (right): الابتداء

تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره
اذا اجاره اذ العايذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع
بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل
اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه
ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء
وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر ٭ كحلفة من ابي رياح ٭ يسمعها لاهه
الكبار ٭ وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم
يجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله
لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في
اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق
اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة
اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا
يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما افاد ظاهر قوله
تع وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق كون احد
اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه
وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن
تفسد به الصلوة ولا تنعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر ٭ الا لا بارك الله
في سهيل ٭ اذا ما الله بارك في الرجال ٭ والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من
رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تع انما
يؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي يكون انفعالات والرحمن

ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا
لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يختص بالمؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة
وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم
من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او ينزح به رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك
لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد
غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون
كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان خطر
اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص
التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو
المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه
بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره
الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل
مطلقا يقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا يقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر في مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع
للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس
الشكر والعمدة فيه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم
نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ

به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من
المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الا
شارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما
من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال تع وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار
بانه تع حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع
الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين
الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقوله نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ
ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لا
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع من حيث
على نظاير لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل
عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من
الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما
وقال تع وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او
بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة
عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تع لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ
الباقون ملك يوم الدين وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تع لمن الملك اليوم ولما
فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو
المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل
ومالكا بالنصب على المدح والحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف

ع

مكانها

وملك مضاف بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول
به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة
ونادى اصحاب الجنة اوله الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية
معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص
اليوم بالاضافة اما للتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله
تع من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا
لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على
ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما
بعده وهو اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة
فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه تع لما ذكر الحقيق
بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين
خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص
والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود بني اول الكلام على ما هو
مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال
بصنايعه على عظم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول
ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى
العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول عن
اسلوب الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تع حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا

فسقناه وقوله امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود واياه ضمير منصوب
منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب
والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر
النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح
الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي
مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله
تع والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل
دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها
يوصف الرجل بالاستطاعة ويكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل
كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف
عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن
في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة اوله ولساير الموحدين
ادرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب
اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به وللدلالة على الحصر ولذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك فلا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في
الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا بالذات ومنه الى
العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب
عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة ومنتسبة
اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه

شاذ بيان

نسخه ام

حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة
على الاستعانة ليوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى
الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة
منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي
لغة بني تميم فانهم يكسرون حرف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط
المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود
الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك لم يستعمل الا في الخير وقوله تع فاهدوهم الى
صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله
ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع
انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب
الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين اي طريق الخير والشر وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه
فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي
ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ويتفاوتان
بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسترط السابلة
ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق

المضارعة

وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل منه وقرا ابن كثير برواية قنبل ورويس
عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام
وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق
الحق وقيل ملة الاسلام ٭ صراط الذين انعمت عليهم ٭ بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير
العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو
المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين
الذي لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبيا
وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام
ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي
اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه
بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها
بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول
الجاه والمال والثاني ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين
ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا
ذلك يشترك فيه المومن والكافر ٭ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ٭ بدل من الذين على معنى ان
المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا
بين النعمة المطلقة وهي الايمان وبين نعمة السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح با
حد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني
وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله
ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه
على الحال عن الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم

بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تع اريد به المنتهى والغا
على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في
غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال
العدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه
كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تع منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تع قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته
والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل
بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تع في القاتل عمدا وغضب عليه والمخل بالعلم جاهل ضال
لقوله تع فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء
مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس
من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبرائيل امين عند فراغي
من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين
خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي
عن وائل بن حجر انه عليه السلام كان اذا قرئ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن
مغفل وانس والماموم يؤمن معه لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا
آمين فان الملائكة يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة
لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب

انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة ابن اليمان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تع فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية واياتها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى
بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به
من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى
ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه
فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها ليكون تأديتها بالمسمى اول ما تقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب
لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل
ص وق مجموعا فيها بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت
عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بها
بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند
غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف يختص
بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد ومستغرب خارق للعادة
كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه
اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها
في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة

وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين
والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت
طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حس على نضر ومن المطبقة التي هي
الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف
يضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية
وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد
والظاء نصفها الاكثر ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احدى عشرة على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها السنة الشائعة المشهورة التي يجمعها انطمين وقد زاد بعضهم
سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في حدف والعين في اعن
والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام
والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المتقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد
والطاء والياء والميم والخاء والغين والضاد والظاء والشين والواو والزاو ونصفها الاقل ومما يدغم
فيهما وهي الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في
الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا يدغم فيما يقاربها وتدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء
والشين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب
منفل والحلقية التي هي الخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما و
لما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوايد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف
منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدي به مركب من كلماتهم
التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور
لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحروف بلا حذف كبل
وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير الحذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعه في كل واحد من الاقسام
الثلثة على ثلثة اوجه فمن الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف من وان

ومذ على لغة من جرىها وثلث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام الثلثة فى ثلثة عشر سورة تنبيها على ان اصول
الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على
ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد
باجمعها فى اول القران لهذه الفايدة مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة
فيه والمعنى ان هذا المتحدي به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسما
السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من
الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب
بها كالخطاب بالمهمل والتكلم مع الزنجى بالعربى ولم يكن القران العظيم باسره بيانا وهدى ولما كان
التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها او غير ذلك
والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له فى لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك او
غيره وهو باطل لان القران العظيم نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما
ليس فى لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر
كما قال قطرب او اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر فى قوله قلت لها قفى
فقالت قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف الاء الله واللام لطف الله والميم ملكه
وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى ساير الفواتح
وعنه ان الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد اى القران العظيم منزل من الله تعالى بلسان
جبرائيل على محمد او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه عم
لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة
فتبسم رسول الله عم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا اختلطت علينا فلا ندري
بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا التركيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكات
والسجيل والقسطاس او تكون دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها
بسايط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس

في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ
لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع عما قبله والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها
فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار في كلمة معينة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي
الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا يرى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص
بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه عم تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى
اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريق
بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وطايفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو المجموع السور والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو
مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب للتحقيق اوفق
للطايف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود
بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران
وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كان يقول يا كهيعص يا حم عسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف
اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون
اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تع وقيل انه سر استاثر الله بعلمه وقد روي
عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين
الله تع ورسوله عم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد ولا يفهم
فان جعلتها اسماء الله تعالى والقرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما
الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير الفعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او
غيره كما ذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة

اومو ا

او موازنه لمفرد كحضرموت فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله تعالى وان بقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز
الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها تكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا
على اللغتين في الله لافعلن فيكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او
اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة
ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحم
عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب**
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما
تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره
متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو او الى الكتاب فيكون
الكتاب صفته والمراد به الكتاب الموعود بانزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
ونحوه او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
لاريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل فيه بعد النظر الصحيح
في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في
معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لاريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع
ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى**
للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة

منزلة

الموصولة الي البغية لانه جعل مقابل الضلالة لقوله تعالي لعلي هدي او في ضلال مبين ولانه
لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الي المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون
بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وبهذا الاعتبار قال الله تعالى هدي
للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم يكن الصحة حاصلة واليه اشار
بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح
ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدي لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه بانه الكتاب المنعوت
لغاته الكمال والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم
لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولي التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف في الشرع وهو المعني بقوله تع ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوي الحقيقي المطلوب بقوله تعالي
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية الكريمة تحتمل اوجها
من الاعراب ان يكون الم مبتداء على انه اسم للقران العظيم او السورة او مقدرة بالمؤلف منها وذلك خبره
وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد بالمؤلف الكامل في تاليفه
البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتداء محذوف
وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته والريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل
على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء
مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم تقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص
نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد به ثمة او صفة وللمتقين خبره وهدي نصب على الحال او
الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب فيه على ان فيه خبر هدي قدم عليه لتنكيره والتقدير
لا ريب فيه فيه هدي للمتقين وان يكون ذلك مبتداء والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذى
يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة الخبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة

لقرر

تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدي به
هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي
بانه الكتاب المنعوت بغايت الكمال ثم تسجل على كماله بنفي الريب فيه لانه لا كمال اعلى مما للحق
واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع كل واحدة منها
ما يليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث
انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال
واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان
كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف و
الرمز الي المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف
حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا
للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا
او تفخيما لشانه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له
ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او
موضحة ان فسر التقوي بما يعم فعل الحسنات وترك السيات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال وا
ساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الي قوله تعـ
عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة
بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير
ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة
عن التصديق مأخوذ من الامن كانه آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه
معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد
صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين

ثم لاريب فيه ثالثة تشهد على كماله وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله

والعبارة الظاهرة ان يقال الذين يفعلون الحسنات باسرها ويتركون السيئات باجمعها ١٢

ان الصلوة تنهي

محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة
والذي يدل على انه للتصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان
وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين
للارادة في الاية اذ المعدي بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو
كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعا
ند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به والغيب مصدر وصف به
للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي
الكلية غيبا او فعيل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفا
واليوم الآخر واحواله وهو المراد في الاية وهذا اذا جعلته صلة الايمان واوقعته موقع المفعول به وان
جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المؤمنين به لما روي
ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرء هذه الاية وقيل المراد با
الغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والباء على الاول
للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها
من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت وا
قمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ
عليها كان كالنافق الذي يرغب فيه اذا ضيعت كان كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من
غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها

عبّر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحق اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظا
هرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذينهم
عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها
لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلا لان المصلي يفعله في الركوع والسجود واشتهار هذا
اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له
في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما
استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا
ترى انه اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حلالا وحراما واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم
واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام في حديث
وهو كونه في مقام المدح — اي الحرام
عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله
وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء
اي مشتركان في اصل المعنى واكثر الحروف وهو معنى الاشتقاق الاكبر كذا في كشاف
دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل
ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانها بما هو شقيقها وتقديم المفعول
وهي الصلوة
للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل
ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي اتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام
ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام

واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول الاخصين تحت
اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين
وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل
ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث والصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل
الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا
لامثالهم والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من
اللوح المحفوظ وينزل به فيلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن آخرها
وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة
الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب
كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض عين وبالاول دون الثاني
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب فساد
المعاش **وبالآخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان
هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا
او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل
الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك
والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تانيث الآخر
صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه
ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم**

اى

الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدي للمتقين
قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الايات والا فاستيناف لا محل
لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سايل قال ما للموصوفين بهذه الصفات
اختصوا بالهدي ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة
ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من
بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء
في على هدي تمثيل تمكنهم من الهدي واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به
في قولهم امتطى الجهل والغوي واقتعد غارب الهوي وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة
النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدي للتعظيم فكانه اريد به ضرب
لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد و
قعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة
واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم تلك الصفات تقتضي كل واحدة
من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين
ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهايم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن
[الصفة] ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
والمفلح بالحاء والجيم الفايز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحون للدلالة
على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد
من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم وقد تشبث به الوعيدية
في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح

ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأساً ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذاناً بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعاً بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة و تحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولاً من صمم على الكفر وغيرهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع و الليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفراً لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عليه السلام لا يجترئ عليها ظاهراً لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم

والفعل

والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث

المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم

آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا

عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى

الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حرف النداء عن

الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف

من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس

من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى

وقرئ اانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة

لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققين وبتوسيطها

والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون

جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان و

الجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر

عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤ

منون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف الممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام

لا يستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة

عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفايدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة

وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء

عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص

باعيانهم فهي من المعجزات **خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**

تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم

عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من

غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة و

وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان
والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ
فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات
المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها
وبين الابصار وسماها على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب
حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات باسرها مستندة
الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل
طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية ناعية عليهم
شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان
القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه
الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم
الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك
في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسنده اليه اسناد
الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل
ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم
وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية
لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا
وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوها وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى

وعلى

على سمعه وقلبه والوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من
خواص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع
لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين والاستقلال
كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا يجمع
او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا
على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم وا
لتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالة ابصارهم مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من
التكرير وغشاوة رفع على الابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف
على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال
الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما
لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة والفتح مرفوعا ومنصوبا وعشاوة بالعين الغير المعجمة
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناءً ومعنًى تقول اعذب عن
الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه ماء عذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا
ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما
وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا
قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاء
ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه
ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطات فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا او باطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين الذين
امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر

وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين المهملة والرفع من البغوي

وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل
على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال ونزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها
معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها
في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآ
منينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او
آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن
موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن مو
صولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار
المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله
وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم اختاروا الايمان من جا
نبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف فيما يقصدون فيه النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه والولد وان
الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم
وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيد
تهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد
على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر
عنه باللفظ وللراي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة **وما هم بمؤمنين** انكار ما
ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل الفاعل
دون صح
لكنه عكس تاكيدا او مبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم
في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل
ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن

مؤمنا

يتفصى صح

مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا
حجة عليهم **يخادعون الله والذين امنوا** الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما
هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارس اقباله
عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق
والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله
معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا
لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة
لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول
او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك
ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من
سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين
فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد **وما يخد
عون الا انفسهم** يخادعون قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة
اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث
حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخد
عون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى
يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم لنزع الخافض والنفس
ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه
وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها

او يشبه ذاتا ما يامره ويشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وما يشعرون** اي لا يحسّون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشِعَارُ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسُوءِ العقيدةِ والحسدِ والضغينةِ وحُبِّ المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل او مؤدّية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت ماوفة بالكفر وسُوءِ الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازديا د التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخوف حين شاهدوا بركة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذفِ الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نُصْرَةً على الاعداء وتبسُّطًا في البلاد **ولهم عذابٌ اليم** اى مؤلم يقال اَلِمَ كوجع فهو وجيع ووصف العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جدَّ جدُّه **بما كانوا يكذبون** قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم وهو قولهم آمنّا وقرا الباقون يُكَذِّبُونَ مِنْ كذّبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الذى هو للمبالغة او التكثير مثل بيّن الشيءُ وموّتت البهائم او من كذّب الوحشى اذا جرى شوطًا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردّد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كان يشبه الكذب في صورته سمي به **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون

تضعيفه ح

شطار دينهم ح

هند نعلم

من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بماقبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشي عن
الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار و نافع وكان من فسادهم فى الارض
هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك
يودي الى فساد ما فى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة
بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنهما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام
العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المومنين **قالوا انما نحن مصلحون**
جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس
الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخلة على ما بعده مثل
انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح
لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا **الا انهم هم
المفسدون ولكن لا يشعرون** رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفى
التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى
افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما
يتلقى بها القسم واختها اما التى هى من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما فى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون
واذا قيل لهم امنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض
عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله امنوا **كما امن
الناس** فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس
والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا
يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس
بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى ونحوه وقد جمعهما الشاعر فى قوله اذ الناس
ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن
سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق ومماثلا لايمانهم

واستدل به على قبول توبة الزنديق حيث امروا بالايمان وهم زنادقة فلو لم يقبل منهم لما امروا به
وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار
واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد
وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة
راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف
بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر
وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوا
لهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت
به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم
نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصد
يق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني
هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته
واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية به اذا سخرت
منه وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون
كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة
اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه
من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة

الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بانّ لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية
تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا
توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **انما
نحن مستهزؤن** تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت
واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ
به اي تسرع وتخف **الله يستهزئ بهم** يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة
اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ
بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في ا
الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه
سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف
ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في
مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا
فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله بهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل
عام مرة او مرتين **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة
ابن كثير ويُمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها
المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا
وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
تعالى اسنادا الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او اصله يمد لهم يعني يملي

ويمد في اعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذف اللام وعدي الفعل بنفسه كما في
قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه
قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل
عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلا
لة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين
تصور بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض
عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني والاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا ا
لواضحات الدرد دردا وبالطويل العمر عمرا جيذرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للر
غبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها
محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز
ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس
المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها
من قولهم اشف بعض ولده على بعض اذا فضله عليه
اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس
المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقد
وا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل
الكمال فبقوا خاسرين ايسين من الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم
عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل
محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الا
صل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب
الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل

لاربابها

الجنـ

مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان
كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما فى قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع
الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القايم موضع القايمين لانه غير مقصود بالوصف
بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه
فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل
ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل
ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد او
الاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار
من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما اضاءت ما حوله** اي النار ما حول
المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما حوله اشياء
واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف
وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب لما والضمير
للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او
استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت
ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الى الله
تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة
ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب
السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي
هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوءهم احتمل ذهابه بما في الضوء من
الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد
بقوله **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية

وعلى الاول يكون عدمية ... النور فهي على هذا وجودية وعند بعض المتكلمين عرض ينافي النور وهو الصحيح المطابق للغة وقول الجمهور وقيل عدم النور عما هو من شانه

وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لايتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح و
خلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات
وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ماظلمك ان تفعل كذا
اي مامنعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة
يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اوظلمة الضلال وظلمة سخط
الله وظلمة العقاب السرمد اوظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا وبايمانهم اوظلمة
الضلال وظلمة يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه
الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوسل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا وتو
جعا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هولاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به
السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على
الهدى المجعول له بالفطرة اوارتد عن دينه بعد ما امن ومن صح له احوال الارادة فادعى
احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة اومثل لايمانهم من حيث انه يعود
عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار
الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تع
اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا
به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلت كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكقوله اصم عن الشي الذي
لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى
اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون
عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وهيهنا
وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل

ونتيجة وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها
قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل
حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ
مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما
من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي
باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها للدلالة على انهم بالاحكام السابقة سبب
لتحيرهم واحتباسهم اوكصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله
يجعلون اصابعهم في اذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي
من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانه يفيد
التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه
ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ
واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد
وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى
سماء كما ان كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه
ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة
غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به
وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا
لانه معتمد على الموصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في اذانهم

الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول
عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث
ذكر الضمير لان المراد ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل
فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق
متعلق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هايل معها
نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هايل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بلا احراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكا
ذبة **حذر الموت** نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل
عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **والله محيط
بالكافرين** لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها
يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من
افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض
مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرهما مشروط فيه
ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد يدخل
عليه حملا لها على عسى كما يحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ
بسرعة وقرئ يخطِف بكسر الطاء ويَخَطِّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء و
يِخِطِّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف **كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا** استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره
وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة اُظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام
هما اظلما حالَيَّ ثُمَّتَ اجليا ظلاميهما عن وجه اَمرد اشيبِ فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية

فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص
على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت
السوق اذا ركدت وقام الماء جمد **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** اى لو شاء ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء لازمه وقرى لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفايدة
هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الا
سباب في مسبباتها مشروط بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله **ان
الله على كل شيء قدير** كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق
بمعنى شاء تارة وحينيذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء
اخرى اى مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تع ان الله على كل شيء قدير
الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب
والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل
العقل والقدرة وهو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة
بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء
لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قل ما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق
القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته وفيه
دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور
الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جهة التمثيلات المؤلفة وهو ان
يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تع مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم
من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة

ان الله على كل شيء قدير

والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في الظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو ان ياخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدا وكرها
العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم
الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير
ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء
حالهم وابقائهم في الخسار الدايم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط للكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد
وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا و
نفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في
الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد
بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه
بقوا مقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وساير ما اوتي الانسان من المعارف
التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي هو حياة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة
واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد
وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد
فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط
بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة
بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم على انه تعالى جعل لهم السمع
والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها

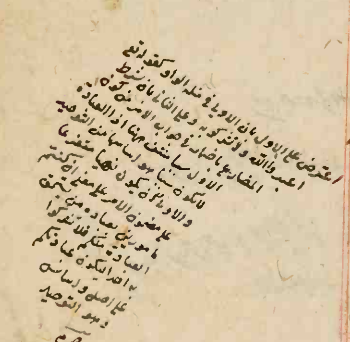
عن الغوايل الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم
اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة
وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد
ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل واي جعل وصلة الي
نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطي حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا
بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه و
انما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكلما نادى الله
عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتيقظوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم
عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلات باللام للعموم
حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد
الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين
وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه
واحكامه شامل للقبيلين ثابتا الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن
ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب
فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما
ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها
عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي التربية

الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين
واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم
متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في
خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله
يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير
في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح
المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شئ
سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون
ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او عن مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه
خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي
تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية
تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه العبادة النظر في صنعه والا
ستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح
منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة تجئ على ثلاثة اوجه بمعنى
صار وطفق فلا تتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد
فيتعدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله
جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل
بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة

حتى

حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة متولد من اجتماعهما انوار الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنعا وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدى من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله

أو للتبيين ورزقا مفعول لاخرج



ندًا او بالذي جعل ان استانف به على انه نفي وقع خبرًا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية
ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي
ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيمًا تجعلون الي ندًا وما تيم لذي حسب نديد
من ند ندودًا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص
المساوي للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادًا وما زعموا انها
تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها
الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس
الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادًا لمن يمتنع ان يكون له
ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربًا واحدًا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول
تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر
عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو
انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود
منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في
التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى
ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارًا بانها العلة لوجوبها
ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة
والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورًا
لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد
من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض
عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما
افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى
النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة

بعدة الفاعل المختار فان لكل اية ظهراً وبطنا ولكل حد مطلع وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم
على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما
قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى
الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا
الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد
لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات
وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة على
حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من
الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم
سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه
اخذ من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى
الى غيرها من الفوايد ومن مثله صفة سورة اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن
للتبعيض او للتبيين وزايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او
لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم
العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة
مثله ولساير ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم
ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم

ليأتوا بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم صدوره ممن لم يكن على صفته
ولا يلايمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر
النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات واما بالتصور ومنه قيل للمقتول
في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه
تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا
يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من
حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او
وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من
ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء والهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى على زعمكم من قول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة
القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب
ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما أتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما
اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه
ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى
كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف الكذب الى قولهم
نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم

الحق

الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة وهو انهم لما اجتهدوا في معارضته وعجزوا جميعاً عن الاتيان
بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن
كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازاً ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل
الكناية تقريراً للمكني عنه وتهويلاً لشان العناد وتصريحاً بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية
بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكاً في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم بين الشرط والجزاء تهكماً بهم او خطاباً معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل
لم يكن محققاً عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها
لما صيرته ماضياً صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك
ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى
الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نوناً والوقود بالفتح
ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار
وقوداً عالياً والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به وا
لظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس و
الحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها
انفسهم وعبدوها طمعاً في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله
انكم وما تعبدون من دون حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه
او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها
بحيث تتقد بما لا تتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس
رضي الله عنه فلعله عنى به ان الحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية
نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم ناراً وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف
النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت

عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف وحال باضمار قد من النار لا الضمير
الذي في وقودها ان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد والتعليق الو
عيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني تضمنهما
الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوا بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر
من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امرهم لما دعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة
لهم الآن **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات** عطف على الجملة السابقة والمقصود
عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية
من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل
نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارض
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب
وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد
يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم
احقاء بان يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة
هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم
ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة
قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع
وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم
عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان

الذي

غناء

الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أُسٌّ والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأسٍّ لا بناء عليه
ولذلك قل ما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان لا يعطف
الشيء على نفسه وما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار
مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي
بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غر
بي مقلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة
ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان
النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس الآيه وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوي ودار السلام وعليون
وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام يدل
على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة
فضلا ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط
ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاو
لئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك
ولعله سبحانه لم يقيدها ههنا استغناء بها **تجري من تحتها الانهار** اي من تحت اشجارها كما تراها
جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز
او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا
محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا

ام اجناس اخر فازيح ذلك وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية
للابتداء واقعتان موقع الحال وتقدير الكلام ومعناه كل حين او مرة رزقوا رزقا مبتدءا
من الجنات مبتدءا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم
كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء
لا ينقطع فانك لا تعني به المعين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة
الى عينه والمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
من قبل اى من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان
الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد
ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى
بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد
والطعم مختلف او لما روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة يتناول الثمرة
ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا
ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي
لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ
في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في
الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو
التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة
الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم واللون دون المقدار
والطعم وهو كاف في مطلق التشابه هذا وان للآية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقا
بلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد
من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد

نظير

نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء و
يذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهر يستعمل في الاجسام والاخلاق
والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل
قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ و
الافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طا
هرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله والزوج يقال للذكر والانثى
وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر
الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها
على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد
عين فايدتها وهم فيها خالدون دايمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم
ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو
كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام
كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل
فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة
من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل
خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا
متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها
عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده
من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها
خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوايب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في ا

حاشية اي يشوين شيا قليل نصب القدور ط في اللغة ومن الزاد الى ان يتم طبخه بعضه ان ع

بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات والزوال بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم
والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة
التى يتعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف
المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصا
لحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة
ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير
بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة وا
لقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب اسمع من قراد واطيش
من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين
واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب
واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم
الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن بعد ظهور امره
شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة
التى هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحيوة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي
اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء فى الحديث ان الله يستحيي من ذى
الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللا
زمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا: اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ۞ كرعن بسبت فى اناء من الورد
وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع
فى كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع الشيء على آخر وان بصلتها بخفوض المحل عند

الخليل باضمار من ومنصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد للنكرة ابهاما
وشيوعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله
تعالى فبما رحمة ولا نريد بالمزيد اللغو الضايع فان القران كله هدي وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد
منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيده وثاقة وقوة وهو زياده في الهدي غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت
بالرفع على انه خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله
تعالى تماما على الذى احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدا
كانه لما رد استبعادهم ضرب الله للامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان
يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار ودينارانِ والبعوض فعول من البعض
وهو القطع كالبضع غلب على هذا النوع كالخموش فَمَا فَوْقَهَا عطف على بعوضة او ما ان جعلت اسما ومعناه
ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه ومعناه انه لا يستحيي ضرب المثل
بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه
السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عايشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها
درجة ومحي عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة
النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المسلم من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اما حرف يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك
يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه
منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاها حرف الشرط فادخلوا
الخبر وعوضوا المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ
انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه
ثوب محقق محكم النسج وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق

قرينة ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي
وما بعده صلته والمجموع خبر ما وثانيهما ان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية
مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والا
رادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع والاول
مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى
ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن
المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى
تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على
التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا
اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والا
نكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى
مقابليهم فان المهتدين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله وقليل من عبادي الشكور
ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل
اذا عدوا كثير اذا اشتدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل
به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا
والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان
يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود
وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو

مسمى الايمان لقوله تع وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل
على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يُضَلُّ على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون
عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله
في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق
مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد
حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان
فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان
يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه
يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على توحيده وو
جوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تع واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخا
لفوا حكمه واليه اشار بقوله تع واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود
الله تع ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من
الايات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتدا
فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله تع كقطع الرحم والاعراض عن موالات المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب
في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة

بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل فصل ووصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر
فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده
وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام
العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والنظر في حقايقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب **كيف
تكفرون بالله** استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني
لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار
وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا**
اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم**
بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي
ثم يميتكم عند تقضي آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون**
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه
فان قيل ان علموا كانوا انهم امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت
تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلايل منزل منزلة علمهم في ازالة العذر سيما وفي الآية تنبيه
على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون
عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان
واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعمة يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من

من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة حقيقة كما قال تع
وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هي المعنى المنتزع
من القضية باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها
مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم
على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في
القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يختص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان
من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم
ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس واذا وصف بها البارى تع اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه
القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرء يعقوب ترجعون بفتح التاء
في جميع القران هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها
خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى
لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط او دينكم بالاستدلال
والاعتبار والتعرف بما يلايمها من لذات الآخرة والآمها لا على وجه الغرض فان الفاعل بعرض مستكمل
به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع
اختصاص بعضها ببعض الاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما
تعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن
الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من
تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال وقد
استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية

جوابه لسؤال مقدر

المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السماء على الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها
الا ان تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليها انتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتد
بر امورها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن
ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع
سموات** بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك
وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم**
فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع
واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما بان اتقان الافعال وا
حكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم
من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف يجمع اجزاء كل بدن
مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى
وهو بكل شيء عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين
اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله كنتم امواتا فاحيا
كم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما
بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيا
ئها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر
على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصا
لحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن
نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة** تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق ادم وتفضيله على ملائكته بان امرهم با
لسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية يقع فيها اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة تقع

فيه

فيه اخرى ولذلك تجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازات ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرنا واما قوله تعالى
واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف
مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر
دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في
حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل والتا لتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم
واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المليين
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق
في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم تدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به
القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات
امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبتته في كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ
وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض
اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل
من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه في معنى الاستقبال ومعتمد على مسند
اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عم
لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم
وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير
وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت
قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم

اعلا رتبة كلّمه بلا واسطة كما كلّم موسى في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان
العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما
ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم
بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على
تقدير من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده
سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان
الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك **قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء** تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما
يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم
على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلا والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقري
يُسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج
والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع
منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى
عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحد
من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف
ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات

من القوة

من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالاً بقوله **قال انى اعلم ما لا تعلمون**
والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح فى الماء والارض وقدس فى الارض اذا ذهب
فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى متلبسين
بحمدك على ما الهمتنا من معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس
لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام زايدة **وعلم ادم الاسماء كلها**
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل
يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة
او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عم انه تع قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها وخلق منها ادم فلذلك ياتي بنوه اصنافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون
علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع
لمعنى سواء كان مركبا او مفردا او مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى
فى نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الاية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم
بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة
مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة
ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها **ثم عرضهم**
على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه
لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء
المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما اذا اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او
مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض
مسمياتهن او مسمياتها **فقال انبئونى باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس

بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانبآء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجري كل واحد منهما
ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقآء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه
صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الي الكلام
باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشآءات
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم كان
استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه
واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة الادب بتفويض العلم كله
اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد
اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام
به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام
سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم
الذي لا تخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل
وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه
ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما
فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه
فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا تعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان
يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة
وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية
والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل
على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان

التعليم

واما التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات
توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له
معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من
الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملا
ئكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تع الا له مقام
معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
لما انبأهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا
فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته
بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي
نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر
وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد
العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم
تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم
قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول
من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس و
اما معنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد با
لسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او
طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة
في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع

انبأهم

فنا

امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان
من الكافرين اى فى علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل
منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل
على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم
يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال
انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة نوعا يتوالدون يقال لهم الجن
ومنهم ابليس ولمن زعم انه ليس من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا
بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم
فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير
فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة
من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومون والغالب فيهم عدم العصمة
ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة
من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك صح عليه التغير من حاله
والهبوط عن محله كما اشار بقوله تع الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة
خلقت من نور والجن من مارج من نار لما روت عائشة رضى الله عنها انه عم قال خلقت الملائكة من
نور وخلق الجن من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضئ والنار كذلك غير ان ضوءها
كدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة
كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الد
خان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية
استقباح الانكار فانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الايتمار لامره وترك الخوض فى سره وان
الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم
وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرى رضى الله عنه وقلنا

يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن
ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار
الثواب اذ اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما
في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما
اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها
من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق
النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان
القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا
من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم
فان الفاء يفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او للجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة
او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو
المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما
عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن
الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة
مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف
في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما
بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع
الملائكة ولم يمنع من ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل
تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل
بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا

خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس
كلهم او هما وابليس أُخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم
لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم
في الارض مستقر موضع الاستقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من
ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات
على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم
تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك
غضبك الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه
معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان
حوا كانت تبعا له في الحكم فلذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرحيم
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد
كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم
المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط
المقترن باحد هذين الامرين وحده كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن
بهما ولكنه نسي ولم يجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا
انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني
هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما

وما مزيدة أكد به إن ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى إن
يأتينكم مني هدى بانزال أو ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما اجيئ بحرف الشك واتيان الهدى
كائن لا محالة لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم
من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل
فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على
المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ
هديّ على لغة هذيل ولا خوفَ عليهم بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع هداي الى آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل
كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متو
جهين الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث
انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة
فابدلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد
باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله
على الظالمين والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع
انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا
مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة
والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر
حظه بترك الاولى فاما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله
تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء

بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك
اي جاعل في الارض خليفة
التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية
المقدرة دون المواخذة كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقا
سمهما الايتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله ابليس اورث فيه ميلا طبيعيا
ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انه عليه السلام
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول
من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده
وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها
اولاده وفيه دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأ
مون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها
خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة
تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له
يخلق السماء والارض وما فيها
ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب
معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على
انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطبهم اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم
ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد عليه السلام وما انزل عليه فقال يا بني
اسرائيل يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو
الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ
اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله
على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر
وقيل اراد بها انعم اباءهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك

زمن

زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اذّكروا والاصل افتعلوا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجًا
وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم**
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدلهم بالثواب على
حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمة الشهادة ومن الله
تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن
الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف
بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة و ا
لثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط
وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف
بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة المائدة قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل الى قوله ولأدخلنكم جنات وقرئ أوفّ بالتشديد للمبالغة **واياي فارهبون** فيما تأتون
وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم
من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين
شيئا فارهبوني والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب
الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله **وآمنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم** افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل
بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في
في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح
من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه
على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول كافر به**

فان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين
به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل
واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لا تكونوا اول
كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة
واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل
فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان والاتباع لها حظوظ
الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل
كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها
عليه وقيل كانوا ياخذون الرشا فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي
جواب سؤال مقدر
هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والثانية بالخطاب بها
لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط
وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى
لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس
على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالبا
طل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان
استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون وانه اقبح اذ الجاهل
قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة
امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى الزرع
اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او بمعنى الزكا بمعنى الطهارة فانها
تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل

صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبّر عن الصلاة بالركوع احترازا
عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذلّ الضعيف علّك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبرّ تقرير مع توبيخ
وتعجيب والبرّ التوسع في الخير من البرّ وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البرّ
ثلثة برّ في عبادة الله تعالى وبرّ في مراعاة الاقارب وبرّ في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
وتتركونها من البرّ كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في احبار المدينة كانوا
يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد
وترك البرّ ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم
عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح
ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره
ولا يتعظ بنفسه بسوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل
فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل
ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب
الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كانهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه
من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة
وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية
والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة
واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة
القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب
روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة

مامروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخا
شعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والا
نقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم و
انهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله
فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق
عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف
وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما تستحقر لاجله
مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة • **يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم
خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم**
عطف على نعمتي **على العالمين** اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر
موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والعمل وجعلهم انبياء وملوكا
مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف **واتقوا يوما** اي ما فيه من
الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا
من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزاء عنه اذا اغنى وعلى هذا
تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا يجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف
من قوله او مال اصابوا **ولا تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل** اي من النفس
الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد
عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني
اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو
ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له

كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدي ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت
عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد
والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية
على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة
في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم
تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسري وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتى وكان فرعون
موسي مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان
وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سام خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سايره والسوء
مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في انجيناكم او
من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان
فرعون راي في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر
الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله
الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير
او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير
المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك

بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء
التكثير لان المسالك كانت اثنى عشرة بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به
فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او
اغراقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر
الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى ان يسري ببنى اسرائيل فخرج بهم و
صبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ جانب البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضرب به فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا
ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه
منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من
اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق
موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم
بمعزل من الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع
ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على
ما قررته واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى
ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وقرئ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده
الوحي ووعده موسى عليه السلام المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده
من بعد موسى اى مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة
من عفا اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ لعلكم تشكرون اى لكي تشكروا عفوه واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل
وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان

وقيل

الحق والباطل ح

وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوي او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر واذ قال موسى لقومه يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الي من خلقكم بريا
من التفاوت في الايات ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيات مختلفة واصل التركيب لخلوص
الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم بريء المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء
كقولهم برا الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي
لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى
دعى موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة
الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى
لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر
عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل
مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال
عن الفاعل او المفعول وقرئ جَهَرَةً بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله
اعطاك التوراة وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم

في الايات صح

ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رويته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي
محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء
في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها
فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم لعلكم تشكرون
نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب
يظللهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود
نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول
وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا
امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من
الواو وادخلوا الباب اي باب القرية التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى عليه السلام سجدا متطامنين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا
حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط
عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بهما على
البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخضايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فا
بدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الو
عد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض

الدنيا

او القبة صح

مخبتين صح

الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم
لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا
طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى
سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم
من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه ليغتسل
وبرأه الله عما رموه به من الأدرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في
الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا
حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر به اذا ارتحل فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة
اذرع في طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في
قوله فتاب عليكم وقرئ عشرة بفتح الشين وكسرها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل
سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله
يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل
ما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان
غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا
راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك
حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه

لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله
حجرا يسخره ليجذب الماء من تحت الارض او ليجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة
التبريد ونحو ذلك **واذ قلتم يا موسي لن نصبر علي طعام واحد** يريد به ما رزقوا في التيه
من المن والسلوي وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريد
ون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا
فلاحة فنزعوا الي عكرهم واشتهوا ما الفوه **فادع لنا ربك** سل لنا بدعائك اياه **يخرج لنا**
يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض**
من الاسناد المجازى واقام القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها**
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبته
الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا
وقيل الثوم وقري وقثائها بالضم وهو لغة فيه **قال** اي الله او موسي **اتستبدلون الذى
هو ادنى** اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة
كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل وقري ادنا من الدناة
بالذى هو خير يريد به المن والسلوي فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي
اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج
منه وقري بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما
صرفه لسكون وسطه او علي تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود
وقيل اصله مصرايم فعرب **فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة** احيطت بهم
احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين علي الحايط مجازاة لهم علي كفران
النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما علي الحقيقة واما علي التكلف مخافة ان تضا
عف جزيتهم **وباؤا بغضب من الله** رجعوا به فصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان
اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة **ذلك** اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة
والمسكنة والبواء بالغضب **بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق**

بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عُدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقران وآية الرجم والتي فيها نعت محمد
صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير
الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب
الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرّهم العصيان والتمادي والا
عتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب تؤدي الى ارتكاب كبا
رها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان
ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل
الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا
على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد و
بلق كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتا
نيثها ليس على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين
بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك
الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي
من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا فكانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى والياء في نصري لا باسمها او من اسمها
والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل
هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا اذا مال لانهم مالوا عن سائر
الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من
آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم
الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من
العذاب ويحزن المقصرون في تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم

للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا
المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال
لها نصران او ناصرة فسموا صح

فمن صبا اذا خرج وقرأ نافع
وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة
او لانه من صبا صح

والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد
منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة
ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا
ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور وظلله فوقهم حتى
قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا
واذكروا ما فيه ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم
اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في
الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره و
الاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتداء خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده
وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم
والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة
فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية
على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه
فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم مثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار
في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به
سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين
بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة نكالا اي عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد

لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت
قصصهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل
تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وانما فك عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع
آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء بالسؤال وترك المسارعة الى الامتثال
وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا
يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا
هزؤا امكان هزؤ او اهله او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله
واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة
واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقول اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به
عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه
البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر
من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود
هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة تدل على ان المراد بها معينة و
يلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة
من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل
الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي
الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن

شدّدوا على انفسهم فشدّد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا
ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم
بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى
اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها
وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد
الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم
والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر
والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت
مخففا ومشددا وتشبّه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومتشبه وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به
اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط
بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اى لم تذلل لكراب وسقي الحرث
ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول
كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او
اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل
مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف
البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

ويتشبّه

قوله ما

فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملئ مسكها
ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا
فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي
قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا
حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم
نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فيها اي في شانها اذ المتخاصمان
يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف
على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل ببعضها
اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب
كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل
او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا
ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله انما لم يحييه
ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على
بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى
الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة المنظر غير مذللة في
طلب

قال الواحدي كل ما في القرآن لعلكم فهو بمعنى لكي الا التي في الشعراء وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فانه بمعنى كأنكم تخلدون كذا في المعالم

الضمير الفاعل في يحييه راجع الى الله وضمير المفعول الى المقتول

المقابح جمع قبيح كالمحاسن جمع حسن

الدنيا مسلّمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة ويتوب عمّا به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التداري والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الايات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زايد عليها او انها مثلها او مثل اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجرّ بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يشقق فينبع منه الماء ويتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرء ابن كثير بالياء ضما الى ما بعده افتطمعون الخطاب لرسول الله وللمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في لفظه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم

قالوا

قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا
اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم
في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب
في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام
على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل
ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله ويراد به
انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم و
قيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما تمام كلام ا
للائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين
متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم
اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان وا
خفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها
الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان
في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرء والمعنى ولكن
يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم
من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب
الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون
وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على
كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن
الحق بشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها

لا يدفعه

او النصارى صح

حال

عطف على منهم [illegible]

اي القول المذكور

قايله

تحسر

الفاء للتسبيل [illegible]

موضعا يتبوء فيها من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل
له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله
اراد به ما كتبوه من التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان
جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني
المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد الرشا وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء
بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا
اياما معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل
اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة
يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرء ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند
الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على
الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كاين على سبيل التقرير
للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات
لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان
على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة
انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء
والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريق قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت
به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو
عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق
قلبه واقرار لسانه لم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان
من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو
اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي

مستمسكا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما
قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرء
نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب
النار ملازموها في الآخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار
وكذا التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى
رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه من مسماه
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله
تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان
المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان
رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون
بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرء نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل
من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه
حسنا للمبالغة وقرء حمزة والكسائي ويعقوب حَسَنا بفتحتين وقرئ حُسنى
وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على
طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى

الكاف فيه للتعليل او منصوب على انه مصدر

ثم هم بها لمح والتاكيد لا للحصر

صح ويعضد ان يكون تعبدون في معنى لا تعبدوا وعطف قولوا عليه لان الجملة الطلبية لا يحسن عطفها على الجملة الخبرية

تمامه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

تقديره ان احضر الوغى بدليل عطف ان اشهد عليه

ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام
اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن
الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به
ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره
قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه توجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح
سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم عن الحيوة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم
بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه
وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم
مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم
مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل
الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا
وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم حال
والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة
وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون
من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بحذف احدى التائين وقرئ باظهارهما و
تظهرون بمعنى تتظاهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان
ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع
تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرئ حمزة اسرى وهو

جمع

جمع اسير كجرحى وجريح وآسارى جمع كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه
بالكسلان وجمع جمعه وقرء ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان
او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد
او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى الفداء وتكفرون ببعض معنى حرمة
المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا كقتل
قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه
ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد
وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اى الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم
وقرء عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع
ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
آثروا الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب
في الآخرة ولا هم ينصرون بدفعها عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة
وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال
قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى بن
مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل
اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة
كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبرئيل او روح عيسى ووصفها به لطهارته
عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب
ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به
الموتى وقرء ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى

والفاء للسببية او التفصيل

انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسطت
الهمزة بين الفاء وبين ما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم
ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الر
سل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكرياء ويحيى وانما
ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فضيع
او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل
اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون
بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله
لخلل فيه بل لان الله خذلهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن
اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ على النصب على الحال من
كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا
بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم
وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم
ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم
واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى
شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم

فانهم

فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص
بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل
الله لان ينزل اى حسدوا على ان ينزل الله وقرء ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من
فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب
على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى
او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب
العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة
باسرها قالوا نومن بما انزل علينا بالتوراة ويكفرون بما وراءه حال
عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد
به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه
والمراد به القران مصدقا لما معهم حال موكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا
بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مومنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة
لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه
وقرء نافع وحده انبئاء الله بالهمزة في كل القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات
يعني الايات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده بعد مجيء موسى عليه السلام او ذهابه الى الطور
وانتم ظالمون حال يعني اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او
اعتراض يعني وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نومن
بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه
السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد
واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل

تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك
لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره
من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يامركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها
او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة خا
صة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس
سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة
اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على
الموت ام سقط الموت علي وقال عمار بصفين غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين
احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره و
لن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التوراة ولما كانت
اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس
تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل وا
شتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا
تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على
وجه الارض يهودي والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم
ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم احرص وتنكير حياة لانه اراد فردا من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ومن
الذين اشركوا محمول على المعنى وكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم
بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه

لما راد

لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صايرون الى النار
ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة اللفظ عليه وان يكون خبر مبتدء محذوف
صفته **يود احدهم** على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم
ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **لو يعمر الف سنة**
حكاية عن ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو أُعمَّرُ فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك
حلف بالله ليفعلن **وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر** الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اي وما احدهم من يزحزحه من العذاب تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان
يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة
اذا اتت عليها سنون والزحزحة التبعيد **والله بصير بما يعملون** فيجازيهم **قل من كان عدوا لجبريل**
نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال
ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم
تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه مدراس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال
وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كان
كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمار ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله تعالى
ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثماني
لغات قرئ بهن اربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قرء حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف
الهمزة قرء ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرء عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع
في الشواذ جبرائل وجبرائيل وجبرايل كميكايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه
عبد الله **فانه نزله** البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة
شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره **على قلبك** فانه القابل الاول للوحي ومحل
الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به

باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد
خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه
نزل مصدقا للكتب المقدمة فحذف الجواب واقيم عليه مقامه او من عاداه فالسبب
في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا
عدوه كما قال من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما
لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافراد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة
من الله تعالى وان من عادى احدهم فقد عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرء نافع ميكائل كميكاعل
وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئيل وميكئيل وميكايل
ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة
(الالف واللام اما للاستغراق او للجنس وهو الراجح)
والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن
صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك
من اية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
(عطف على ما قبله اما على جملة انزلنا او على جملة يكفرون عطف القصة على القصة [illegible])
تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح
(صيغة المفاعلة للمبالغة)
لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما
يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه
ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن

وراء

(هامش: وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا بهم)

(هامش: او على جملة [illegible] جاءكم رسول)

(هامش: وجملة لا يؤمنون اما خبر لاكثرهم او حال من الضمير العايد الى الفريق منهم)

وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسًا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه
كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى
دل بالايتين على ان اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل
الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها
وتخطي حدودها تمردًا وفسوقًا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقةً عالمين
بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا
كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او يتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما
على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى
ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد
سليمان حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر الانس والجن
والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان
من كان نبيا كان معصوما ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرء ابن عامر وحمزة والكسائي
ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواءً واضلالا والجملة حال عن
الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان
وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام
والتعاون وبهذا يمتاز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة
الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه
من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد
والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلاءً من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى انهما مثلا بشرين وركب فيهما
الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء
فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان

سُمّيا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قرأة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر
تكذيب لليهود في هذه القصّة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل
البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلّمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من
الله فمن تعلّم منا وعمل به كفر ومن تعلّم وتوقّى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به
وفيه دليل على ان تعلّم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به و
على الثاني ما يعلّمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دلّ عليه من
احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري
على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدا
رين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علّقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من
خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مرّ لو كانوا يعلمون يتفكرون
فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد
في تقدير ولقد علموا
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لا يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب
واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل
على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتداء وقرئ لمثوبة كمشورة

وانما

وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لانّ المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون انّ ثواب الله خير جهّلهم
لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ
الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا اي راقبنا وتأنّ بنا فيما تلقننا
حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوا وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبّه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابّون بها وهو راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفايدة يقبل التلبيس
وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ أَنظِرنا من الانظار اي امهلنا
لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو
الهوج (الحماقة) لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب
المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او اسمعوا ما امرتم به بجدّ حتى لا تعودوا الى ما نهيتم
عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبّوه ما يودّ الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودّون
لهم الخير والودّ محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب ان ينزل عليهم من خير من ربكم مفعول يودّ ومن الاولى مزيد للاستغراق والثانية
للابتداء وفسّر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبّون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم
والنصرة ولعلّ المراد به ما يعمّ ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلّمه الحكمة وينصره لا يجب
عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وانّ حرمان بعض
عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون
او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة
عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك
نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او
بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة منتصبة بننسخ على المفعولية وقرء
ابن عا ننسخ من انسخ الشيء اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو
ننسأها اي نؤخرها من النساء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وننسها على البناء

المفعول او نُنسِكَهَا باظهار المفعولين **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** اى بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها
في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا **الم تعلم ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على النسخ والاتيان بمثل
المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ اذ الاصل اختصاص ان بالامور المحتملة وتأخير
الانزال وذلك لان الاحكام شُرعت والآيات نُزّلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله
ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصرٍ قد يَضُرّ في غيره
واحتج بها من مَنَعَ النسخ بلا بدل او بِبَدَلٍ اَثْقَلَ ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا و
السنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بها بالمعنى القائم بالذات القديم **الم تعلم**
خطاب للنبي عم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدؤ علمهم **ان الله له ملك السموات
والارض** يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وكالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ
ولذلك ترك العاطف **وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصير** وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها
على ما يصلح لكم والفرق بين الوليّ والنصير ان الولي قد يضعف عن النُّصرة والنصير قد يكون
اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه **ام تُرِيدُونَ ان تَسْأَلوا رسولكم كما سُئِلَ موسى
من قبل** ام معادلة للهمزة في الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر
وينهى كما اراد ام للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك
الاقتراح عليه قيل نَزَلَتْ في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل
في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تُنَزِّل علينا كتابا نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان
فقد ضل سواء السبيل** ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشكّ فيها واقترح غيرها فقد ضلّ الطريق
المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي
بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ تَبَدُّل من ابدل **ودّ كثير من
اهل الكتاب** يعني احبارهم **لو يردّونكم** ان يردّوكم فانّ لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ

من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم
يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل تدين والميل مع الحق
الى الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات
والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك
تثريبه حتى ياتي الله بامره الذى هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة
واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير
مطلق ان الله كان على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والطاعة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرى تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقري بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف
على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله تع وقالوا كونوا هودا او نصارى
ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار
اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من
ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي
امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول
لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله
اخلص له نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذى وعد له في عمله عند
ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويجوز الوقف عليه
ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى

ليست اليهود على شيء على امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم
احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال والكتاب للجنس
اي قالوا ذلك وهم اهل العلم والكتاب **كذلك** مثل ذلك **قال الذين لا يعلمون مثل قولهم**
كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم فقد صدقوا
فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين
الآخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به **فالله
يحكم بينهم** بين الفريقين **يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** بما يقسم لكل فريق ما يليق به من
العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار **ومن اظلم ممن منع مساجد الله** عام لكل من
خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس
وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع **وسعى في خرابها** بالهدم او التعطيل **اولئك** اي المانعون
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا
ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص
المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره **لهم في الد
نيا خزي** قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** بكفرهم وظلمهم **ولله
المشرق والمغرب** يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان
فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا **فاينما تولوا**
ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة **فثم وجه الله** اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص
بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه **ان الله واسع** باحاطته بالاشياء او برحمته
يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنه انها نزلت
في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا

تبينوا اخطآءهم وعلى هذا لو اخطاء المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ
القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت لما قال اليهود
عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت
اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو **سبحانه** تنزيه له عن ذلك
فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت
باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا عند المتكلمين
بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات
والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح **كل له قانتون** منقادون لا يمتنعون عن مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد
ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه
واحتج بها الفقهآء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك
يقتضي تنافيهما **بديع السموات والارض** مُبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي
السميع او بديع سمواته وارضه من بَدُع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر
الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا
الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغير وفي زمان
غالبا وقرى مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح **واذا قضى امرا** اي
اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضيهن سبع
سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه **فانما يقول له**
كن فيكون من كان التامة بمعنى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل
تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير

لمعنى الابداع والايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد تكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى
عن ذلك وقرئ ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع
المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر
والله سبحانه هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك
كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد **وقال الذين لا يعلمون** اي جهلة المشركين او المتجاهلون
من اهل الكتاب **لولا يكلمنا الله** هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله **او تاتينا
آية** حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان ما اتيهم ايات استهانة وعنادا **كذلك قال
الذين من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم** فقالوا ارنا الله جهرة مفعول له هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مايدة من السماء **تشابهت قلوبهم** قلوب هولاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ
بتشديد الشين **قد بينا الآيات لقوم يوقنون** يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوا
عتوا وعنادا **انا ارسلناك بالحق** ملتبسا مويدا به **بشيرا ونذيرا** فلا عليك ان اصروا وكابروا
ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لا يومنوا بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهى
للرسول عن السوال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع
لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السوال والجحيم المتاجج من النار **ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم** مبالغة فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى تتبع ملتهم
فكيف يتبعون ملته والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال **قل** تعليما للجواب **ان هدى الله هو الهدى** هدى
الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه **ولئن اتبعت اهواءهم** اراءهم
الزايغة والهواء راي تتبع الشهوة **بعد الذى جاءك** اي الوحي او الدين المعلوم صحته **ما لك من الله
من ولي ولا نصير** يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن **الذين اتيناهم الكتاب** يريد به مومني اهل
الكتاب **يتلونه حق تلاوته** بمراعات اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو
حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مومنوا اهل الكتاب **اولئك يومنون به**

يكفر به

بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الكفر بالايمان يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة
واهوالها كرر ذلك وختم بها الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلك القضية والمقصود
من القصة واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف
بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات
قد تطلق على المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون
العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم
الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبالمناسك
الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة المختبر وبما
تضمنته الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعى ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى
اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف فاتمهن فاداهن كملا
وقام بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه
جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استينافا ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا
قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها و
جاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث
بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي
كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤه الثالثة
ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعلية قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق و
قرئ ذريتي بالكسر وهو لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون

من ذريته ظلمة وانهم لاينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لايصلح لها وانما ينالها
البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكباير قبل البعثة وان الفاسق لايصلح
للامامة وقرى الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته **واذ جعلنا البيت** الكعبة غلب
عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثابون
بحجه واعتماره وقرى مثابات لانه مثابة كل واحد **وامنا** وموضع امن لايتعرض لاهله كقوله
حرما آمنا ويتخطف الناس حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او
لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفه **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**
على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا
اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه
او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعى للناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم
روى انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه عم لما فرغ
من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رح
في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله تعالى وقرء نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا واتخذ الناس مقام
الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل** او امرناهما **ان طهرا
بيتي** بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لايليق به او اخلصاه **للطايفين** حوله **والعاكفين** المقيمين عنده او المعتكفين فيه **والركع
السجود** المصلين جمع راكع وساجد **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** يريد البلد او المكان
بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نايم **وارزق اهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر**
عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على
ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن

معنى

معنى الشرط **فامتعه قليلا** خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الزه اليه لز
المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر
فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرء ابن عامر فأُمْتِعُهُ من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره
واِضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأَطَّرُه بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس **وبئس المصير** المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس
صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء
فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم شانها **واسمعيل** كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب **ربنا تقبل منا** يقو
لان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما **انك انت السميع** لدعائنا **العليم** بنياتنا **ربنا واجعلنا
مسلمين لك** مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم
احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخص بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما
ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش
ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عم ويجوز ان يكون من للتبيين
كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في خلق السموات
ومن الارض مثلهن **وارنا** من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين **مناسكنا** متعبداتنا
في الحج ومذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرء ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ من فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة المنقولة عن الهمزة

الساقط دليل عليها **وتب علينا** استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما
وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** لمن تاب **ربنا وابعث فيهم** في الامة المسلمة **رسولا
منهم** ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امي **يتلو عليهم اياتك** يقرء عليهم ويبلغهم ما يوحى اليهم من دلايل التوحيد والنبوة **و
يعلمهم** القران **والحكمة** ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام **ويزكيهم** عن الشرك والمعاصي **انك
انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم** المحكم له **ومن يرغب عن ملة ابراهيم** استبعاد
وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد من ملته **الا من سفه نفسه** الا من
استمهنها واذلها واستخفها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز كغبن رايه والم
راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع
الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي **ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين** حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له
بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والا
عراض عن النظر **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب
باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه
نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلايله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام وروي انها نزلت لما دعى عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر **ووصى بها ابراهيم بنيه** التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي
والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرء نافع وابن عامر واوصى والاول
ابلغ **ويعقوب** عطف على ابراهيم اى وصى هو ايضا بها بنيه وقرى بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم
يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من
ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان

وقيل

وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنى عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشجو

ن وزبولون ودوابي ونفتوبى وكودا واوشيرا وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى

لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي

عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان لا يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر

بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الا

سلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا

لرسول الله الست تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر

يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال

لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل

الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه

بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام

واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن

اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه او طبيب قالوا نعبد الهك واله

ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد

اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عم عم الرجل صنو ابيه وكما قال في العباس

رض هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين

وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية

ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف

لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد

او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة

في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله

والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم

لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم

كما لا تشابون بحسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى** الضمير الغايب لاهل الكتاب وا للتنويع
والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى **تهتدوا**
جواب الامر **قل بل ملة ابراهيم** بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع اى
ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته **حنيفا** مايلا عن الباطل الى الحق حال عن المضاف اليه
كما فى قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا **وما كان من المشركين** تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم
يدعون اتباعه وهم مشركون **قولوا آمنا بالله** الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به **وما**
انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره **وما انزل الى ابراهيم**
واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين
بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم **وما اوتى موسى وعيسى**
التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع
فيهما **وما اوتى النبيون** جملة المذكورين منهم وغير المذكورين **من ربهم** منزلا عليهم من ربهم **لا نفرق**
بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه فى سياق النفى عام فساغ ان يضاف اليه
بين **ونحن له مسلمون** لله مذعنون مخلصون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** من باب التعجيز
والتبكيت كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للآلة دون التعدية اى للاستعانة والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد
لا يأبى تعدد الطريق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل
ايمانكم به او المثل مقحم كما فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ويشهد له قراءة
من قرأ بما آمنتم به اى الذى آمنتم به **وان تولوا فانما هم فى شقاق** ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون
لهم فما هم الا فى شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق الآخر
فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر **وهو السميع العليم** اما من تمام الوعد
بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون
ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم **صبغة الله** صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فانها حلية

الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب
او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون فهو
تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل
على البدل على ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون
تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مقول
قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة ابرهيم
وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك الاغراء النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء
من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه
افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على ما يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على
المستعدين بها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها
فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدين نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار
وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى
اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله
وقد نفى الامرين عن ابرهيم عم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهولاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية
والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد عم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم

ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والا
تكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الا
ول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم
واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين
وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان
المتوجه نحوه للصلوة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة
غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما يقتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية
المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبلة جعلناكم امة وسطا
خيارا (جمع خير) او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم المكان الذي يستوي فيه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة
بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء
التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج
وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا
ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على
معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله
ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عم فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عم
فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب
المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة

الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبين
فالمخبر به على الاول الجعل القبلة وما
جعلنا قبلتك بيت المقدس

الي الصخرة تألّفا لليهود او الصخرةُ لقول ابن عبّاس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا لنعلم من يتّبع
الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ولنعلم من يتّبعك في الصلوة اليها ممّن يرتدّ عن دينك
الفًا لقبلة ابائه او لنعلم الآن من يتّبع الرسول ممّن لا يتّبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول
معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممّن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه فان قيل كيف يكون علمه غاية الجعل وهو لم يزل قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي
الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنّه اسند الى نفسه
لانهم خواصه او لنميّز الثابت من المتزلزل كقوله تع ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميّز الذي
لمسبب عنه ويشهد له قراءة ليُعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلّق لما في مَن من معنى
الاستفهام او مفعوله الثاني ممّن ينقلب اي لنعلم من يتّبع الرسول مميّزا ممّن ينقلب وان كانت لكبيرة
ان هي المخففة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دلّ عليه قوله
تع وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردّة او التحويلة او القبلة وقرى لكبيرة بالرفع فيكون
كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عم لمّا وجّه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع
اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعلّه قدّم الرؤف وهو ابلغ على الفواصل وقرأ الحرميّان وابن عامر وحفص
لرؤف بالمدّ والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلّب وجهك في السماء تردّد وجهك في جهة السماء تطلّعا
للوحي وكان رسول الله يقع في روعه ويتوقّع من ربّه ان يحوّله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدلّ على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل
فلنولينّك قبلة فلنمكّننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيّرته واليا له او فلنجعلنّك تلي
جهتها ترضاها تحبّها وتتشوّق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيّة الله وحكمته فولّ وجهك اصرف
وجهك شطر المسجد الحرام نحوه والشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من دار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل والحرام المحرّم
اي محرّم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرّضوا وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في المدينة
والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي عن النبي عم انه قدم المدينة

فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى
باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفو
فهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم
عم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بانه تع عادته تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى
القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام مو
طئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها
متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهوا
ءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق
وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم
وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم
الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير للرسول عم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن
او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ولا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه
سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد
انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند
واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف في الحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة
الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تع كالذي انت عليه لا ما لم
يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ
بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك

او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار
بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ
ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين في كل بدل الاضافة
هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي
هو مولى تلك الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا** في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف
مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة
ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع **ومن حيث خرجت** اي من اي مكان خرجت
للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل**
عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة
الالهية على ان يولي لكل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبين
وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان
والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى **لئلا يكون**
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية من الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان
المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم
ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين
منهم فانهم يقولون ما تحول الى القبلة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه
ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة لقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون لانهم ساقوها وقيل
الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف

التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا يضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم
ولعلكم تهتدون علة محذوف اي واوتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة
مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة و
عن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في
امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا
عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار
الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى
الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على المعاصي و
حظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله
مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات
بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس
به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله
يعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا
وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الا
رواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهيد لاختصاصهم بالقرب من الله
ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقيهم عنه ليخفف عليهم
ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه
ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تع للملائكة اقبضتم ولد عبدي

فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله ابنوا بيتا لعبدي في الجنة وسموا بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب
الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله ليرى ما ابقى عليه اضعاف
ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع
شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا
على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون
ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن
احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو
ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة انه
واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عم اسعوا فانه كتب عليكم السعي ومن
تطوع خيرا فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله
يتطوع فادغم مثل يطوع فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عم والهدى
وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب

في التوبة اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وساير ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله فى كتابهم ليتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرى والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها في اللعنة او فى النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا اولا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد خطاب عام اى المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان فى الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتداء محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله وجعل الليل والنهار خلفة والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى بنفعهم او بالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب لخوض فيه والاطلاع على عجايبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاءها البحر غالبا وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرى بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به

الارض

فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول
المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيي فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحياء والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرء حمزة و
والكسائي على الافراد والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع
يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من السحب
لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم
وعنه عم ويل لمن قرء هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الآيات على وجود
الاله ووحدته من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك بالقطبين
وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد من
موجد قادر حكيم يوجدها على ما يستدعيه حكمته ويقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو
كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع المؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت
لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه
على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تع يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم
كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة
ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة
العباد لله تع ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله تع للعباد ارادة اكرامهم وا
ستعمالهم في الطاعة وصونهم عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله
بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون
عن آلهتهم الى الله تع عند الشدايد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى
الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه

قوله
صلو بقائكم الخ

ثم من وجوه كثيرة يطول
شرحها مفصلا والكلام
المجمل انها امور ممكنة وجد
كل منها بوجه مخصوص صح

يوم القيمة واجري المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد
مفعولي يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندا
دهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه
خطاب للنبي عم اي لو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب
ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستيناف او اضمار القول اذ تبرا الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرا المتبعون من الاتباع وقرا بالعكس اى اذ تبرا الاتباع من
الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرا وتقطعت
بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرا او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم
من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الى
النخل وقرئ تقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا
منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين
من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا
يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به
في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابن عامر وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع
خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على جمع
خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموا
لاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعدا
وته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم
والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل

وفحشاء

وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول
ما لا حد فيه والثاني ما شرع الحد فيه **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** كاتخاذ الانداد وتحليل
المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن
مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بينا في الكتب الاصولية **واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله** الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء
وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون **قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا** وما وجدناهم عليه
نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وساير ما انزل الله تعالى من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل
في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا
منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام **اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون** الواو للعطف او الحال والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو
كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من
التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء
والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله تعالى **ومثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء** على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا
كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهايم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد
لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك كالبهايم التي ينعق عليها
فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع ابائهم على
ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وتمثيلهم في دعائهم الا
صنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهايم وهذا يغني عن الاضمار ولكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب **صم
بكم عمي** رفع على الذم **فهم لا يعقلون** اي بالعقل لا فعال بالنظر **يا ايها الذين آمنوا كلوا من
الطيبات ما رزقناكم** لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم
امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال **واشكروا الله** على ما

رزقكم

واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون فانّ عبادته لا تتم الا بالشكر فانّ المعلّق لفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمام
وهو عدمٌ عند عدمه وعن النبي عم يقول الله تع انّي والانس والجنّ في نبإٍ عظيم اَخْلُقُ ويُعْبَدُ غيري وَاَرْزُقُ
وَيُشْكَرُ غيري انما حرّم عليكم الميتة اَكْلَها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكوة والحديث اَلْحَقَ بها
ما اُبِينَ من حيٍّ والسمك والجراد اخرجها العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا
حرمة التصرّف فيها مطلقا الا ما خصّه الدليل كالتصرّف في المدبوغ والدّم ولحم الخنزير انما خصّ اللحم بالذكر لانه
معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وما اُهِلَّ به لغير الله اى رُفِعَ به الصوت عند ذبحه للصّنم وا
لا هلال اصله روية الهلال كما يقال أَهِلَّ الهلال واهللته لكن لما جرى العادة ان يرفع الصوت بالتكبير
اذا رُئِيَ سُمِّيَ ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطرّ غير باغ بالاستيثار على
مضطرٍّ آخر ولا عادٍ سدّ الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا
يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه وقول احمد رضى الله عنه فلا اثم عليه في
تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام
لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل
انما حرّم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطرّوا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار
لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم اَرُعْكِ بِضَرّةٍ بعيدة مهوي القرط طيّبة النشر
يعنى الدية او في المال اى لا ياكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملأ بطونهم يقال اكل في بطنه
واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفّوا ولا يكلّمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق
للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجّب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من
غير مبالاتٍ وما تامّة مرفوعة بالابتداء وتخصّصها كتخصّص قولهم شرّ اهرّ ذا ناب او استفهامية وما
بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزّل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب
بسبب ان الله نزّل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وانّ الذين اختلفوا في الكتاب لالّام

فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية و
اختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها
واما الى القران واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين **لفي شقاق بعيد**
لفي خلاف بعيد عن الحق **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** البر كل فعل مرضي
والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤ
منون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن
ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب **ولكن البر من امن بالله وا**
خبر ليس
ليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من امن او
ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القران **واتى المال على حبه** على
حب المال كما قال عم لما سئل اي الصدقة افضل قال ان توتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى
الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال **ذوي القربى واليتامى** يريد المحا
ويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم اثنتان صدقة وصلة كما قال
عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة **والمساكين** جمع المسكين
وهو الذي اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكير لدايم السكر **وابن السبيل** المسافر سمي به لملازمته
السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به **والسايلين** الذين الجاهم
الحاجة الى السوال وقال عم للسايل حق وان جاء على فرس **وفي الرقاب** في تخليصها بمعاونة المكا
تبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها **واقام الصلوة** المفروضة **واتى الزكوة**
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله اتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول
بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات
او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة **والموفون بعهدهم**
اذا عاهدوا عطف على من امن **والصابرين في البأساء والضراء** نصب على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس

كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين صدقوا** في الدين واتباع الحق وطلب البر
واولئك هم المتقون عن الكفر وساير الرذايل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها صريحا او ضمنا وانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس وقد اشير الى الأول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب
والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه
واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى** كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر
فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله
فنزلت فامرهم ان يتباوؤا ولا يدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل على عكسه فان
المفهوم انما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض
وانما منع مالك والش قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن النبي عم ان رجلا
قتل عبده فجلده الرسول عم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي
عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير
وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في
التورية فلا ينسخ ما في القرآن احتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ
الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن **فمن عفي له من اخيه
شيء** اي شيء من العفو لان عفى لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص
وقيل عفى بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى
يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال تع عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب
عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم
وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه **فاتباع بالمعروف**

وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية للعافي بان يطالب الدية بالمعروف
والمعفو عنه بان يؤديها باحسان بان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا
لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان ذَلِكَ اي الحكم المذكور في العفو
والدية تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم
على حسب مراتبهم فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فقتل بعد العفو واخذ الدية فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية وَلَكُمْ
فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به
يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور
الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى
الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة
ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة القلوب يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
يا ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كُتِبَ
عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اي حضر اسبابه وظهر اماراته إِنْ تَرَكَ خَيْرًا مالا
وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عايشة رض ان رجلا اراد ان يوصي فسالته
كم مالك فقال ثلثة آلاف فقال كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير
فاتركه لعيالك الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان
يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه
عليها وقيل مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها

ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عم
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده
من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا تلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او
بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله به عليهم بِالْمَعْرُوفِ بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز
الثلث حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فَمَنْ بَدَّلَهُ غيره من الاوصياء والشهود
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ وصل اليه وتحقق عنده فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ فما اثم الايصاء المغير او التبديل
الا على مبدله لانه هو الذي خان وخالف الشرع إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد للمبدل بغير حق فَمَنْ
خَافَ مِنْ مُوصٍ توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جَنَفًا ميلا بالخطاء في الوصية أَوْ
إِثْمًا تعمدا للحيف فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمصلح
وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعني الانبياء والامم من لدن آدم عم وفيه
توكيد الحكم وترغيب عن الفعل وتطييب عن النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه
النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال باداية لاصالته وقدمه أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ موقتات بعدد معلوم او قلائل
فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل
باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به
وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب
عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على
النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله
وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا مرضا يضره الصوم ويعسر معه

أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فَعَلَيْهِ صَوْمُ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اُخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه
للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهر
وروبه قال ابو هريرة رضه وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فِدْيَةٌ طَعَامُ
مِسْكِينٍ نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص
لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم واشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرء نافع وابن
عامر باضافة فدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه
على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات
يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار و
الفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فزاد في الفدية فَهُوَ فالتطوع او الخير خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا ايها المطيقون
او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خَيْرٌ لَكُمْ
من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما في الصوم
من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان
كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير لكم شَهْرُ رَمَضَانَ مبتدا خبره ما بعده
او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم
الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه
ضعف او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية
والتانيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما
لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث
ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ابتدئ فيه انزاله وكان

ذلك ليلة القدر وانزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم
الصيام وعن النبي عم نزل صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث
عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتداء
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس وآيات واضحات مما يهدي الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن
مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب المضمر الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت
الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد
الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر
ولا يعسر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل الفعل
محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما
افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل
اي معنى ولتكملوا معطوف
لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر
اي يريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل
تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي
بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال
العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي
بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر
بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها
واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية

الآية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان
يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا
بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام التي تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث
هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف بين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة
وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي شعر اذا ما الضجيع
ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة
بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في
اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر
وقيل النهي عن العزل وقيل من غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله عليكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش بخيطين
الليل
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر المعترض عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل
من الفجر فعمد رجال خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله
كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان
آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف في المسجد فيخرج الى امرأته
فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء
يحرم فيه ويفسده لان النهي عن العبادة يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب

الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا ان يتخطى كما قال عم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن
رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
يبين الله مثل ذلك التبيين اياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى لا ياكل
بعضكم مال بعض على الوجه الذى لم يبحه الله وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف
على النهى او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من اموال الناس
بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية
مع العلم بها اقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرء القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عم بان يحلف
امرء القيس فهم به فقرأ رسول الله عم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين
وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عم انما انا بشر وانتم تختصمون
الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق اخيه فانما اقطع له
قطعة من النار يسألونك عن الاهلة سأل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصارى فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هى مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف
حال القمر وتبدل امره فامره الله بان يجيب بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون للناس معالم يوقتون بها امورهم
ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فانه يراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من
الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة
مقسوم والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا
احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين
لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها
مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم فى الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا
عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب ذكر جوابه ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها
او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر بان تعكسوا
فى مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول بر فباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله فى تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون كى تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا فى سبيل الله جاهدوا
الاعداء

الاعداء لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم
والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله عم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في
في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة
والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل
او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فا
قتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل رسول الله عم ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اي المحنة التي افتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل
معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تفاتحوهم بالقتال وهتك
حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقوله قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل
ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون
الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على
المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم او سمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انه من قبيل المشاكلة وسمي جزاء العدوان عدوانا اي لا تظلموا الا الظالمين دون المنتهين
يعني ما هو في صورة الظلم ومجاراة له بفعله الا مع الظالمين ففي الوجهين القصد الى النهي مجازا وكناية لكن النهي في الاول
عن قتال المنتهين لكونه ظلما حقيقة وفي الثاني عن مجازاة غير الظالمين بما هو في صورة الظلم بالنسبة الى الظالمين الثالث
ان المذكور سبب للجزاء او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء

جزاء

الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا ان يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ
عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم
كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا

الى يرخص لكم ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روى
عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح
الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة
والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول
واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك
لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب الاهلال بهما
لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم
ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رض لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رح لما روي عنه عم
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عم لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى
ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عم ذبح
عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رح يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امار والامار والامارة العلا فاذا
اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان المبعوث الى الحرم بلغ محله اي
مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي
دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة رح يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة او قمل
ففدية من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك

اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع
فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع واستمتع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل
الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل ومن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي
فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران له ان يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة رح انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الحج والاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رح في اشهره ما بين
الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا
رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رح وقرئ سبعة بالنصب عطفا
على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما
كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها
او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رح لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من
كان على اقل فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن كان مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عنده وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة
على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر
اي وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة رح وذو الحجة
عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان
مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة
للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا وبالتلبية
او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي رح وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة
على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على
معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا يخالف سائر العرب

تقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا ان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به
ويستعمل مكانه يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السوال والتثقيل
على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله تعالى وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها
هو الله تعالى فيتبروا عن كل شي سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس
عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة و
ذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم
من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة
وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء
المذكورة وهي ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعها من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه
او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون
الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا
الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين
مازمي عرفة ووادي محسر ويويد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام
مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين اي
الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع القريش كانوا يقفون بجمع وساير الناس
بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قوله احسن الى الناس ثم

ثم لاحسن الى عمرو كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم
من قوله تع فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك
ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاذكروه ذكرا كثيرا وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا
اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى واذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى وكذكركم اشد مذكورا من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم
فمن الناس من يقول ربنا تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث
على الاكثار والارشاد اليه اتنا في الدنيا حسنة اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب
وحظ لان همه مقصور في الدار الدنيا بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف
وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي
الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك
اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطاياهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب الناس على كثرتهم
وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا
الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن
تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا
وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال
وقال ابو حنيفة رح يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية
فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا
انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في

نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه قوله في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا
وأسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مرادة من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة
ولا يعجبك في الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله
على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم
كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي
رسول الله عم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في
الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله
ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه
فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه
لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل
مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما وطئ
للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او يأمر بمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله
طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم
الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
السلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون
وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما
رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب داود في شعب الاسلام
واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على
انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك

ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه لقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به
للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما
يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء
من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام
وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة
والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرا الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول عم او لكل احد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم كم اتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آياته
بعد موتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل
من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا
يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم
جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم
للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق فيما كان بين آدم وادريس او نوح وقيل بين نوح ومن معه بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس
او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته
من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل
معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون
بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله تعالى او النبي المبعوث او كتابه فيما
اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق والكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب

فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم جعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها صح

المنزل لازالة الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه
بامره او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى والمؤمنين
بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل فى الشدة
مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدايد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه الا ان
نصر الله استبطاء للتاخر الا ان نصر الله قريب استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه
اشارة الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصارى كان هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الاية فيسير
فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى ان تفعلوا خيرا فان الله
يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر
نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرى بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه
وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها
الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت تنعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على
ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روى انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية
فى جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطايف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد عم الشهر الحرام شهرا يامن
فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية فقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله عم الغنيمة
والاسارى وعن ابن عباس رض لما نزلت اخذ رسول الله عم الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى

في ذلك تشنيعاً وتعييراً وقيل أصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل قل قتال فيه كبير أي ذنب كبير
والأكثر على أنه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافاً لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والأولى منع دلالة الآية
على حرمة القتال فيه مطلقاً فإن قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله أي الإسلام أو ما يوصل العبد إلى الله تعالى
من الطاعات وكفر به أي بالله والمسجد الحرام على إرادة المضاف أي وصد المسجد الحرام كقول أبي داود أكل امرئ تحسبين امرأً
ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لأن عطف قوله وكفر به على صد مانع منه إذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف
على الصلة ولا على الهاء في به فإن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجار وإخراج أهله منه أهل المسجد وهم النبي عم والمؤمنون
أكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الأشياء المعدودة من كبائر قريش وأفعل من يستوي فيه الواحد والجمع
الاربعة
والمذكر والمؤنث والفتنة أكبر من القتل أي ما يرتكبونه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوا من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك أعبد الله
حتى أدخل الجنة إن استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق علي وإيذان بأنهم
لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب
الشافعي والمراد بها الأعمال النافعة وقرئ حبَطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما يخيلوه وفوات ما للإسلام
من الفوائد الدنيوية والآخرة لسقوط الثواب وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة إن الذين آمنوا نزلت
أيضاً في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم
الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك يرجون رحمة الله ثوابه أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأن العمل غير
موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم بإجزال الثواب والأجر
يسألونك عن الخمر والميسر روي أنه لما نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً فأخذ المسلمون
يشربونها ثم إن عمر ومعاذاً في نفر من الصحابة قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه فشربها قوم
وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا فسكروا فأم أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت
ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي الوقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فأنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكا إلى رسول الله عم فقال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الأصل
مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمي سكراً لأنه يسكره أي يحجزه وهي حرام

مطلقا وكذا اكل المسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رح نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر
والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به ~~سكرا لانه يسكره اي يحيره وهو حرام مطلقا وكذا اكل المسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رح~~ القمار
لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسالونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من انه يودي الى الانتكاب عن المامور
وارتكاب المحظور وقرا حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر
خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشا منهما اعظم من المنافع المتوقعة
منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسالونك ماذا ينفقون
قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال
للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا
فاخذها فخذفها لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم
الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل
هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب جمع على تاويل القبيلة او الجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة
في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع وتتجنبون عما يضركم اكثر مما ينفعكم ويسالونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله عم فنزلت قل اصلاح لهم خير
اي مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط
اخاه وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد ولاصلاح اي يعلم امره
فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يومن اي لا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى عما يشركون ولكن خصت عنها والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عم بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية
فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله عم فاستامره فنزلت
ولامة مومنة خير من مشركة اي ولامراة مومنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عباد الله واماؤه ولو اعجبتكم بجمالها و

وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا فهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات
يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اي اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق
الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز
في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه
انما ذكر يسئلونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك
ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن
لقوله عم انما امرتم ان تعتزلوا النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين
افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا
بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان عن الغسل
وقال ابو حنيفة رح ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان من غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع
حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك للرسول عم
فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه
فتزودوا وما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول عم ان ينصحهم ويبشر من صدقه
وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح
لافترائه على عائشة رضها او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى
المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر

عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة
اي فلا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا
تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي نهيتكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو
الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله
بلى والله لمجرد التاكيد بقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطات فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم
بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص
اربعة اشهر مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي
حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاءوا اي رجعوا في اليمين
بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرارة المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق
وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة في الايلاء في اربعة اشهر فما دونه وحكمه ان المولي ان فاء في المدة
بالوطء ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما
طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر في معنى
الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله فكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله
وبناؤه على المبتدا مما يزيده فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها
ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او مفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عم دعي
الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر
الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن
والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في
قصة ابن عمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى
ان يطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان

يولون ح

له الاكثر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان والمؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي ان يفعل وبعولتهن
اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير
اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة
او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل
في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض
عليه والمنع من قصد الاضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب
واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر
والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق
الرجعي اثنتان لما روي انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى
الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقيب تعليم كيفية التطليق
ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فأتت رسول الله عم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق
ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون
بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو تشويش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي
الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ
حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بالتاء للخطاب فان خفتم
ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في
اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها
فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عم ايما امرأة سألت زوجها من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم قال لجميلة
اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم اما الزائد فلا والجمهور استكرهوا ولكن نفذوه فان المنع عن العقد
لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله
فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر
انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح
باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر
على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي فان عبد الله بن زبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال عم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق ثلثا والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند
الاكثر وجوزه الامام ابو حنيفة رح مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلعم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح
عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما
يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا
تعلم ولانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها
لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي كل حي مستكمل مدة العمر وهو اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى ينقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة
الحكم في بعض الصور للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة
حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين
لتعتدوا لتظلموا بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها

بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت
هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عم ثلث
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عم بالشكر
والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة وافردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن انقضت عدتهن وعن
الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضتها بالمعروف فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروة حال من الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف
اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهي ذلك يوعظ به اشارة الى
ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيلة او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره
كل احد من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر
من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن
امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر
او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده
بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له
اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي رح ومنعه ابو حنيفة رح

حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعهما
لا انه تفسير للاول بل هو تعليل
للايجاب الشرعي ح

ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف والتقييد بالمعروف ودليل على ان الله تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا يكلف واصله على القرائتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل
او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر
فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها
تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا
بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا
وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه
المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين و
التشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما
اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
اي تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها
فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة
من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير
حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين او والذين
يتوفون منكم بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك قوله
ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا
ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم

من صلته

لا يستعملون التذكير في مثله قط
ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون
صمت عشرا ويشهد له صح

وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس
تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن مسعود انها
تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما
فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو
فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم
فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم
والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض
خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
ولكن لا تواعدوهن سرا في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان
تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف
وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل
حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا
تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا
عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما
في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من
الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس
وقيل كان النبي عم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به
فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من المطالبة
المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن
يسمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين

الاية

استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن صح

ومتعوهن عطف على المقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض
الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به
ويدل عليه قوله عم لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعتها ولو بقلنسوتك ويدل عليه قوله عم وقال ابو حنيفة رح
هو درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي
وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة صفة لمتاعا او مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين
للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه قسيمها
اي فلهن اي فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان
يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا
وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والامام ابو حنيفة رح وقيل الولي
الذي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو
الرجال على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون
المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل
بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات امر بالاداء لوقتها والمداومة
عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى
بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله
بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل الصلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان اشق
الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة
في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين
جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله عنها انه كان عم كان يقرا والصلوة الوسطى والصلوة العصر فيكون صلوة

مهر

ذكر

ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح صح

صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين
ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره
فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين وراكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة
حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة رح لا يصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال
خوفكم فاذكروا الله اي صلوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية حالتي الخوف
والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
غير اخراج مكانه وقراها الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل
وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية
وبمتاع على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من
ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا
بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول
وسقطت النفقة بتوريثها الربع والثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رح فان خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع كانت مخيرة
بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم
لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة
الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه
معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تعقلونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان
ان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله

وقدره او قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم ليعتبروا وهم الوف
اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متآلفون جمع آلف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت
مفعول له فقال لهم الله موتوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل رجل واحد من غير علة بامر الله تعالى
ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم والاستسلام للقضاء ان الله
لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان
المقدر لا محالة واقع بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فمخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال فالنصر والثواب
واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا
حسنا مقرونا وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله تعالى فيضاعفه له
فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من
الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة لا يقدرها
الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من ضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير
او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى
في الخلق بسطة واليه ترجعون فيجازيكم بما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له
كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ
بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم
فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو
المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله

قيل م

وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا
على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم تولوا الا قليلا منهم
ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان النبي عم لما دعا الله ان يملكهم
اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون ذلك ويستاهل ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك
لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد
لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا
بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من
معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا
بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما
يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في
الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية
وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس
وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا
ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص
واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله

بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان
في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عم وان يكون ابتداء خطاب من الله تع
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي
انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكانت الوقت قيظا فسلكوا مفازة
فسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه بنهر فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي او بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا
ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عم الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب
وانما قدم عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة
في القليل دون الكثير وقرا ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه
ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا القليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل
الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي صح القليل الذين
لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال
الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا
معه والضمير في قالوا للكثير المنخزل عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس
من فأوت راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصرة والاثابة ولما برزوا
لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم
في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره اياهم او
مصاحبين لنصره اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق
ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي

اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا
وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشومهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله
اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق
بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل
اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض
بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور
ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله فانه كالم الله كما ان الله
كلمه ولذلك قيل كليم بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة متباعدة وهو محمد صم فانه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية
والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصه بالخلة التي
هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة
ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات
المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الاسلام تفضلا
ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا
ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار
الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون
على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه
اخلاؤكم او تسامحكم به ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم
وانما رفعت ثلثها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه

وصفوا على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار
كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه
هل يضمر في الاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة
والامكان القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة
فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم والنوم حال يعرض للحيوان
من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الحس راسا وتقديم
السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان اخذه نعاس او نوم كان
مأووف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير
لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد
يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة
او عكسه او ما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة
او ما يحسونه صح
والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم
الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه
ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع والارضين السبع لقوله عم ما
السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤده
ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو
القايم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري

الارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا باذنه عالم الاشياء كلها جليها
وخفيها حقيرها وكبيرها كليتها وجزئيتها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما
يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عم اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو
من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا
يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه
في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر
بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى
تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء، وقيل اخبار بمعنى النهي اي لا تكرهوا
في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له
ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله عم
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله تع فعلوت
من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهو
مستعار للمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع
بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر والفساد
الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين
او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما يخرجونهم
من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور
البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب
لا يابى تعلق قدرته وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين
تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه الله اي ابطره
ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله
الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني

الذي يحيي ويميت بخلق الحيوة والموت في الجسد وقرأ حمزة ربِّ بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع
انا بالالف قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته
التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابراهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي
تدعوا اليه وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية
تقديره او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى
بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل
الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم عم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي
مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية
التي خرج منها الالوف وقيل غيرها واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا
ان كان كافرا وانى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته فلبث
ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله تعالى وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه امن بعد البعث او شارف
الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر
الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير في يتسنه لان الطعام والشراب كالجنس
الواحد قيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل
وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب
من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك اية للناس اي فعلنا ذلك لنجعلك اية روي انه اتى قومه على حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان

بقية

كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما
فلما تبين له ان الله تعالى على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له
ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سال ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى
قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما اجاب
فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى آمنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان
الى الوحي والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة
وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور
بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بها الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه
اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك
لتتاملها وتعرف شانها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف
الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها
مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزؤا وجزوا بضم الزاي
حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر
بان يذبحها فينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط ساير اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل
كل شيء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة
الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر صورتها فيطاوعنه مسرعات متى
دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في
السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله

عزيز لا يعجزه ما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
اى نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات
الى الحبة لما كانت من الاسباب كما اسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع لكل منها سنبلة
فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء
بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل
به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
نزلت في عثمان رض فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عم باربعة الاف
درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخله الفاء وقد تضمن ما اسند اليه معنى
الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل المحتاج
الحاجة او نيل مغفرة من الله تعالى بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر
عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين
الذي ينفق رياء ماله فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورياء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا
رياء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس
نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار
المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله ان الذي خاضت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه
تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين امنوا كمثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدا
من اصل انفسهم وفيه تنبيه على الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اى مثل نفقة هؤلاء
في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح

ان حكمه

بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل
اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم
منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت
تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان يكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا
لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد
بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف
على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل
الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل
سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم
ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا
تاموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه
ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غمضه
وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رض كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير
والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي
والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة

بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر
وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر
بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او
يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي
فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابو عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرا ابو بكر وابو عمرو وقالون بكسر النون وسكون
العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء
خير لكم وهذا في التطوع ولمن يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قراه ابو عمرو وعاصم في رواية
ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة
والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار

ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى
وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير
من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال
وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجه الله
فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية
السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم
اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد ويستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله يحسبهم الجاهل بحالهم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول

او لحّ احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي الامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر
فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر رض حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوزوا الوقف
على وعلانية الذين يأكلون الربوا اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو
زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب كالصلوة
للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء
من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان
الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا
والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا
الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيّع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما
بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال
للقياس لمعارضة النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي
فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية
على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل
يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به
يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عم
ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب

محبة للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات
وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة لا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن
دليله امتثال ما أمرتم به روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فإن لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش رض فآذنوا أي فأعلموا
بها غيركم من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله
كالباغي ولا يقتضي كفره روي أنه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس أموالكم
لا تظلمون بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه إذ المصر
على التحليل مرتد وماله فيء وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة
فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهي الإنظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على
طريق النسب وعلى الأمر أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة يسار وقرأ وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين
نافع
بحذف التاء عند الإضافة لقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وأن تصدقوا بالإبراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم أكثر
ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله يوم
القيمة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم إليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت
من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب روي عن ابن عباس رض أنها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله عم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل
ثلث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إذا داين بعضكم بعضا تقول داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا
وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير
فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لأنه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على أنه
استحباب وعن ابن عباس رض أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا أباح السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب
بالسوية لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع
ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبه الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما

الكاف
كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق
بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق وليكن المملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملى او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اى من الحق او مما املى عليه فان كان
الذى عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة
فليملل وليه بالعدل اى الذى يلى امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل
جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان
من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار
بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان
وهذا مخصوص بالاموال وبما عدا الحدود والقصاص عند ابى حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اى لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه وكانه قيل ارادة
ان يذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة والكسائى ان تضل على الشرط
فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا
شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسام عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا
صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان يكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس
او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب فى ان
لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
ان لا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها
يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم
مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون
على الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية

او لا يستطيع ان يمل هو او هو

للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ
ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا
عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه
ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين فلم تجدوا كاتبا
فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان
كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو
فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض
المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه بترك الارتهان به
وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان الياء المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم
وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديون والشهادة شهادتهم على
انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين
زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه
وفاق ساير ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة
وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي
وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم
بغير فاء جعلها بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول
بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين
راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ

وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم صح صح

ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال
وقرا حمزة والكسائي وكتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في وحدان
الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون
لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله
وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك
دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك
ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث
لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه قدرتها فضلا ونعمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع
فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على
امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها
وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب
فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تواخذنا
بما ادى بنا الى نسيان او خطا من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المواخذة بهما
عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يودي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد
ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان
به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان
ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم
فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بني اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدايد والمحن ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على
جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان
واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا

وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه
على الاعداء والمراد به عامة الكفار روى انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام
انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد
العشاء الآخرة اجزأتاه من قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة
في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها
ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد
اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وبسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روى انه عليه السلام قال ان
اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم
وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية
والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل تعسف لانهما
اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القرآن
هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان
يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما
عداها كانه قال وانزل ساير ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو
نعت له مدحا وتعظيما واظهار الفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه يفرق به بين
المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد
بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة

عقوبة المجرم والفعل منه النقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
اي شيء كاين في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما
وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه
حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال
على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم اي لنفسه وعبادته لا اله الا هو
اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثله ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته
قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبهتهم هو الذي انزل
عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها
غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحد او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء او يزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها باتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الركتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد
المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف لا انه في معنى
المعرف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى
الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلايم الجاهل وما يعلم تاويله
الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر
المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية
او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استيناف موضح لحال

الراسخين او حال منهم او خبران جعلته مبتدا كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده
وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا
به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير
الروح بالعلم وتزيينه وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته وانها جواب عن تشبث النصارى بنحو
قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون جوابا بانه
مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون
ابا المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق
الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان
بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه ان وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب
اي لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا
انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به
على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانه المغفل والمال ان الله لا يخلف الميعاد فان
الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق
مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة
وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى
اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد
باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب هم في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في
العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا
بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين
من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون و

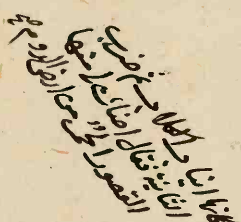
وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر
فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا تغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب
لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم
ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او
ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين وكان قريب الف او مثلى
عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اذا اجترؤا عليهم وتوجهوا
اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى
المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله ان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وقراء نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بها على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك
بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأى العين
رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل و
التكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير الشاكى السلاح وآية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر
به الرسول لعبرة لاولى الابصار لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب
الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة
الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل
الشيطان فانه فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال
الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة
منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا
اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من

من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله
خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان
ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيد قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير
بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد
نبه بهذه الآية على نعم فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله بقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة
الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او
مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة والاستعداد لها الصابرين
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب
فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل
والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب بالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص
الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما
للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين
وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة واولو العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه
على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق و
يعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة
للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وروي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء

يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة وهو دليل على فضل علم الاصول وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وقراء الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة
وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى
قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من
ارباب الكتب المتقدمة في دين الله قال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون
مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ان علموا حقيقة الامر او تمكنوا
من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات
الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ان اقمت الحجج فقل
اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعي
اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس
ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب
لهم كمشركي العرب ااسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير بالبلادة والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد
وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقراء
حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه من ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولكم زيدٌ فافهمْ رجلٌ صالحٌ والفرق انه لا يغير معنى الابتداء
بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية

او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم
بينهم الداعي محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن او التورية لما روى انه دخل عليه السلام مدراسهم فقال له نعيم
بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى
التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان آبائهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب
عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة
وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على
ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن
هو بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير فيه لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف
فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء تعطي من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة
ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر
مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه
اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة
عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول منه فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه

منها ما تشاء



المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة من ارض الروم ثم ضرب الثالثة وقال اضاءت لى قصور صنعاء
واخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم
انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه
على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى
من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته
على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل
والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى الآخر
بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها و
اماتتها وانشاء الحيوانات من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين
اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم
اولياء فليس من الله فى شئ من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان
قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا
من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل متعدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب
تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما
قال عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا السخطه
بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان
المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه
يعلمه الله اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما فى السموات
وما فى الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية
بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى يحيط بالمعلومات كلها
وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها

قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه يوم منصوب
بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد
مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ وددت وعلى هذا يصح ان يكون
شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد
والتذكير والله رءوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو
مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عقابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى
الشيء لكمال ادركه فيه بحيث تحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه
كمالا من نفسه او غيره فهو من الله او بالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما
فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قال اليهود نحن ابناء الله
واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا
يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما اوجب طاعة الرسل
وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة
وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى و
هارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران
بن ماثان بن اسعازار بن ايبوذ بن رئبنايل بن ساليان بن يوحيا بن اوشا بن اموز بن
ميشكن بن حارفا بن احاز بن يوثام بن عوزريا بن ساقط بن ايشى بن راجيم بن سليمان بن

بن داود بن ايشى بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حضروم
فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمان مائة سنة ذرية بعضها من بعض
حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من
بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به
اذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم
اكبر من هرون فظن انه المراد وزوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته
ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رات
طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في
الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة
ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها علم منه فان الحال
وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استيناف
تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من
كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر
كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان
يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم واني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت
ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى
العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك

المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل من مسه [illegible] الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا
مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب الولادة قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم فقال
زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى النهر فالقوا فيه اقلامهم
فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى
وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها
في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن
عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا
زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها
سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا
جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها
فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في غير اوانه والابواب
مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت
هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم
فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال انى لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء
بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هي فاوسعته على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان اي الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم

مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل
لما راى الفواكه غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن
على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد
يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده وقرا حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم
يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي صفة قايم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في قايم ان الله
يبشرك بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول لان النداء نوع منه وقرا
حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم عجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من
الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله
سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس كلهم في انه ما
هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كاينا من عداد من لم يات كبيرة
ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان
وتسعون وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله
يفعل ما يشاء اي يفعل من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما
انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله
على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر محذوف اي الامر
كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام اي لا تقدر على تكليم
الناس ثلثا وانما حبس لسانه من محادثتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة
بنحو يد او راس واصله التحريك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رُمُزًا كخدم جمع رامز ورُمْزًا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس

بمعنى منه رمزًا كقوله متى تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من
الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء
العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة
عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول
تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما
يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب
وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على
الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب وليقترن اركعي بالراكعين للايذان
بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا
والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم لمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم
السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقون ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان
وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته كذا سنة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه
المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح
الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل او من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن

وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف
ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه و
يجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفة وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد
من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة
من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة
ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس
في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد
للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا
الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت انى يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما
يشاء القائل جبرائيل او الله وجبرئيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى
انه كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج
او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بني
اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني
قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص
بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
نصب بدل اني قد جئتكم او جر بدل اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة
الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيكون حيا طيارا بامر الله نبه به
على ان احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه لما كان يجتمع
عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى
باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم

مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين
يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا
ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولا
طيب قلبك بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت
وهو يدل على ان شرعه ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه
ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان وجئتكم باية من ربكم
فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم
وهى قولى ان الله ربى وربكم فان دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم
باية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم
اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعونى فيما ادعوكم
اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية
بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة
الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهى ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق
المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم
عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما ويجوز ان
يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى ههنا
بمعنى مع او فى او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا
يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن
انصار الله اى انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل
لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الشاهدين بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين

الذين احس منهم الكفر من اليهود وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه
على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله
الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا
يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما
اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك
من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف
في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلب المخاطبين على الغائبين فاحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له والله
لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك
من الآيات وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى
الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
عن تطرق الخلل اليه يريد القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن
آدم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق من تراب
بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف او خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله

والصقتهم بقلبه الى المباهلة وحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل
اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها
بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر
فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله عليه السلام
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال
أسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من
نبا عيسى بن مريم لهو القصص الحق بجملتها خبران وهو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق
دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان يدخل المبتدا وما
من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله
لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض
عن التوحيد فساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل
الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا يختلف فيه الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار
فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بشر مثلنا لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي

صرار جمع

وعلي خلفهما

اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه
الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين
اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح شبههم فلما
راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
دعا عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء
والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض وقال اشهدوا بانا
مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود
والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى ان اليهودية
والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى
بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم
جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية
والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم
وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت
الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقايد الزايغة مسلما منقادا
لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به
واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له
في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم
والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون

وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت التورية والانجيل ودلت على
نبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون
بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او
بالتقصير في الميز بينهما وقرئ يلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح البا اي تلبسون الحق مع الباطل
كقوله كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن
اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم
لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا
بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار
ويقولوا في آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه
يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه
النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان
ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد
حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان
كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرا ابن كثير أان يؤتى على الاستفهام
للتقريع يؤيد الوجه الاول اي ألأن يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة
ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان
ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن
اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا او

وماية اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي دينارا فجحده وقيل المامون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخاينون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قايما الا مدة دوامك قايما على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا ويقولون على الله الكذب بادعايهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون ذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها موداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او الله وعموم المتقين ناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفا وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفا بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسالونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتره به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بير او ارض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلون بها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضموم همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ

ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله
ما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده
وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم
بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا
يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم
والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب وابو عمرو تعلمون بمعنى عالمين
وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان تكون القراءة
المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
من دون الله نصبه ابن عامر وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله
ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة
ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم
مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا
كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى
بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما توطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الا

الاستخلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما
بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجئ رسول الله مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم
او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم
بالنون والالف جمعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم
وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين انا ايضا على اقراركم وتشاهدكم
شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك
هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار
والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم
وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها اى طايعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين
او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليه واليه يرجعون وقرئ بالياء على الضمير
لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى
وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن
كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه
على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم
المنزل عليه على المنزل على ساير الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد بالتصديق والتكذيب
ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد
والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران والمعنى ان
المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس
عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا كل ما

قبول ص

مغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات استبعاد لان يهديهم الله فان المايل عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره
فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة
الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاء الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون
عن الهدى مايوسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا
يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر
ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم
متفضل عليه قيل انها نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد بعدما امنوا به
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او لقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه بالتظاهر
لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان
توبتهم بعدم قبولها لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا تغليظا
في شانهم وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرى بالرفع على البدل من ملء
او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا
او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من

من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله لقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف
ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه
الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر
اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله
روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ
ذلك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في
سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد
قبله منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب
والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء من اي شيء
محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اى المطعومات والمراد اكلها كان
حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث قال الله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي
لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي
ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من ان ينزل التورية اى من قبل انزالها مشتمله
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الايتين بان
قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت
علينا على من قبلنا وفي منع النسخ قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم في دعوى
الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها بكتابهم وتبكيتهم مما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى
على الله الكذب بابتداعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك
من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله

الخير

قبله

تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية
الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه
واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت
وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل
للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي
موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول
من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان
ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه
ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية وقيل
المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال
من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا
يتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم
مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد
بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصه فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار
وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده ان قرئ آية بينة على التوحيد
وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن
دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله اي
ومنها أمن من دخله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة
وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما
غنية عن غيرهما في الذكر من بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات

مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة رح من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له
ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص بحج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة
على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال
ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه وكذلك قال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا
وتخصيصه فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة و
وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه
من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع
بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل
صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به
ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل
الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون
بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي
العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله
دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس
والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه
تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا

عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم
ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم
يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى
كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا
يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون
فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم
بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلوات الله عليه وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب
اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان
الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي
الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب
منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن
مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت
واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة
والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عم
القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك با

ارجع ملى نحو

بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه
ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب
بعضكم بعضا او تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق
للاسلام المودي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين
فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف
بينهم برسوله عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم
الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتانيثه لتانيث
ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو
في المذكر وحذفت في المونث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم
على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي
له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها
خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل
بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس
يامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله
واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهي عن المنكر واجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا
في التوحيد والتنزيه واحوال الاخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الايات والحجج المبينة للحق
الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام

اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك
لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب
بما في لهم من معنى الفعل او باضمار وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه
وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل
الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله بعد ايمانهم به قبل مبعثه
او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن
قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف
للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها
عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء
فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع
طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس
اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم
وتؤمنون بالله تتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة
على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على
ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو
اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان
خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن
وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد

فاما الذين [illegible]

احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال
كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا
على ان ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها
الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس
والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة
الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من
الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على
اهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات
وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم
ايضا ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان
الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
في الدنيا واستيجاب الغضب كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث
انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة
قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين
اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة
في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب
لا يصلونها لما روي انه عم اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود
فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون بصفاته واصفون اليوم
الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطؤون عن الخيرات واولئك من الصالحين

اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من
خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته
الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائى فلن يكفروه باليآء والباقون بالتآء
والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو
اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من
الغناء فيكون مصدرا اوا ولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق
الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر
برد شديد والشايع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به
البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان
الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم
يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح
دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم
المنفقين بضياع نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرى ولكن اى ولكن
انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يالونكم خبالا اى لا يقصرون لكم
فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين
معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء
من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة
الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث
الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار لانكم

تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه
او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة
مفسرة وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم
قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم
يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله
حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون
من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا
عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على سرائرهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا
بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا
موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة
مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر
والتقوى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ
لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار الرسول اصحابه وقد دعا
عبد الله بن ابي ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا
رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا

ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا
الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله فقال
لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام
خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال
علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال
ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله تعالى والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله
ناصرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين
مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل
تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون
ما انعم به عليكم بتقويكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه
اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط
الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم ينزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم
كانوا كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة
ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج
بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر

مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم
في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم
الذي هو اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله
لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مددهم وانما امدهم ووعد لهم بشارة لهم
وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا عمن تاخر عنهم العزيز
الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض
واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او
يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا
منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان
الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من
امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار
ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم
او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم
فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم
من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها
كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم
يربي الى اجل ثم يزيد فيه بزيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير

وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي
اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار
وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا من المخالفة
وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا
واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر
سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اى عرضها كعرضهما وذكر العرض في وصفها بالسعة على طريق
التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت
للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة والمعنى لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين
الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها ع
عن النبي عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين
عقوبة من استحقوا مواخذته عن النبي عم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس فيدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا
فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده وحكمه
او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي
معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد
بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان
ابتدات به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم
من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما يلزم من اعداد النار للكافرين

للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين
الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين التبيلين انه فصل آيتهم
بان بين انهم محسنون مستوجبون لجنة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا
الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ
الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة
والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقايع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا
سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم
ولا راوا مثلكم في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت
او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى
ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى
القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم
ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله
وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم
مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة والكسائي وابن عياش (اي ابو بكر) عن عاصم بضم
القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الم
الجراح والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا
فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد
فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها
بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال
والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اى نداولها ليكون
كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمنين فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره في امثاله ونقايضه ما لا يعلمه او الفعل المعلل به محذوف
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات
علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلم علما يتعلق به الجزاء وهو
العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا
معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون
خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما
يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد
بعضكم وفيه دليل على انه من فروض الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل
وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن بحذف النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو
للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا
مع رسول الله مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان
تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له
حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا و
انهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل فسيخلوا كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم
على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء
للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه

انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي فقال قد قتلت
عبد الله صح
محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عم يدعو الي عباد الله
فانحاز اليه من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن
ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم
ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل
يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان
تموت الا باذن الله الا بمشيته تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى
في علمه وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه
تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت
كتابا مؤجلا صفته اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم
الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد
ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الله الشاكرين الذين شكروا على نعمة الله فلم يشغلهم
شيء من الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط
على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري
فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي
بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب
الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى الربيون
او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما افتروا ولم ينكسر جدهم لما

اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او
استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض لما اصابهم عند الارجاف
بقتله عم والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في
الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم
الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع و
طهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان الا ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان
الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار و
اللجأ الى الله النصر والغنيمة وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا
بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين نزلت في قول المنافقين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل
وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله
موليكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان
يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق
ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوا فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل
السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع المظهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي
وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل

الرشق الرمي بالنبل وبابه نصر صحاح

جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمين على آثارهم اذ تحسونهم باذنه
تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص
من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون وقال بعضهم فما
موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت
الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم
من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء
أديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد
لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله
الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم كيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف
على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح و
ظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم الله غما بسبب غم اذقتموه رسول
الله بعصيانكم لتتمرنوا على الصبر في الشدائد ولا تحزنوا فيما بعد على نفع فايت وضر لاحق وقيل لا
مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم للرسول من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل
الله عليكم الامن حتى اخذتكم النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف
يسقط من يد احد فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها
او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه

جمع آمن كبارّ وبررة وقرئ أمْنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء ردًّا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد أهمّتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم اولا يهمّهم الا همّ انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يُظنّ به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الأمر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد
من النصر والظفر نصيب قط وقيل أُخبر ابن أُبيّ بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى أنا مُنعنا تدبير
انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء
قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله تعالى واوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون
للنصرة مُبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون
او استيناف على وجه البيان لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه
او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأي ابن أبيّ وغيره ما قتلنا ههنا لما غُلبنا ولما قُتل من
قُتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين
قدّر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه
قدّر الامور ودبّرها في سابق قضائه لا معقّب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في صدوركم
وليظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف
اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمّة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه
ويميزه او يخلّصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفيّاتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد
وتنبيه على انه غنيّ عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولّوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب
في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبًا بترك المركز والحرص على الغنيمة او

او الحيوة على مخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب
تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين
وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا
فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية حال الماضية او كانوا غزا
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا او بلا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي
لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم و
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي
المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
اي متم في سبيله وقرأ نافع والكسائي وحمزة بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت
ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون
لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم
ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة
وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه
للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم

وتطييباً لنفوسهم وتمهيداً لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو الاصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي
فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احداً ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما
خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي
ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئاً من المغنم يغل
غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة
حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد
حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم واما
المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من
معه ولم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له
ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله يحمله على عنقه
كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء ما كسبت
وافياً وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود
والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون
فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع
بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان
المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات
لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول

اوهم ذوو درجات

من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن منّ الله على انه
خبر مبتدأ محذوف مثل منّه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا
مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ انفَسهم
اي من اشرفهم لانه عم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اي القران بعد
ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا من قبل بعثة الرسول عم لفي ضلال ظاهر ع
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة
على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم
اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من
قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند
انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات
والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رض باختياركم الفداء يوم بدر ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى
الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته
الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين
ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم
بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة
او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
لانخزالهم وكلامهم هذا فانها اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة

من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان كانوا [illegible] صح

عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ
تعالوا قاتلوا في سبيل الله صح

القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى
بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع
بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف الذين نافقوا او جر بدلا من الضمير
في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم
احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال
لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت
كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر
بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل
في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده
الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في
الاصل مبتدا جايز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة
المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من
فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المومنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم
من المومنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور
وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل جوهر مدرك
بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى
في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما

انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال
لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في
الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه
وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرر للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله
الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله
ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما
للتعظيم من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استيناف
معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة
للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا وبلغوا
الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فندب اصحابه للخروج
في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذي استقبلهم من عبد قيس
او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب
الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام

وان الله لا يضيع اجر المؤمنين

ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب بن عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم
حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا
فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في
دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان يخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا هم يقولون حسبنا
الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده و
البارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازدادا ايمانهم
واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص
ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان
وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا
الله وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة
من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا
وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان
الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد
تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى
انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به
انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده
بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف
اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع

مع الرسول عليه السلام او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس
على الاول والى اولياءه على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام
والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا
اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد
الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم
وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين
ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم في الكفر لانه تعالى لم يرد بهم ان يكون لهم حظ
في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن
يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين
او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول عليه السلام
او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه واقتصر على مفعول واحد لان التعويل
على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على
تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان يفصل في الخط و
لكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب
بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن
ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو
العلة للحكم وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وكسر
الاول ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل
للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا

وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا
اثما معدًّا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المسلمين المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافقين من المخلصين بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي
لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله
ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من
رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر او ايمان
ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها
فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا
مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عم قال عرضت علي
امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن
يكفر ونحن معه ولا يعرفنا وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر
قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خير لهم القراءة فيه ما سبق ومن
قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا
من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول عم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول
الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اى البخل شر لهم
لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال
ما بخلوا الزام الطوق وعنه عم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا اقرع في
عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه
بماله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله
بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و

ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله وروي انه عليه السلام كتب مع
ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سأل القرض
فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء
بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله
والاستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة
ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب
بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم
منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب
مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل
المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب
بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان
اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من
حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم
كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا
امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان
فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير
المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات اخر

ان صح

موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به
وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم يؤمنوا من جاء به في معجزات أخر و
اجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب
المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على
الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته
اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة بالذات
للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب
مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكرا لله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء
اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر
بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير
الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة
الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر
حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور
مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من
الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من
هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة عليكم اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور

الموت صح

التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به و بالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى
على الشئ نحو امضايه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به
العلماء به لتبيننه للناس ولا يكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية
ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل
فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه واشتروا به
واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن على رضى الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
للرسول ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون و
الثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من
التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق
والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير
وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن
محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن
انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول
ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه عم سال اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف
ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن
الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل فى المنافقين فانهم يفرحون
بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب لدلائل واضحة

على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب
الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان
مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشئ كتغير
الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل
اوضاعها وعن النبي عم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث
حسب طاقتهم لقوله عم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى الجنب
تومي ايماء فهو حجة للشافعي رح في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم
لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينما رجل مستلقى على فراشه
اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه
فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من
السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا باطلا من حكمة بل خلقته لحكمة
عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك
ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك
من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما
يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على
الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى
الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية
منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين
النار ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع

وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا
إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه
مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه و
المراد به الرسول وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء
والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اي بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا
فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر
وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله
ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا
لخوف من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الا
متثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك
او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد
البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي
الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو
من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة
القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من
اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة
النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة
ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح
والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب
الترتيب والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر

قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله
اي لاثيبنهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات
قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عم والمراد امته او تثبيت على ما كان عليه كقوله
ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر
الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي
ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
بالجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين
قال عم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام
او شراب وصلة قال ابو الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ∘ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ∘
وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته
وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين
من حبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله عم فخرج فصلى عليه فقال
المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام عليه للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم
من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خصهم من الاجر ووعدوه في قوله اولئك يؤتون
اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد
ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما
يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر
بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار
الصلوة بعد الصلوة وعنه عم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته
الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات
الثلث المترتبة التي هي الصبر على مشاق الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي عم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

الشوء

لا ينصرف

تسقط وتغرب

سورة النساء

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حوا من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي

(واذا وصف الرجال بالكثرة فبطريق الاولى ان يتصف النساء بالكثرة)

ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها (معطيها) او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدا تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على الجار والمجرور كقولك

(اي يسال بعضكم بعضا بالرحم فيقول بالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف)

مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر

(لانه لا يعطف على بعض الكلمة لشدة الاتصال بينه وبين الجار مدارك)

تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسم كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا

(اي طلب العطف والتعطف ... الاستعطاف ... محله)

ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه
فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر
الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل
وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا
تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تع فلياكل بالمعروف انه
الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرى حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا
وقالا ما طاب لكم من النساء وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اي ان خفتم الا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل
يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقو
قهن او ان خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا الا تعدلوا بين النساء
وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما
روي انه تع لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضا
عتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان
خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرى تقسطوا بفتح التاء
على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة من اعداد مكررة هي ثنتين
ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان
كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة
على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين
فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى
تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة بين هذه الاعداد ايضا فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا

فواحدة م

الجمع

الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره ويكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن
وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن
حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر
عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله
ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة
الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقا
تهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع
صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة
ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم
الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصد
قات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا
من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال
من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اردت كانه ذلك وقيل للايتاء
ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصدقات عن طيب نفس
لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال منه
بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء
والمريء صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف
بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته
روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا

ناحلين ح

السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف
المال الى الاولياء لانها من تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل
نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم
سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله الَّتِي جَعَلَ اللّٰهُ
لَكُمْ قِيَامًا اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما
سمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما
يقوم به وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها

وَاكْسُوهُمْ

ما يحتاجون اليه وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل
بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وَابْتَلُوا الْيَتَامَى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين
والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة رحمه الله بان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة
سنة عندنا لقوله عم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وعليه واقيمت عليه الحدود
وثماني عشرة سنة عند ابى حنيفة رحمه الله وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده
فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الاية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى
الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل فابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع
اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد و
قال ابو حنيفة رض عنه اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال
اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا
وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ
من اكلها وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه

نهى

نهي للاولياء بان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشـ
هدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل
على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة
رحمهم الله وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر
بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او
حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن الصامت الا
نصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة و
عرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما
يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس
شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم تبين حتى تبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب واذا حضر القسمة
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا
لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه
والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما
اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاو
صياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد
المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة
بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم
ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو ما في حيز

جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا
عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده. فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون
الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض
ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري
القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع
الورثة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم
اي ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه قال عليه السلام يبعث الله قوما
من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرء ابن عامر وابن
عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته
واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم
الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع صنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه
لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا
في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر
فانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء
زايدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف
اي وان كانت المولودة واحدة وقرء نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن
عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى
لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويو

يد

ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان يستحقه مع اخت مثلها وان
البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثان بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه**
ولابوي الميت **لكل واحد منهما السدس** بدل منه بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق
كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد **مما ترك ان كان له** للميت **ولد** ذكر او انثى غير
ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة **فان لم يكن**
له ولد وورثه ابواه فحسب **فلامه الثلث** مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث
ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان
يكون لها حيث يكون معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس
فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع **فان كان**
له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون
مع الاب وعن ابن عباس انهم ياخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد
ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام
من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرء حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة
اتباعا للكسرة التى قبلها **من بعد وصية يوصى بها او دين** متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها
اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة
على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين او منفردين وقدم الوصية على الدين وهى متاخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على
الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم**
نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصيكم
الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر
في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من يورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء
وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية **فريضة من الله**
مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم **ان الله كان عليما** بالمصالح والرتب

حكيما فيما قضى وقدّر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما

تركن اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا اَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ اِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَاِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا

تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا اَوْ دَيْنٍ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا قياس

كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة

والعدد منهن فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميّتُ يورث اى يورث منه من ورث صفة رجال

كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يُخلِّفْ ولدا ولا والدا او مفعول له

والمراد بها قرابة ليست من جهة يورث الولد والوالد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث

وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورِثُ على البناء للفاعل فالرجل الميّت وكلالة يحتمل المعانى الثلثة

وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال

الاعشى فاليتُ لا ارثى لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالّة بالاضافة اليها ثم وصف

بها الموروث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى او امراة عطف على رجل وله اى للرجل واكتفى

بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قراءة أُبَىّ وسعيد

بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق

باولاد الام وان ما قدر هنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان

كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث سوّى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة [اى الزايه]

ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع

من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضارّ لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة

دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى

صى على البناء للمفعول فى قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار

على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضارِّ وصيةٍ بالاضافة اى لا يضارّ وصية من الله وهو الثلث فما دونه

بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضارّ وغيره حليم

لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدّمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حُدُودُ الله

شرايعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حد
وده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ
والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه
صقر صايدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا
على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من الرجال المؤمنين يشهدوا عليهن فان شهدوا فامسكوا
هن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفيهن الموت
يستوفي ارواحهن الموت او يتوفيهن ملك الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوايل الا
سلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن
ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل
الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلّص عن الحبس والنكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها
منكم يعني الزاني والزانية وقرأ ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والبا
قون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا
واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله
كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا
وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى و
عده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب
الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته ثم يتوبون
من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت و
(اي قبل معاينة ملك الموت)
قوله عم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى

قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشربوا في قلوبهم حبه فيطبع فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض
اى يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او تزين السوء
فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما
فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف
التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الا
عتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون
السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين
يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعد لهم
لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت
الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
ولم عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زو
جها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك
وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره
عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن
من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج
كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء
العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقرأ ابن
كثير وابو بكر مبينة بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف
في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخرى واتيتم احديهن اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيئا اى من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى اتاخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امراة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم فى شانهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبى عم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهى وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مواخذ عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروات ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح وامهاتكم تعم من ولدتكم او ولدت من ولدكم

وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلثة
وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك
قريبا او بعيدا وبنات الاخ والاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس
النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاعة من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة
دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا
محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة
الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر
فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة
للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان تكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور
الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلعم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج الموصول
الثاني صفة للنساء لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم
بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجرى اولادكم لا
تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه جعله شرطا والامهات والربائب تتناول
القريب والبعيد وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطي
بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رح لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احترازا عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات
والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين
ولذلك قال عثمان وعلي رض حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم و

دقيل اوله اذا حاولت في اهلها فحو ترا ه
وقيل تمامه اذا طار من مالي الثمن

ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رض تقييد الحرمة بها ولا يجوز ان يكون صح

عثمان

وعثمان التحليل وقول علي رض اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الا
غلب الحرام **الا ما قد سلف** استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن قد سلف مغفور لقوله **ان الله كان
غفورا رحيما والمحصنات من النساء** ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرء الكسائي بكسر
الصاد لانهن احصن فروجهن **الا ما ملكت ايمانكم** يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن
حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع
عليهن فسالنا النبي عم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله • وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رح لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابي واطلاق الاية وا
لحديث حجة عليه **كتاب الله عليكم** مصدر موكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي
هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على الفعل المضمر الذي نصب الله وقرء حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت **ما وراء ذلكم** ما سوى المحرمات الثمان المذكورة
وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين** مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا باموالكم با
لصرف في مهورهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة
ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر
لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصن النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من
السفح وهو صب المني فانه الغرض منه **فما استمتعتم به منهن** فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن
من جماع او عقد عليهن **فاتوهن اجورهن** مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور بمعنى
مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر موكد **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة** فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل
نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه عم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها
الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت
عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة
وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رض ثم رجع عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح **حكيما** فيما شرع من الاحكام **ومن لم
يستطع منكم طولا** غنى واعتلاء واصله الفضل او الزيادة **ان ينكح المحصنات المؤمنات** في موضع النصب
او بدل من طولا

يطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح
المحصنات يعنى الحراير بقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية
حجة للشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واوّل ابو حنيفة
طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه
في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة
الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه
من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد
تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون
نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار
له على ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن اجورهن اى ادوا اليهن مهورهن باذن
اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان
يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل وضرار لانه عوض حقه ونقصان
محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا
احصن بالتزويج وقرء ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بكسر الهمزة وكسر الصاد فان اتين
بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعنى الحراير من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح
الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار
لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باقبح القبايح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح
الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عم الحراير صلاح البيت
والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام
او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم
للارادة كما في قول قيس بن سعد. اردت لكيما يعلم الناس انه. سراويل قيس والوفود شهود. وقيل المفعول
محذوف

ان لهن ان صح

حال عن هن كو

اصل العنت الصدق والشدة كو

من الانبياء كو

محذوف ويبيّن مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل
الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على
التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتا
كيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما
المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود
فانهم يحلّون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات ميلاً عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له يريد الله ان
يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثماني آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
ان الله لا يغفر ان يشرك به . ان الله لا يظلم مثقال ذرة . ومن يعمل سوءا . ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين
آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن
تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض
صفة للتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال
الغير لانها اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي
المنع عن صرف المال في ما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرء الكوفيون تجارةً بالنصب على كان
الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي
للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ
النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي
فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم
معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة

الي القتل او ماسبق من المحرمات عُدْوَانًا وَظُلْمًا افراطا والتجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل
اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله
اياها وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صَلاه يصليه ومنه شاة مَصْلية ويُصليه بالياء والضمير
لله او لذلك من حيث انه سبب لصُلِيّ وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
يغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدًّا او صرّح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل
النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد ههنا انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما
فوقها وتحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عنّ له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من
الثواب على الاجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب
نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة
وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة
الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير
طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع
حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة
بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب
واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على

ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال
ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل ولكل ميت جعلنا
وارثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف
مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم
موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة
من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وعن ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا
على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط
وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان
وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى
عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة
الاخرى ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب
تفضيله الرجال نصيبهن على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال بسبب تفضيله
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة مجامع القضايا وو
جوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا
من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه السلام
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات
مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان

امرتها اطاعتك واذا غابت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه
الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على
ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او
طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن على مطا
وعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف
او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن از
واجكم او انه تعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرء وزوجها
اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول
كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقوله نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا
ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح
للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح
وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات
واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان
الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالفا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع
الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما
لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع
الله بينهما الالفة والوفاق ببينه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا

بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** صنماً
او غيره او شيئاً من الاشراك جلياً او خفياً **وبالوالدين احساناً** واحسنوا بهما احساناً **وبذي القربى**
وبصاحب القرابة **واليتامى والمساكين والجار ذي القربى** الذي قرب جواره وقيل الذي له مع
الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيماً **والجار الجنب** البعيد
او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق
الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من
اهل الكتاب **والصاحب بالجنب** الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المرأة **وابن السبيل** المسافر او الضيف **وما ملكت ايمانكم** العبيد والاماء **ان الله لا يحب
من كان مختالاً** متكبراً يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم **فخوراً** يتفاخر عليهم **الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل** بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ
خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتحتين
وهي لغة **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة **واعتدنا للكافرين عذاباً
مهيناً** وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعاراً بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافر النعم
فله عذاب يهينه كما اهان النعم بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحاً لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء
في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان **ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر** ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون **ومن
يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً** تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيداً لهم
بان يقرن بهم الشيطان في النار **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله**
اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان

المنفعة والاعتسار في الشئ على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم
بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا
فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص
والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب
اصغر شئ كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال من الثقل وفي ذكره
ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث
الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير
ونافع حسنةٌ بالرفع على كانت التامة نضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
تضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد
في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف فكيف حال هؤلاء
الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم تشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا
تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء
اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ
اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى
بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا
يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله
على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن
عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا
اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن

عوف

عوف صنع ما دبه ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة
المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي
المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر
من السكر وهو التشد وقرئ سكارى بالفتح على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكارى وسكرى كحبلى
على انها صفة الجماعة **ولا جنبا** عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي
اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري سبيل**
متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر
وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل و
فيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز
للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يجوز له المرور في المسجد الا
اذا كان فيه الماء او الطريق **حتى تغتسلوا** غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي
ينبغي ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف معه
عن استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه **او على سفر** لا تجدونه فيه **او جاء
احد منكم من الغائط** فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض **او لامستم
النساء** او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جا
معتموهن وقرء حمزة والكسائي لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة **فلم تجدوا ماء** فلم تتمكنوا
من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال
المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان
العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء **فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا
الباء زائدة وفي الكلام حذف تقديره فامسحوا وجوهكم منه او به يدل عليه ظاهره منه في وايديكم منه في المائدة ه كو
ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد
شيء من التراب كقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية

وسكرى هـ

والمحدث

لما دار من الدمن ومن الماء ومن الزبل ه كوبر

تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد بها هنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا
غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم
او القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التورية
لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه
او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية ويريدون
ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا
به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان
لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون
الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه
وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك
واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع
غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع
غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما
يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا
واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله
بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم من الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به

وهو

وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا
منهم آمنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس
وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء
او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس
في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها
واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني
اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها
بان تعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى
الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او مسخنا مثل مسخهم
او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات
او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة
في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا
بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضى به
مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا به ان الله لا يغفر ان يشرك به
لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما
دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا واول المعتزلة ا
لفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من
تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق
الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها والآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على
الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى
اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب
والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون
انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم

الى رسول الله فقالوا اهل على هولاء ذنب فقال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار ونفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على
ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم و
زكى المرتضين من عباده المومنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب
على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة
انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله واذكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء
اثما مبينا لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت
نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبدة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد رسول الله وقيل
في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول
الله فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا الهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو
الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين
كفروا لاجلهم وفيهم هولاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد سبيلا
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم
نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من
ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يوتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون احدا ما يوازي نقيرا
وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا
اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يوتون الناس
شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا
يوتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله عم واصحابه او العرب او الناس جميعا
لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم او انكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل
وهما شر الرذائل فكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما اتيهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة
والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد اتينا ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة

البنوة واتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله بمثل ما اتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد او بما
ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن
به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هولاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا
مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين
كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها بان يعاد ذلك بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه
اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل
تخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذ
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم
على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة و
ندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودايما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدايمة
والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة الحجبي عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت
انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله عم وصلى ركعتين فلما خرج
سال العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله ان يرده اليه فامر عليا رض
بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزول الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه
امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم
به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما يفعلون
في الامانات يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء

المسلمين في عهد الرسول عم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم
بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم في شيء
من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال
الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه الى الله فراجعوا فيه الى كتابه والرسول بالسؤال عنه
في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس فقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب
والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه
وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله عم فانه يدل على ان الا
حكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله وا
ليوم الاخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تا
ويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت عن ابن عباس رض ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعاه المنا
فق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى الرسول عم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه و
قال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رض قضى رسوله فلم يرض المنافق بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رض
للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل عم ان عمر قد
فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم
بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطا
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم
اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو
الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف

يكون

يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم
الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض
يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى
عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا
يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اى عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن
قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم وقل لهم في انفسهم اى في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر
انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب
وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول
الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك
على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن
الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به
فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما
عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضي هذا لقوله جاؤك تفخيما لشانه وتنبيها على
ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كباير الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا
ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤ
منون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك
او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية

أو مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا **او اخرجوا من دياركم** خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو
ويعقوب أنِ اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك أوُ اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله
ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل **ما فعلوه الا قليل منهم** الا اناس قليل وهم المخلصون لما بيّن ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم
نبّه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ
ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على معنى الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول
عم ومطاوعته طوعا ورغبة **لكان خيرا لهم** في عاجلهم وآجلهم **واشد تثبيتا** في دينهم لانه اشد لتحصيل
العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عم
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عم اسق يا زبير ثم احبس الماء
الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك **واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء **ولهديناهم صراطا مستقيما**
يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عم من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة
اكرم الخلائق واعظمهم قدرا **من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** بيان للذين او حال منهم او من ضميره فقسمهم
اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحثّ كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفا
يزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم
تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على
الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعات والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تع ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين
في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونوا كمن يرى الشيء قريبا
وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين

القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون **وحسن اولئك رفيقا** في معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله عم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسال عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم اركَ اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت **ذلك** اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم **الفضل** صفة **من الله** خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله **يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم** تيقظوا واستعدوا للاعداء والحِذر والحَذر كالاِثر والاَثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح **فانفروا** فاخرجوا الى الجهاد **ثبات** جماعات متفرقين جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه **او انفروا جميعا** مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات **وان منكم لمن ليبطئن** الخطاب لعسكر رسول الله عم المؤمنين والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا من بطؤ بمعنى ابطأ وهو لازم او يبطئون غيرهم كما بطأ ابن أُبي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن **فان اصابتكم مصيبة** كقتل وهزيمة **قال** اي المبطئ **قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا** حاضرا فيصيبني ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله** كفتح وغنيمة **ليقولن** اكده تنبيها على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من **كأن لم تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما** للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم

عن الجهاد ح

يستغني

بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من المثقلة واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص
عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم و
قيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك
الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين
يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن يقا
تل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا
في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على
ان المجاهد ينبغي ان يكون ثابتا في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون
قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله
حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين و
يجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخيرات وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار
اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها
على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر
ففتح مكة على نبيه عم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز
اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى
على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما

يصلون

يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الشيطان فقاتلوا اولياء

الشيطان لما ذكر مقصود الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان

كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه

به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شئ واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم

اى عن القتال فى مكة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال

اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل

عليهم باسه واذا للمفاجات جواب لما وفريق مبتداء ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة

المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية

الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب

ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض

اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية

الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل

قريب استزادة فى مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه

فى انفسهم فحكى الله عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضى والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون

فتيلا ولا تنقصون ادنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة

والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى

قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتداء واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم فى

بروج مشيدة فى قصور او حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت

المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة و

مشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة

يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية

وهما المراد فى الاية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك

وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد عم المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها

قل كلّ من عند الله يقبض ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبّروا معانيه لعلموا انّ الكلّ من الله او حديثا ما
كبهايم لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان فيتفكّروا فيها فيعلموا انّ الباسط والقابض هو الله
تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضّلا منه فانّ كلّ ما يفعله الانسان من
الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عم ما احد يدخل الجنّة الّا برحمة الله
قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيّئة من بليّة فمن نفسك لانّها السبب فيها لاستجلابها
المعاصي وهو لا ينافي قوله كلّ من عند الله فانّ الكلّ منه ايجادا وايصالا غير انّ الحسنة احسان و
امتنان والسيّئة مجازاة وانتقام كما قالت عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الّا بذنب وما يعفوا الله اكثر والآيتان كما ترى
لا حجّة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علّق الجارّ بالفعل والتعميم
ان علّق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الّا كافّة للناس ويجوز نصبه على المصدر
كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على ارسالك بنصب المعجزات من يطع الرسول
فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلّغ والآمر هو الله روى انه عليه السلام قال من احبّني فقد احبّ الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك خالط
وهو ينهى عنه ما يريد الّا ان نتّخذه ربّا كما اتّخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولّى من طاعته
فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انّما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منّا طاعة واصلها النصب
على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيّت طايفة منهم غير
الذى تقول زوّرت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما
من البيتوتة لانّ الامر تدبّر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوّى وتدبّر وقرا ابو
عمرو وحمزة بيّت طايفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيّتون يثبته في صحايفهم للمجازاة
او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلّل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكّل على
الله في الامور كلّها سيّما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبّرون القرآن

يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند
غير الله اى لو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى و
تفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وتصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض
اخباره المستقبلة للواقع دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل
ذكره هنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال
في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به
افشوه كما يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلعم او اخبرهم
الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم
مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه اى ولو ردوا ذلك
الخبر الى الرسول والى اولي الامر منهم الى رايه وراى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء
لعلمه اى لعلم تدبير ما اخبروا به على اى وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم
وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط استخراج النبط وهو الماء
يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسل وانزال الكتب لاتبعتم
الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به
الى الحق والصواب او عصمة من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا
قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل
نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله تعالى ناصرك
لا الجنود روي انه عم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه
الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف على الجزم ولا نكلف بالنون وكسر اللام على بناء الفاعل
اى لا نكلف الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم لانا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله وحرض المؤمنين
على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد

فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا **والله اشدّ باسًا** من قريش **واشدّ تنكيلًا** تعذيبا منهم وهو تقريع

وتهديد لمن لم يتبعه **من يشفع شفاعة حسنة** راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا

ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال عم السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له

الملك ولك مثل ذلك **يكن له نصيب منها** وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها **ومن يشفع**

شفاعة سيئة يريد بها محرما **يكن له كفل منها** نصيب من وزرها مساو لها في القدر **وكان الله على كل**

شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على

اسائته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظ **واذا حييتم بتحية فحيوا**

باحسن منها او ردّوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منها وهو ان يزيد عليه

ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله عم

السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة

الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية

فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار

وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا

الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة

ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك

ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب

وهو قول قديم للشافعي رحمه الله **ان الله كان على كل شيء حسيبا** يحاسبكم على التحية وغيرها **الله لا اله**

الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر **ليجمعنكم الى يوم القيمة** اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم

القيمة او مفضين اليه او في القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة

وهي قيام الناس من القبور او للحساب **لا ريب فيه** في اليوم او الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر

ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه

لانه نقص وهو على الله تعالى محال **فما لكم في المنافقين فئتين** فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين

ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله عم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة

فلما

فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت
في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن
او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما كفوله فما لك قائما وفي
المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد
من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس
رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكو
نون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز
فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة
هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة
او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا
ولا نصيرا اي جانبوهم راسا لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم و
بينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل
بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال
قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم
كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة
بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ
حصرة صدورهم او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو
مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط

وحصرات صدورهم ح

صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم تكفوا عنهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعر
ضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذ
ن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد
وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا
كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا
اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد و
يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد
الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا
حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق
الا خطأ لانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال
الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل
ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه
القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم
في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا
بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد
في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة
كما عبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله
صلعم يأمرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى
بيت المال فان لم تكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه

وتنبيها

وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان
كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة اى ان كان المومن المقتول من قوم كفار محاربين
او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة اى وان كان من قوم
كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معا
هدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين
فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه
اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة
من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر به شانه ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس
لا تقبل توبة قاتل المومن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص
بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب وآمن ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او
المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلايل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن عامر
وحمزة السلم بغير الف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مومنا وانما فعلت
ذلك متعوذا وقرئ مومنا بفتح الميم اى مبذولا له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك
التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم في
الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم

فمنّ الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبيّنوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنًّا بانهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفًا فان ابقاء الف كافر
اهونُ عند الله من قتل امرئٍ مسلمٍ وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم
ان الله كان بما تعملون خبيرًا عالمًا به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي
ان سريّةً لرسول الله صلعم غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقةً باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه
الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مرّ برجل في غُنيمة فاراد قتله فقال
لا اله الا الله فقتله فقال ودّ لو فرّ باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وانّ المجتهد قد يخطئ
وانّ خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من القا
عدين او من الضمير الذي فيه غيرُ اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم
او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجرّ على انه صفة
للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم
وكيف وانا اعمى فغشيَ رسولَ الله صلعم في مجلسه الوحيُ فوقعت فخذُه على فخذي حتى خشيت ان
ترضّها ثم سُرّي عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهد
ون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علّة وفائدته
تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعًا لرتبته وانفةً عن انحطاط منزلته
فضّل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه
والقاعدون على التقييد السابق ودرجةً نصب بنزع الخافض اي بدرجة او نصب على المصدر
لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرّة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلًّا من القاعدين وا
لمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت
في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضّل الله المجاهدين على القاعدين اجرًا عظيمًا نصب
على المصدر لانّ فضّل بمعنى أجَرَ او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة
على القاعدين اجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرةً ورحمةً كل واحد منها بدل من اجرًا ويجوز ان ينتصب

درجات

درجات علا المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرًا علا الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرةً ورحمةً
علا المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل
المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول
هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون
الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين
توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله
يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال
ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا
كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار
الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا لتركهم الواجب الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماو
يهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى
الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم
وهو جملة معطوفة علا الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دل
يل علا وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم
عم ونبيه محمد صلعم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم
دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد
به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم علا صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقد
روا علا الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون

حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة المستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الحيلة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او
بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر
خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم
قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف
اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله و
كان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الوا
جب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف
على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك
فمات عليه واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتقصير
ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر وان عايشة اتمت
مع رسول الله ... وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو
حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رضي الله عنها
اول فرضت الصلوة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا
فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل
الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان
بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند
ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند
سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر
في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه

ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال
والتعرض بما يكره **وَاِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ** تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة
الرسول لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لياتم به الائمة بعده وانهم
نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره **فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ** فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما
معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو **وَلْيَاْخُذُوا اَسْلِحَتَهُمْ** اي المصلون
حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم **فَاِذَا سَجَدُوا** يعني
المصلين **فَلْيَكُونُوا** اي غير المصلين **مِنْ وَرَائِكُمْ** يحرسونهم يعني النبي ومن يصلي معه
فغلب المخاطب على الغائب **وَلْتَاْتِ طَائِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا** لاشتغالهم بالحراسة **فَلْيُصَلُّوا
مَعَكَ** ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان
اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما
حتى يتموا صلاتهم منفردين وتذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية
ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عم بذات الرقاع
وقال ابو حنيفة رح يصلي بالاولى ركعة ثم يذهب هؤلاء وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى
فيصلي معهم ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير
قراءة وتتم صلاتها وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها **وَلْيَاْخُذُوا حِذْرَهُمْ
وَاَسْلِحَتَهُمْ** جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ
فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً** تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة
وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح **وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِنْ مَطَرٍ اَوْ كُنْتُمْ
مَرْضٰى اَنْ تَضَعُوا اَسْلِحَتَكُمْ** رخصة لهم في وضعها اذا ثقل اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما
يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب **وَخُذُوا حِذْرَكُمْ** امرهم مع ذلك باخذ الحذر
كيلا يتهجم عليهم العدو **اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا** وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار
بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان

الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ اديتم وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوبها تامة إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة رض لا يصلي المحارب حتى تطمئن قلوبهم وَلَا تَهِنُوا ولا تضعفوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ في طلب الكفار بالقتال إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال داير بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة النهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا باعمالكم وضمايركم حَكِيمًا فيما يامر وينهى إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلعم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ اي لاجلهم والذات عنهم خَصِيمًا للبراء وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مما هممت به إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا لمن يستغفره وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته وخاصموا عنه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا مبالغا في الخيانة مصرا عليها أَثِيمًا منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ يستترون منهم حياء وخوفا وَلَا يَسْتَخْفُونَ

بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا ...

من الله وهو احق بان يستحيي منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك
ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البري
وحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء
مبتدا وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولى وقوع هؤلاء خبرا او صلة عند
من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن
عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد
بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله
غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما
فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما
كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما
دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول
وجمعه للتعظيم اوله ولامته فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم لهمت طائفة
منهم اي من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد
فيهم الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله
عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا
في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجويهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم
فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع
بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر
هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح

والمراد لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون من الحديث الا ما كان من اعمال الخير

قال الواحدي رحمه الله النجوى في اللغة سر بين اثنين يقال ناجيت الرجل مناجاة ونجاء ويقال نجوت الرجل انجوه بمعنى ناجيته والنجوى قد تكون مصدرا بمنزلة المناجاة قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة ... واذ هم نجوى

ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على

الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار

الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا

رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا

ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له

الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله

ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون

من صلاه وساءت مصيرا جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع

غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من

شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان

اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم

وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما

دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك

في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة

وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله

فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما

ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى

التبني على الله ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه

ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا قرادا فاذا كبر سمي حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث

انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا

لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط

حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد

وانثا

وَأُنُثًا على انه جمع انيث كخُبُث وخبيث ووُثُنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كأُسُد وأسد وأُثُنًا بها على قلب الواو لضمها همزة **وَإِنْ يَدْعُونَ** وان يعبدون بعبادتها **إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا** لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها **لَعَنَهُ اللَّهُ** صفة ثانية للشيطان **وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افضع الضلال لثلثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ** عن الحق **وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ** الامانى الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ** يشقونها لتحريم ما احل الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصا مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصا البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا **وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ** بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته **فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا** اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار **يَعِدُهُمْ** ما لا ينجز **وَيُمَنِّيهِمْ** ما لا ينالون **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه **أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا** معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل

وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اى وعده وعدا
وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان
ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده و وعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال
من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية
الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق اى ليس وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى
اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل
روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى
بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت و
قيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار
او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال
من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم
اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله و
ليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه ومن
يعمل من الصالحات بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى فى
موضع الحال من الضمير المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لاعتداد دونه فيه فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب
العاصى لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان
ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابرا

ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مايلا عن ساير الاديان وهو حال من المتبع او الملة او
ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفيه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل وانما اعاد ذكره ولم
يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل
فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطر
يقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استينا في جيء بها للترغيب في اتباع ملته
والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا
ما اصاب الناس واجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغراير حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم عم ساءه
الخبر فغلبته عيناه فنام فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت واستيقظ
ابراهيم فاشتم رايحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله
عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم
على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها
ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عم فقال اخبرنا
انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك
امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
عطف على اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني
زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتداء وفي الكتاب خبره وا
لمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه
قيل اقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء
صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم
على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها

اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى
كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو
يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان
العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم
كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان
تقوموا وهذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن
ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا
لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وا
مرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا
بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين
المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر
كما في قراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح خير
من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور
كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر
عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماسكة ومعنى احضار
الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير
في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا
في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها
الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا

بين

بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان
ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا
ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى
من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما
عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا
في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين
ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان
تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم
ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما
وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته
حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان
جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكما
لات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه تع توكل بكفايتهما
وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب
ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك
من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد
لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه
معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول صلعم يده على سلمان وقال

انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فما له يطلب اخسّهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف
منهما فان من جاهد خالصا لله لم تُخطِئْهُ الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا
بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر
ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقرّوا عليها لان الشهادة بيان
الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن
اي المشهود عليه او الشاهد كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة
الشهادة او لا تُجوِّروا فيها ميلا وترحّما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة
عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة للجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه
المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوُحِّدَ ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم
عن الشهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة ثم اديتموها
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب
للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمِنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اُثبُتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا
بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان و
الكتاب الاول القرآن والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان
الذين آمنوا يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده ثم كفروا
بعيسى عم ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليه وعليهم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصرّوا

على الكفر

على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان
يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضريت بالكفر وبصايرهم عميت عن الحق لا انهم
لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل
ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين
وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق و
افساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون
عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه الله وقد كتب
الله العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم
وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القران وقرئ نزل والقايم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات
الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جيئ بهما لتقييد
النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازيا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من
قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله
يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم
او الكفر ان رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار كانوا منافقين
ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم
واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى المبني كقوله مثل ما انكم تنطقون
الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين وا
لكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتداء خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم
نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء

وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكا
فرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون
اذا عادا الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام في اول
سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن
الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه
عمله وهو يريه احسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله
اولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها
فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يرا
ؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر
من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين
الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تع ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع
المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة في
قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله
صلعم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه

لانه

لانه يجمع على ادراكه ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في
الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع
والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله با
لايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا
فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير
ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من
ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب
عليه فنزلت وقرئ على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه
الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه
او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال
قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حثّ المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الا
نتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا
بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله
وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال
كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة
بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا
اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا

بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه
وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد
والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين
الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التورية او
كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا السؤال وان كان من
ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهداهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وانما
اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة
او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم و
هو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم
والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان
موسى والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على
لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في
زمن داود عم وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم اي فخا
لفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم
لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة

وقولهم

وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فيه جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن وبما في كتابهم وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها
بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ
فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى
وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما
عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى
ثم بمحمد عليه السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوا استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وان يكون استينافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم
الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله انه يرفعه الى السماء فقال لأصحابه ايكم يرضى
ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس
اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب
وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جرأتهم
على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه
مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او الى الامر على
قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا
على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني
الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله

ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا
يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها
العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه
بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما
فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد
الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى
والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين
تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى
معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايما
نهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل جميعا روى انه
ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون
الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر وا
لذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه
المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصا
رى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
اى ههنا سؤال عن اى ظلم
لهم يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وامن لكن الراسخون فى العلم منهم
كعبد الله ابن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء

على تقدير العطف يجعل يؤمنون حالا واولئك خبرا

وقيل

وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون

المراد من الاوجه المذكورة العطف على الراسخون او المضمر في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم

الزكوة لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب

وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالاية اُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ اَجْرًا عَظِيمًا جمع لهم بين الايمان

الصحيح والعمل الصالح اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ جواب لاهل

الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر

الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب و

يونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي

العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا قرا حمزة

زُبُورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره

قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم

الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وفضل الله محمدا صلى الله عليه

وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار

ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس

على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان

بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها

واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر

منه اذا جعل للناس خبر كان على الله حال وبالعكس

حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريد حكيما

فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم

ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا

اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل

اليك من القران المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت

انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من

يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعا

والجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها
والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على
وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى
الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها
وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل
يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلعم بانكار نبوته
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والآية تدل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا
طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد
في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها
الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد
بالرد فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الا
يمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط
وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر
بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه
وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في د
ينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى
في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا
الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها
الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى
الاصل والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله

ولا تقولوا ثلثة اى الالهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تع ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب والابن وروح
القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث
خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان
ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يماثله مثل ويتطرق اليه الفناء
له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا
تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قايم بحفظ الاشياء كاف
في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته
باصبعك كيلا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف
يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال عم ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول
قالوا تقول انه عبد الله قال عم انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبد الله تع واحتج به من
زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية
وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالد
ليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثر دون التكبير كقولك
اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملا
ئكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء
وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث
لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذ
ين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا

واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل
للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد
للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني بالبرهان المعجزات
وبالنور القران اي جاءكم دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل
البرهان الدين او رسول الله او القران فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
في رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان
زايد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة
في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة يستفتونك اي في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه روي
ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلعم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي
فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في اوايل السورة
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر
وليس له ولد صفة له او حال عن المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد
بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة و
الولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها
لا ترث النصف وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد
ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب
الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت
السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على
المعنى وفايدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر
وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا
اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم

اذا

اذا حليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل
لئلا تضلوا فحذفت لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا
والممات عن النبي عم من قرء سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا
واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز
عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد
العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله
الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على
عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها
مما يجب الوفاء به او يحسن به ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة
الانعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام
للبيان كقولك ثوب خز معناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر
الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها
الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى
عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه
تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في محلي الحرم جمع حرام وهو
المحرم ان الله يحكم ما يريد من عبيد او تحريم يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام
النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده
ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع
جدية السرج ولا القلائد اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها
اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره
قوله تع ولا يبدين زينتهن ولا القلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء الشجر او غيرهما

لِيُعَلِّمَ به انه هدي فلا تتعرضوا له **ولا آمّين البيت الحرام** بالقتال قاصدين لزيارته **يبتغون فضلاً من ربهم**
ورضواناً ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمّين وليست صفة له لانه عامل
والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفايدته استنكار ان يتعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع
له وقيل معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية
في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق
سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا**
اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي
بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جداً
وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل **ولا يجرمنكم** لا يحملنكم او لا يكسبنكم **شنان قوم** شدة بغضهم و
عداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرء ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش
عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر
كعطشان وسكران **ان صدوكم عن المسجد الحرام** لان صدوكم عام الحديبية وقرء ابن كثير و
ابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم **ان تعتدوا** بالانتقام ثاني
مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرئ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا
من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين **وتعاونوا على البر والتقوى** على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى صح **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** للتشفي والانتقام
واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد **حرمت عليكم الميتة** بيان ما يتلى
عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية **والدم** اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اي
ما رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **والمنخنقة** التي ماتت بالخنق
والموقوذة المضروبة بنحو خشب حتى تموت من وقذته اذا ضربته **والمتردية** التي تردت
من علو او في بئر فماتت **والنطيحة** التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل **وما اكل السبع**
اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل **الا ما**
ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع

والذكوة

والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت
منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على
اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على
احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان
خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم
دون ما لم يقسم له بالازلام وقيل استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام
زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال
باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
او الميسر المحرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد العصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا
من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا
تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرايع
وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم
منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكاملة والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى
تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مايل له ومنحرف اليه بان يأكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله
يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا
وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سايغ في امثاله
والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل

لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب
او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة
على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد
على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير **مكلبين** معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب
الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر او لان كل سبع
يسمى كلبا لقوله عم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة
في التعليم **تعلمونهن** حال ثانية او استيناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التاديب فان
العلم بها الهام من الله او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع
الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه **فكلوا**
مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك
على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا
الحد متعذر وقال الآخرون لا يشترط مطلقا **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم والمعنى
سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته **واتقوا الله** في محرماته
ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق **اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين**
اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا
شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية لقوله عم سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه
منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك **والمحصنات من المؤمنات** الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث
على ما هو الاولى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** وان كن حربيات وقال
ابن عباس لا تحل الحربيات **اذا آتيتموهن اجورهن** مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد
وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها **محصنين** اعفاء بالنكاح **غير مسافحين**
مجاهرين بالزنا **ولا متخذي اخدان** مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى **ومن**

ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرايع الاسلام
وبالكفر به الكفر والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم
القيام كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز
والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا
قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قايم
الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الخمس بوضوء
واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صَنَعْتَ شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدًا فعلتُه فقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك
اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم
الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى
ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك
لم يبق معنًى للتحديد ولا لذكره مزيدُ فايدةٍ لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية
مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن
في الاية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية
تقتضي خروجها والا لم يكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل
لكن لما لم يتميز الغاية ههنا من ذي الغاية وجب دخولها احتياطا وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه
ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم
وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم
واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو
حنيفة مسح ربع الراس لانه عم مسح ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم

ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره بالجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تع عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قرءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة

وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة والامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا

اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرّح لهم الامر بالعدل وبيّن انه بمكان
من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبيّن انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار
فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا
الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الا
هتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نايرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء لقوله لهم مغفرة فانه
استيناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال
وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد
وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي
ان المشركين راوا رسول الله صلعم واصحابه رض بعُسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلّوا
ندموا الّا كانوا اكبّوا عليهم وهمّوا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فردّ الله كيدهم بان
صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى قريضة ومعه
الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضَّمري خطأً يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونُقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الي رحًى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابي فسلّ
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرئيل من يده فاخذه الرسول وقال من يمنعك
مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه
اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى
الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه

وينقب عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من
فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة
الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني
ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار
ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم
الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله
اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم
وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد
ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا
لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية و
جعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي
اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من
القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون
الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله
والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا
حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا
التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشومه اشياء
منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية
ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى

ان

ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا
وهم الذين آمنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح
ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب
المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخاين احسان
فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى و
اخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا
انا نصارى قوم اخذنا وانما قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء
لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غرى بالشيء اذا لصق به بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية و
ملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب
يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلعم وآية الرجم في التو
راية وبشارة عيسى عم باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم
يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز
وقيل يريد بالنور محمد عليه الصلوة والسلام يهدي به الله وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل
السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع
الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو
اقرب الطرق الى الله ومؤدى اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن
مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه
لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم تو
ضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا

قال صح

ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره
ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله
ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم
من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق من غير اصل كما خلق السموات والارض
ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كما خلق حوا او من انثى وحدها كعيسى او منهما كساير الناس وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الز
بير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة
آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب
لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم
بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به
وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم معاملة ساير الناس لا مزية
لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير
فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي
الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى و
يبذل لكم البيان والجملة في موقع الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق
بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم
بشير ونذير متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير
فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبي وعلى الارسال على الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة
او خمسمائة وتسع وتسعون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن
سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج

مايكون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى
عليه السلام وهموا بقتل عيسى عليه السلام وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما اتاهم الله وقيل المراد بالعالمين
عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك
لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون
مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا
على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا
وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم
بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا
الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا
تتأتى منا ومنهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على
ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة
لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه
وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل
والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين
يخافون بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاضافة اي من الذين يخوفون من الله
بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض
ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار
فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب

فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تع
في نصرة رسله وما عهدا من صنيعه لموسى عم في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
اي مؤمنين به ومصدقين بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا
ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال
رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم
يبق معه موافق يثق به غير هارون عم والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد
من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على
اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكو فيين عطفا على الضمير
في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه
او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة
فيكون التحريم موقتا غير موبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويويد ذلك ما روي ان موسى
عم سار بعد بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض [وقيل انه قبض صح] في التيه ولما احتضر
اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة فصار الشام
كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد
قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة او
لادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصبح الى المساء فاذا هم بحيث ار
تحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن و
السلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان
ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل
يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء بغتة فيه غير كالب ويوشع فلا تاس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى عم لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبا ابني آدم

قابيل

قابيل وهابيل اوحى الله تعـ ادم عم ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لان
توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت
نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه وانهما رجلان من
بني اسرايل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل **بالحق** صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق
او حال من الضمير في واتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين **اذ قربا قربانا**
ظرف النبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان
اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو في الاصل
مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع
وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا **فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر** لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده **قال لاقتلنك**
توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك **قال انما يتقبل الله من المتقين**
في جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى
ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا
لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق **لئن
بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين** قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله
لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء **اني اريد ان تبوء باثمي
واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** تعليل ثان للامتناع عن المعارضة
والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك
الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك
الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله

لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد
ان يكون لك لا لي فالمراد بالذنب ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يراد بالاثم عقوبته وارادة
عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع
اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا
ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء و
قيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوا
ري سواة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني
آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد
بسواة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها
بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون
وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله
على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه
لما قتله اسود جسده فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك
وتبرء عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في
تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل
تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب ونشوءه من اجل ذلك انه من قتل نفسا
بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها
كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء و

وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب
العظيم وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل
او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس
واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال
تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد
الاعتدال في الامر إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون
جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة با
للصوصية وان كانت في مصر وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او
المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل يفسدون في الارض فسادا أَنْ يُقَتَّلُوا اى قصاصا من
غير صلب ان افردوا القتل أَوْ يُصَلَّبُوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ اى بقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ينفوا
من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رضي
الله عنه النفي بالحبس واو في الاية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات
في كل قاطع الطريق ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ذل وفضيحة وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
لعظم ذنوبهم إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ استثناء مخصوص بما هو حق الله
تع ويدل عليه قوله تعالى فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد
وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل
القدرة وبعدها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ اى ما تتوسلون به الى
ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث

الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالو
صول الى الله والفوز بكرامته إن الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا
ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف تستد
عيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم
الاشارة في نحو قوله عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو
ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص عنه ولهم عذاب
اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم حكم السارق
والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذي
سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل
والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما
يساويه لقوله صلى الله عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث
وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود
ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع الاثنين كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه
واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور الى انه الرسغ لانه عم
اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر
ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته
واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق
المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي عليه السلام
او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب
على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا

يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اى صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا في اظهاره
اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء
متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر مبتداء محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز
ان يكون مبتداء ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين
السماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا
عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك
لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون
ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله
فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة
اخرى لقوم او صفة سماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف
اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه وا
عملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتيكم به روى
ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة
ليسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا
هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه
وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في
الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود

في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب
كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرء
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتين كالعنق وقرى بفتح السين على لفظ المصدر
فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه
بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي و
الاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والاية
ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة رحمه يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعا
دوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به
ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف
وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة و
دوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف
على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه
ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم
من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من
قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القايل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين
مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء
هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا

او شهداء يبيّنون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ نهى للحكام ان يخشوا
غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ولا تستبدلوا
باحكامي التي انزلتها ثَمَنًا قَلِيلًا هو الرشوة والجاه وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مستهينا به منكرا
له فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون
والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة
من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه
في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ وفرضنا
على اليهود فِيهَا في التورية أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ اى ان النفس تقتل بالنفس وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على انّ وما في حيّزها
باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان
على الجمل كالقول او مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في
قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبيّنة للمعنى
وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ اى ذات
قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل
فَمَنْ تَصَدَّقَ من المستحقين بِهِ بالقصاص اى فمن عفا عنه فَهُوَ فالتصدق كَفَّارَةٌ لَهُ
للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فا
لمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منه شيء وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
من القصاص وغيره فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ اى واتبعناهم على آثارهم
فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مفعول ثان عُدّي
اليه الفعل بالباء مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وقرئ بفتح الهمزة
فِيهِ هُدًى وَنُورٌ في موضع النصب بالحال وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ عطف
عليه وكذا قوله وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف

او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه وقرأ حمزة وعلى الاول اللام
متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان قم
اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن
الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه
من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه
ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول
اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل
الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف او حال من فاعله اي لاتتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل
جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما
هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا
وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول شاء محذوف دل عليه
الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا
استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان
احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق
اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم

واحذرهم

واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه
وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود
وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان
تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم
يعنى ذنب التولى عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمته
واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد او
يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الكفر
معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجا
هلية الملة التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم
بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم الجاهلية على انه
مبتداء ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة كما فى قوله اهذا الذى بعث الله
رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ الحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم
بحسب شهيتهم وقرا ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله هيت لك اى هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان
لا احسن حكما من الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة
النهى فانهم متفقين على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم
ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد فى وجوب مجانبتهم
كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما او لان الموالى لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى
القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يعني ابن أُبَيّ واضرابه يُسَارِعُونَ فِيهِمْ اى فى موالاتهم ومعاونتهم
يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ يعتذرون بانهم يخافون ان يصيبهم دائرة من دواير الزمان
بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روى ان عُبادة الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من موالاتهم واوالى الله ورسوله فقال
ابن أُبَيّ انى رجل اخاف الدواير لا ابرأ من ولاية موالىّ فنزلت فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ يقطع شافة اليهود من القتل والاجلا
او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فَيُصْبِحُوا اى هؤلاء المنافقين عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ
نَادِمِينَ على ما استبطنوه فى الكفر والشك فى امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتداء ويؤيده قراءة ابن
كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان يأتى الله
بالفتح ويقول الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه
من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان
أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا
من حال المنافقين وتبجحا بما منّ الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين
حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل
مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر
مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا
خَاسِرِينَ اما من جملة المقول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه
قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قراءة على
الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله
تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مُدلج
وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تَنَبَّأ بِاليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى

ليلةً قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدِها وأخبر الرسول في تلك الليلة فسرّ المسلمون وأتى الخبر
في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبّاء وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول
الله الى محمد رسول الله امّا بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
امّا بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين وقتله
الوحشي قاتل حمزة وبنو اسدٍ قوم طليحة بن خويلدٍ تنبّاء فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدًا
فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامُهُ وفي عهد ابى بكر سبعٌ فزارةُ قوم عُيَيْنَةُ بن حصن وغطفان
قوم قرة بن سَلَمَةَ وبنو سُلَيْم قوم الفجاءة بن عبد ياليلَ وبنو يربوعَ قومُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ وبعضُ تميمٍ قومُ
سجاحَ بنت المنذرِ المتنبّئةِ زوجة مُسَيْلِمَةَ وكندة قوم الاشعث بن قَيْسٍ وبنو بكر بن وآئلٍ بالبحرين قوم الحطم
بن زيد وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله عنه غسانُ قومُ جبلَةَ بن الايهم تنصّر وسار الى الشام
فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قيل هم اهل اليمن لما روي انه عم اشار الى ابي موسى
الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفُرْسُ لانه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا
وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة
آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تع لعباده
ارادة الهدى وتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز
عن معاصيه أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلولٍ فان جمعه ذُلُلٌ واستعماله
مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم او للمقابلة أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ شداد متغلبين عليهم من عَزَّهُ اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ
عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجا
هدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود
فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذَلِكَ
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ يمنحه ويوفق له وَاللّهُ وَاسِعٌ كثير الفضل
عَلِيمٌ بمن هو اهله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ لما نهى عن موالات الكفرة ذكر عقيبه

من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه
على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون الزكوة في حال
ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضى الله عنه حين ساله سائل وهو راكع
في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف
فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيئ بلفظ الجمع
لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا يبطلها وان
صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب
الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل
ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وهم الغالبون وتنويها بذكرهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير
هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة
بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم
على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل
الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على النهى عن موالاة
من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم
يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم
مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة
او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير
شرارة في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق
والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون تعالى نعم

منه كذا

منه كذا اذا انكره، وانتقم اذا كافاه، وقرئ تَنقَمُونَ بفتح القاف وهو لغة اِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ
اِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ الايمان بالكتب المنزلة كلها وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ عطف على ان آمنا
وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم
خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اى وما تنقمون منا
الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة
انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الا
نصاف والآية خطاب ليهود سالوا رسول الله عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى
قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ
مِنْ ذٰلِكَ اى من ذلك المنقوم مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة
بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر
مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ بدل من بشر على حذف مضاف
اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اى هو من لعنه الله
وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ
بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين
في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ عطف على صلة من
وكذا عُبِدَ الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُدَ الطاغوت بمعنى صار معبودا
فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا وعابد الطاغوت او عَبُدَ على انه نعت كفَطُن
ويَقُظ او عَبَدَةَ او عُبَّدَ الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عَبَدَة فحذفت التاء للاضافة عطفه
على القردة ومن قرا وعَبْدِ الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله وقرا حمزة وعَبُدَ الطاغوتِ بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء
ونصب التاء أُولٰئِكَ اي الملعونون شَرٌّ مَكَانًا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة
على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ قصد الطريق المتوسط بين غُلُوّ

النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في
الشرارة والضلال وَاِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا نزلت في يهود نافقوا رسول الله او في عامة
المنافقين وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وان كان الرسول صلى الله عم يظنه ولذلك قال وَاللّٰهُ اَعْلَمُ
بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ اي من الكفر وفيه وعيد لهم وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ اي من اليهود والمنافقين
يُسَارِعُونَ فِي الْاِثْمِ اي الحرام وقيل الكذب كقوله عن قولهم الاثم وَالْعُدْوَانِ الظلم او مجاوزة الحد
في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ اي الحرام خصه بالذكر
للمبالغة لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لبئس شيئا عملوه لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْاَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ
وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل
افاد التحضيض لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان
بعد تدرب فيه وتروٍّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس
تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ
اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او
بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده و
نظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا دعاء عليهم بالبخل والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل
الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبني سب الله دابره بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية
الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج
وما يعطي للاكرام يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب
مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر و

لا

ولانها مضاف اليها وكلا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازورا
فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الا
خرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون
كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم بان اوقع بينهم
منازعة وكف عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمون وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم في
الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل
الكتاب امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اى التى
فعلوها ولم نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم
معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت الرسول والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم
يعني ساير الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرات الاشجار
وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين
بذلك ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم
وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اى بئس ما يعملونه وفيه معنى
التعجب اى ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل اى وان لم
تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض

اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيا منها كقوله تع فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ عدة وضمان
من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ لا
يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله
اليّ ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رض كان رسول الله صلى الله عم
يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر
الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه
فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ اى دين يعتد به ويصح ان يسمى
شيئا لانه باطل حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ومن اقامتها الايمان بمحمد عم
والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة
له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا
والصابئون كذلك كقوله فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق
وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن
آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ عن الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر
المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون
الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب
بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا في محل الرفع

بالابتداء

بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات
ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا
لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل
الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس
الاي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء
وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان
وان بما في حيزهما سادة مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق
كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة
الفاشية أعمى وأصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث
او خبر مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته
او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع
المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين
من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالا
شراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها

على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة
وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من إله الا إله واحد وما في الوجود ذات واجب
مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا
للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتو
حيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم
من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده فقد
احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عم وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام
وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان
الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية
لان كثيرا من الناس شاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد
المركبات الكاينة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة انظر كيف نبين
انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب
واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى عم
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به
من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من
هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه
اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها ان خيرا فخيرا وان شرا
فشرا قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى عم الى ان تدعوا

لهم الآيات ثم انظر

له الالهية

الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم
واضلوا كثيرا من اشياعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي
هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني
اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
لعنهم داود عم فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عم ولعنهم فاصبحوا خنا
زير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي
للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم
بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى
كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى سخط الله والخلود في العذاب او
علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد به نبينا وما انزل اليه ما اتخذو هم
اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في
نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم
وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب
الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم
ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان
منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان

كانت في كافر وَاِذَا سَمِعُوا مَا اُنْزِلَ اِلَي الرَّسُولِ تَرَى اَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ عطف علي لا يستكبرون
وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الي قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء
فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء تفيض بانفسها مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ من الاولي
للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف
اذا عرفوا كله يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بذلك او بمحمد صلعم فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ شهدوا بانه حق او بنبوته
او من امته الذين هم شهداء علي الامم يوم القيمة وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ اَنْ يُدْ
خِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع
في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير
والعامل ما في اللام من معني الفعل اي واي شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما اي ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف علي نؤمن او خبر
محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولي مقيدا بها او نؤمن فَاَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا
قَالُوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلعم بكتابه فقراه ثم دعا
جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرء عليهم القران
فقرء سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا علي
رسول الله صلعم فقرء سورة يس فبكوا وآمنوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اُولَئِكَ اَصْحَابُ
الْجَحِيمِ عطف التكذيب بايات الله علي الكفر وهو ضرب منه لان القصد الي بيان حال المكذبين وذكرهم
في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ
مَا اَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصاري علي ترهبهم والحث علي كسر النفس
ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال وَ
لَا تَعْتَدُوا اِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الي ما حرم
عليكم فيكون الاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الي القصد بينهما روي ان رسول الله

صلعم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ فی انذارهم فرقوا واجتمعوا فی بیت عثمان بن مظعون واتفقوا
علی ان لا یزالوا صایمین قایمین وان لا ینامو علی الفرش ولا یاکلوا اللحم والودک ولا یقربوا النساء والطیب
ویرفضوا الدنیا ویلبس المسوح ویسیحوا فی الارض ویجبوا مذاکیرهم فبلغ ذلک رسول الله صلی الله علیه وسلم
فقال لهم انی لم اومر بذلک ان لانفسکم علیکم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانی اقوم وانام و
صوم وافطر واکل اللحم والدسم واتی النساء فمن رغب عن سنتی فلیس منی ونزلت وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ای کلوا ما احل لکم وطاب مما رزقکم الله فیکون حلالا مفعول کلوا ومما حال منه تقدمت
علیه لانه نکرة ویجوز ان یکون من ابتدائیة متعلقة بکلوا ویجوز ان مفعولا وحلالا حال من الموصول
او العاید المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلی الوجوه لو لم یقع الرزق علی الحرام لم یکن لذکر الحلال
فایدة زایدة وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ هو ما یبدوا من المرء بلا قصد
کقول الرجل لا والله بلی والله والیه ذهب الامام الشافعی رض وقیل الحلف علی ما یظن انه کذلک ولم یکن والیه
ذهب ابو حنیفة رض وفی ایمانکم صلة یؤاخذکم او اللغو لانه مصدر او حال منه وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
بما وثقتم الایمان علیه بالقصد والنیة ولکن یؤاخذکم بما عقدتم اذا حنثتم او بنکث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرء
حمزة والکسائی وابن عیاش عن عاصم عقدتم بالتخفیف وابن عامر بروایة ابن ذکوان عاقدتم وهو من فاعل
بمعنی فعل فَكَفَّارَتُهُ فکفارة نکثه ای الفعلة التی تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره علی جواز التکفیر بالمال
قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفیة لقوله عم من حلف علی یمین ورای غیرها خیرا منها فلیکفر عن یمینه و
لیات الذی هو خیر إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ من اقصده فی النوع او القدر
وهو مد لکل مسکین عندنا ونصف صاع عند الحنفیة ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقدیره ان یطعموا
عشرة مساکین طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع علی البدل من اطعام واهلون کارضون وقری اهالیکم
بسکون الیاء علی لغة من یسکنها فی الاحوال الثلث کالالف وهو جمع اهل کالیالی فی جمع لیل والاراضی
فی جمع ارض وقیل هو جمع اهلاة أَوْ كِسْوَتُهُمْ عطف علی اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب
یغطی العورة وقیل ثوب جامع القمیص او رداء او ازار وقری بضم الکاف وهو لغة کقدوة او کاسوتهم
یعنی او کمثل ما تطعمون اهلیکم اسرافا او تقتیرا تواسون بینهم وبینهم ان لم تطعموهم الاوسط والکاف فی محل
الرفع تقدیره او اطعامهم کاسوتهم أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ او اعتاق انسان وشرط الشافعی رض فیه الایمان قیاسا

على كفارة القتل ومعناه او ايجاد احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المطلق المكلف في التعيين فمن لم يجد اى واحدا منها
فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رح التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليست بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان
تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون نعمة العلم او
نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في البقرة رجس قذر تعاف عنه
العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر
والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى
لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما
وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر
بحت او غالب وامر بالاجتناب عنهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة انما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها
على انهما المقصود بالنبأ وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام
شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد
عن الايمان من حيث انها عماده والفارقة بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه
او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا رسول الله
بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيما طعموا مما يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان
والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر بتحريمه وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا

وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رض
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا
التكرير باعتبار الاوقات الثلث او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه
وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عم
في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا
من العقاب والشبهات تحرزا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها
عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار
لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون
والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال
فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر
لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم
فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا
يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم
واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب
والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة
ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه
عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد
والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ
روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار الوحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما
قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل

ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف
مالم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم
مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء
او فعليه ان يجزي جزاء مماثل ما قتل فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند
مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين
ان يهدي ما قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ خير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق
يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة
اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء
وان نون لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به
هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة رحمه الله
يذبح بالحرم فيتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام
مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالا
ضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي انه يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي
من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام
كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار
كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه
الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد
على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما
في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه
وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس رضي الله عنه وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن
اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله في البحر هو

هو طهور ماؤه والحل ميته وقال ابو حنيفة رح لا يحل منه الا السمك وقيل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه

ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة

اي ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم

على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام الصيد حلال لكم

ما لم تصطادوه او يصد لكم واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة وانما سميت البيت

كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم

اي سبب انتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار

ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم امر دينهم ودنياهم وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على

فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدى والقلائد

سبق تفسيرها والمراد بالشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لعوناته وقيل الجنس

ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات

وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع

وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق واعلموا ان الله شديد العقاب

وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه

ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم

يبق لكم عذرا في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل

وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص

والاعمال والاموال وجيدها رغبة في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة

بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب

لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر واثروا الطيب

وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون

ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الجملة الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى

ما دمتم حرما الا من صيد وقد
بكسر الدال من دام يدام مع

لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في الزمان الوحي تظهر وهما
كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء
غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّئ كهيّن او شيء كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اي
عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة
بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسائلكم فلا تعودوا الى
مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل
عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار فقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق
بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها
كافرين اي بسببها حيث لا يأتمروا بما سألوا جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها
اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما
وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ومعنى
ما جعلت ما شرع ووضع ولذلك يتعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام و
المبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون [illegible] واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
قالوا حسبنا ما وجدنا آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو
كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه
الحالة اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح لمن علم انه

انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوا
والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر حسب طاقته
كما قال عليه السلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره فان لم يستطع فبلسانه فان
لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان
الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ
لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ
بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد
في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةٌ بينكم بالنصب والتنوين على ليقم اذا
حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله
تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون
خبرها على حذف المضاف تقديره شهادة اثنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ذوا
عدل منكم من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف
على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان
انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما تو
قفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران
من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر
فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد
الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل

بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم عليه
قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن
الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه
وروي عنه بغيره لقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ للآثمين بحذف الهمزة والقا
حركتها الى اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما
لتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم
وهم الورثة وقرا حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدا خبره آخران او بدل منهما او من الضمير
في يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة الذين او بدل منه اي
من الذين استحق عليهم وقرئ للاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب
الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان يقبل وما اعتدينا وما
جاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا
ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على
على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع
وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف
آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي ابن بدا
خرجا الى الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما
بان يدفعا متاعه الى اهله فمات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عم
فنزلت يا ايها الذين الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر عند المنبر وخلى
سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه

عليه ببينة فكرهنا ان نقر به فرفعهما الى رسول الله فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي
الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهدين ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها من
غير تحريف ولا خيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد
ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا
الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم
قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع
الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي
واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اجابة اجبتم على ان ما
ذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة
لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا بما انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابوا
نا واظهروا لنا وما لا نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي عنهم ورد العلم الى عالمهم مما كابدوا
منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ
علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب
على الاختصاص او النداء وقرئ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى
انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم
طائفة وسموه سحرة وغلا آخرون فاتخذوه آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو
ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبرئيل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين
النفس حيوة ابدية وتطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد
وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حالهم في الطفولية بحال
الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون

طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران
وقرئ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود
حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرئ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام
واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان
مصدرية ان يكون مفسرة قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى
بن مريم منصوب باضمار اذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل
يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه
الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي
هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرئ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا
تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله
من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان
قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها
وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا
في ادعاء النبوة او ان يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من
الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما راى ان لهم غرضا شديدا في
ذلك وصحيحا انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا اي يكون لهم يوم نزولها عيدا فعظمه وقيل العيد السرور العائد
ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اي عيدا لمتقدمنا ومتاخرنا روي انه نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل
ياكل منه اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة واية عطف على عيدا منك
صفة لها اي آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها

عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على
السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا
من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم
روي انها نزلت سفرة حمراء بين الغمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة
ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما
خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا او من طعام الآخرة قال
ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل
كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى
اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني ولا مريض الا برئ ولم
مدة عمره ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والا
صحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه
الشريطة استغفروا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي
المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة هنا عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها وقال لهم عيسى
ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه
فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك
اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ

قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله يريد توبيخ الكفرة
وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه
على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اى انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق
لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك تعلم ما اخفيه فى نفسى كما
تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس
الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتنى
به تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به
او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا
راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ولا يجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون
مفعول القول ولا ان يكون مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى
وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكانه قيل ما امرتهم الا بما امرتنى
به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او شاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك
والتوفى اخذ الشىء وافيا والموت نوع منه قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها
كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شىء شهيد مطلع عليه مراقب له
ان تعذبهم فانهم عبادك ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق
فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب
الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان

فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه
لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرا نافع يوم بالنصب
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى
واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب
والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح
وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية
القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة
المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا لاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عشر سيئات ورفع
له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية مائة
وستون وخمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون
حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة
طبايعها بالذات متفاوتة الاثار وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل
الظلمات معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان
المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام
على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة
كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم

والحركات

والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول
واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه م

فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفروا على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول
متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى
متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم
من طين اى ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق
اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اى اجل الموت واجل مسمى عنده اى اجل القيمة وقيل الاول ما بين
الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل النوم
والثانى الموت وقيل الاول الموت لمن مضى والثانى الموت لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت
بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اى مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود
بيانه ثم انتم تمترون اى تشكون فى البعث استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق
اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيوة فيها و
ابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله
الضمير لله والله خبره فى السموات وفى الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة
فيهما لا غير كقوله وهو الذى فى السماء وفى الارض او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان
او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيها كقولك رميت الصيد فى الحرم
اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما
ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدم عليه
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر
ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة
او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه

للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القران وهو كاللازم مما قبله كانه قيل
انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم اعرضوا
عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب
عليه بالفاء فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما كانوا به
يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس و
هي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القران اهل عصر فيه نبي او نابغ في العلم قلت المدة
او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او
اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم من السعة
وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب
وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا ومترات متتابعات اوقات الحاجات وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في
الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا
واحدثنا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود
وينشئ مكانهم يعمر بهم بلاده قادر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في
رق فلمسوه بايديهم نحوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت
لانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص
كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل
عليه على محمد ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع لما اقترحوه والخلل فيه و
المعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت
بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا
عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب

ما لم نجعل لكم صح

لا

اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لا
نزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينون او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل
جبرائيل فى صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك
الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى
لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلا لام و
للبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم عما يرى من
قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الذين كانوا يستهزؤن به حيث
اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا فى الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى تعتبروا
والفرق بينه وبين قوله سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثم لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك
قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل لمن ما فى السموات و
الارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل الله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين
للجواب بالاتفاق وبحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها
تفضلا واحسانا لا وجوبا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم
القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض
فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين
نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون
والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس و
الوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع
عن الايمان وله عطف على لله ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله

قولهم وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن
فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم
بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل
اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم
واولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات
والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان ٥
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه
بمعنى الماضي ولذلك قرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق
وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان
الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة
الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من طعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان
النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن من المشركين ويجوز
عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم
وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل
والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره
والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز العظيم
المبين
اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا قادر على كشفه الا
فلا كاشف له
هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه و
ادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير
لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم
قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى

فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشي
يقع على كل موجود قد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اى اكبر شهادة ثم ابتداء شهيد
بيني وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد
كان اكبر شيء شهادة واوحي الى هذا القران لانذركم به اى بالقران واكتفى بذكر الانذار
عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وساير من
بلغ من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغ الى يوم القيمة
وهو دليل على ان احكام القران يعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم
يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد
بما تشهدون قل انما هو اله واحد بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني
الاصنام الذين اتيناهم الكتاب (التورية والانجيل) يعرفونه كما يعرفون ابناءهم من الصبيان بحلاهم و
(يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل)
والذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به
يكتسب الايمان ومن اظلم اكفر واضل ممن افترى (اختلق) على كذبا كقولهم الملائكة بنات الله
وهؤلاء شفعاونا عند الله او كذب باياته يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
وهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم
الملائكة بنات الله هؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذبوا القران والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده
بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد
اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر [illegible] اى نجمع العابدين والمعبودين ثم
نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى الهتكم التي جعلتموها شركاء الله وقرا يعقوب يحشر
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام
التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء
فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم

فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من
فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به
الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء فتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو
بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون
بالنصب والياء والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من
فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا
مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها
وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف ويخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون ومنهم من يستمع اليك حين تتلوا القران والمراد ابو سفيان والوليد و
النضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله يقرا فقالوا
للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان و
هو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا ثقلا يمنع من استماعه
وقد مر تحقيق ذلك فى اول البقرة وان يروا كل آية لا يومنوا بها لفرط عنادهم واستحكام
التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك
وحتى هى التى بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا
اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال
لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جوابه يقول تفسير له
والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة بفتح الطاء او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القران او الرسول والايمان به وينأون بانفسهم
او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يومنون به كابى طالب وان يهلكون وما
يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان اضرارهم لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على

[margin: من الشركاء]
[margin: الناس / النار]

وجوابه محذوف اى ولو تراهم فى تلك الحالة حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت عجبا او
يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على
البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا
ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود تركتنى اولم تتركنى
او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى
من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراءها مجرى الفاء وقرا ابن
عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبايح
اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى فانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا
عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان هى
الا حيوتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن
الحبس للسوال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال
اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار موكد باليمين لا
نجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه
حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاءة ونصبها على الحال
او المصدر فانها نوع من المجى قالوا يا حسرتنا اى يقال يا ندامتنا فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا
فيها فى الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شانها والايمان بها
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اثار اصار الاثام الا ساء ما يزرون
بيس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو
يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دايمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هى

ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله
للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا
تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب
الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه
قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة ،
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ويكذبونه فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا
والنمر تهم على الظلم والباء لتضمن الجحد ومعنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك
عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول
الله وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم فتاس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من نبأ المرسلين
اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن
الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء ،
فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين ،
بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود
بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء
لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى
لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه
لو شاء لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن ،
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة
انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله والقي السمع وهو
شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه

وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك
من اكذبه اذا وجده كاذبا
او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون

ترجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل
من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه
او اية يضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء ان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا
ابن كثير ينزل بالسرعة ونحوها وقرا ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء
يعني في اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا
جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في
في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا
بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ
الجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات
الدالة على ربوبيته غارقون وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون
بالحق في الظلمات خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل والعناد وظلمة التقليد
ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر من يشا الله يضلله من يشا الله اضلاله يضلله وهو دليل
واضح لنا على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل
قل ارايتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول
ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قال الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة
مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم
الهتكم تنفعكم ان تدعونها ان اتاكم عذاب الله قبل الموت كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة القيامة
وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون في صرف العذاب وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين
ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في
مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل

ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز
في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى
امم من قبلك اي قبلك ومن زايدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء
بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لها لعلهم يتضرعون يتضرعون
يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه منفي وتضرعهم في ذلك الوقت
مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على
المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان اعجابهم لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مزاوجة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم
بالشدة والرجاء الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالـ
لقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا
والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا المشكر لله متحسرون متحيرون
من كل خير ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا و
دبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص
لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم واهلاكهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم واعمال حتى يتصبروا شيا مكذبين وختم على قلوبكم بان يغطي عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك من جهته او بالاخذ وختم عليه او باخذ
هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة
الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون
عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله
بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرا بغتة وجهرة
هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون المشركون وكذلك صح الاستثناء
المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين

عن البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والثناء عليه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون

ون

افتحكم

ضنون

الكافرين بالنار ولم يرسلهم ليقترح عليهم الكذب ويتلهى بهم فمن آمن واصلح العمل
ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف حين خوف اهل النار عليهم من العذاب ولاهم يحزنون
اذا حزنوا بفوات الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه
الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن
التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي به ولم ينصب عليه
دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدر عليه الملك
ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات
البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير
مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم
كالنبوة افلا تتفكرون انهما لا يستويان فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا
ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به ومترددا فيه
فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
في موضع الحال والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان
وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقراء
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين
فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا
بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر
وقرا ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه
قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي
اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي
ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا
في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان

فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكر المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك

كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليكم من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل

الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهلك بانهم بحيث تطرد

المؤمنين طمعا فيها فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب

النهي وجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم

ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا اي ابتلينا بعضهم ببعض

في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء باصابة الحق والسبق الى

الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى

خذلنا اليس الله بالشاكرين لمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا

جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم

الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان والقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة

وامره بان يبداء بالتسليم او يبلغ سلام الله ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي

عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل به ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا

يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما

جاءوا الى النبي عليه السلام فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت

انه من عمل منكم سوءا استيناف بتفسير الرحمة وقراء نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح

على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد

كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجاهلية الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل

السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح عملها للتدارك والعزم على ان لا يعود

اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتداء او خبر اي فامره اوله غفرانه وكذ

ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات ايات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم

واهل الآيبين ولتستبين سبيل المجرمين قراءة نافع بالتاء ونصب السبيل على خطاب ولتستوضح يا محمد سبيلهم

معامل كلا منهم بالحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن

على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي هؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم

لكن

عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز عطف على علة مقدرة اى يفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل انى نهيت صدفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الايات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله من عبادة ما تعبدون من دون الله ما تدعونها آلهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوًى وليس هدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اى فى شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة اى بيان وبصيرة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى يفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها من ربى من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقوله فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقضى الحق اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من القص او قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به فى معنى استدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغى ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما فى البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة

من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين

ان يؤخذ ومن ينبغى

ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل من على ان الكتاب المبين علم الله او بدل
الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين
وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة
في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه لا الله مرجعكم رجوعكم بالموت
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكا
سبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم اعماركم من
النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه
مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله يكتب عليه وتعرض على رؤس
الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه لا يقصرون بالتواني حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك
الموت اعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون لا يقصرون بالتواني والتأخير وقرئ
بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله اي حكمه وجزائه مولا هم
الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقد قرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم
لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل
من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو الكواكب او الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ
يعقوب ينجيكم بالتخفيف من انجى والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا
واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين على ارادة القول
اي يقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعو دون

الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في
عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط
واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
من تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب
القتال بينكم قال وكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم
بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب
او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم
من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ يريد به اخبار القرآن انبا العذاب او
الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والآخرة واذا رايت
الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطا
الشيطان بان يشغلك بوسوسة حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع
التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين
من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن
ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبيح ويظهروا كراهتها
وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من
حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون
ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون
على تقواهم ولا يثلموها بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى
بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم
وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وو

وجعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهويلا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله
منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى
انكروا البعث وذكر به اي عظ بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تبسل الى الهلاك
وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت
منه والباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله
ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل عدد وان تفد كل
فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ
منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي اسلموا بالعذاب وامنعوا بسبب
اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تاكيد وتفصيل لذلك المعنى لهم ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم قل اندعوا
انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدنا ولا يضرنا ان تركنا يعني ما نعبد ما لا يقدر على
نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال
من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من
فاعل نرد اي مشتبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوي رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه
الى الطريق المستقيم الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ايتنا يقولون
له ايتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اي امرنا
بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اي
للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا بان نسلم وان اقيموا روي ان عبد
الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول

اجابة عن الصديق تعظيما للشان واظهار الاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون
يوم القيمة وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله
الحق جملة اسمية قيل الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات
والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى
واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق
اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشيا ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين
حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال
ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح وقيل هما علمان
له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وازر وصف معناه الشيخ المعوج ولعل منع
صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه اعجمى على
فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد ازرا ثم قال اتتخذ
اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ءازرا تتخذ اصناما بفتح الهمزة ءازر
وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك
فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم ومثل هذا التبصير
نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالياء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل
الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها
والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون
او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان
لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر
والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه الكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله

وقوله هذا ربی علی سبیل الوضع فان المستدل علی فساد قوله تحکیه علی ما یقوله الخصم ثم
یکر علیه بالافساد او علی وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه
فلما افل ای غاب قال لا احب الافلین ربا لا یدوم فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستتار یقتضی الامکان والحدوث فینافی الالوهیة فلما رای القمر بازغا طالعا مبتدا فی الطلوع
قال هذا ربی فلما افل قال لئن لم یهدنی ربی لاکونن من القوم الضالین عن الهدی استعجز
نفسه واستعان بربه فی درک الحق فانه لا یهتدی الیه الا بتوفیقه ارشادا لقومه و
تنبیها لهم علی ان القمر ایضا یتغیر حاله لا یصلح للالوهیة فان من اتخذه الها فهو ضال
فلما رای الشمس بازغة قال هذا ربی هذا ذکر اسم الاشارة لتذکیر الخبر وصیانة للرب عن شبهة
التانیث هذا اکبر کبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال یا قوم انی بریء مما تشرکون
من الاجرام المحدثة المحتاجة الی محدث یحدثها ومخصص تخصصها بما یختص منه ثم لما تبرأ
عنها توجه الی موجدها مبتدعها الذی دلت هذه الممکنات علیه فقال انی وجهت
وجهی للذی فطر السموات والارض حنیفا منه فاو ما انا من المشرکین وانما احتج بالافول
دون البزوغ مع انه ایضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رای الکوکب الذی یعبدونه فی
وسط السماء حین حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فی التوحید ولا اخاف ما
تشرکون به ای لا اخاف معبوداتکم فی وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان یشاء الله
ربی شیئا ان یصیبنی بمکروه من جهتها ولعله جواب لتخویفهم ایاه عن الهتهم و
تهدید لهم بعذاب وسع ربی کل شیء علما کانه علة الاستثناء ای احاط به فلا یبعد
یبعد ان یکون فی علمه ان یحیق بی مکروه من جهتها افلا تتذکرون فتمیزوا بین
الصحیح والفاسد والقادر والعاجز وکیف اخاف ما اشرکتم ولا یتعلق به ضر
ولا تخافون انکم اشرکتم بالله وهو حقیق بان یخاف به کل الخوف لانه اشراک
للمصنوع بالصانع وتسویة بین المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ینزل
به علیکم سلطانا ما لم ینزل باشراکه کتابا او لم ینصب علیه دلیلا فای الفریقین
احق بالامن ای الموحدون او المشرکون وانما لم یقل اینا انا ام انتم احترازا من تزکیة

نفسه ان كنتم تعلمون مما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك
لما روى الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم على نفسه فقال عليه السلام ليس
ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان
به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة
الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني
اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر
تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتينا ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم
والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وحفظه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما و
نوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب
ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين
في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان
وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحاق ويوسف وموسى وهرون
وكذلك نجزي المحسنين اى ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل
على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون
البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هارون اخي موسى
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا
ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع و
على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله رأيت الوليد بن
اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى و

ولوطا هو بن هاران بن اخى ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين اى عالمى زمانهم بالنبوة
فيه دليل على فضلهم على عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف
على كلا ونوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هولاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا وهدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا
به يهدى به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية لمن يشاء ولو اشركوا
اى لو اشرك هولاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا
كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اى بهذه
الثلاثة هولاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل الانصار او اصحاب النبى عم او كل
من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله اى هداهم الله فبهداهم اقتده
فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول
الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى
بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده
للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة ابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى
الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر قل لا اسالكم
عليه اى على التبليغ والقرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلى من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ والقرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا او عظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما
عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شىء حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من اعظم رحمته وجلائل نعمته
او فى السخط على الكفار فى شدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون

هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من
من انزل الكتاب التورية الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقرا الجمهور تجعلونه قرا
طيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قراء بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على ما قالوا وما
قدروا او تضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء بعض
انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف
قال لما اغضبه الرسول بقوله نشدك الله بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله
يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم وابائكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما
التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله
انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا
بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ الزام
الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او
فاعل يلعبون او من هم الثاني او الظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير
الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى
اهل ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر اهل ام القرى انزلناه
وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى وحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول البيت وضع للناس وقرا ابو بكر
عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب من حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به بالكتاب وهم على صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف
العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما او يحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا تزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي واختلق عليه
احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن
ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من
تفضيل خلق الانسان وقال عليه السلام اكتبها فكذلك انزلت فشك عبد الله وقال
لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال كالذين
ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ
الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده
من غمر الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ
او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوا الينا من اجسادكم تغليظا
وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته
تستكبرون تتعظمون عن الايمان بالقران فلا يتاملون فيها ولا يؤمنون ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او
عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى
وقرئ فرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على
الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع

فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع للاسلام قبل فتح مكة

بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل
هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه واقيم مقام موصوفه واصله
لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان
لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى
فى الحنطة والنواة يخرج الحى من الميت يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على
فالق الحب الى ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج
ذلك من له ذلكم الله اى ذلكم المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون
عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة
الاصباح وهو الغلس الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح سمى به الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه
التعب بالنهار لاستراحة فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان
المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل
الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمى الحسبان
وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان
فان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما
وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر
واضافتها اليهما للملابسة او مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد
لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا

فصلنا القوم يعلمون فانهم منتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع
اى فلكم الاستقرار في الاصلاب او فوق الارض والاستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع
الاستقرار واستيداع وقراء ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول
اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون
ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من
نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق
نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به
بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات انواع
المتشعبة بماء واحد كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات
او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو خارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر
حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل والمعنى وحاصلة
من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقراء بضم القاف كذئب وذؤبان و
بفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب
بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعم فيها وجنات
من اعناب عطف على نبات كل شيء وقراء بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم
جنات ولا يجوز عطفه على قنوان العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف
على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من
الرمان او من الجميع او بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم
انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقراء حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة
كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه والى نضجه كيف يعود او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت
الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقراء بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لايات

لقوم يؤمنون اى لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتنفية
من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما
يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم
تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم
وقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالق دون
الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطف على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام اى على شركاء
اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد
الراء وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا
وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او
ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر
بمعنى عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه وهو رفع على الخبر والمبتدأ محذوف
او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية
وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الاية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته
السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها
فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله منزه من
المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته
عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم طيعوه

الصفات

الجميع وحكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل اي وهو مع تلك
متولي اموركم بالحفظ والتدبير فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا
تدركه لا يحيط به الابصار جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص
ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا كل بصر لا يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك
الابصار يحيط علمه بها لا يخفى عليه شيء ما ولا يفوته وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار لانه اللطيف
وهو يدرك الابصار ويجوز ان يكون من باب اللف والنشر لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من
مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة
وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي الحق
وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان
الرسول وكذلك نصرف الايات مثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة
من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي ليقولوا صرفنا واللام لام العاقبة والـ
الدرس القراءة التعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن
عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين
وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدارسة
ودرسن اي عفون ودرس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقولهم عيشة راضية
ولنبينه واللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يكن
يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالدين به
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض
عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا باية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل

وما

على انه تعالى لا يريد ايمان الكافرين وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا و
انت عليهم بوكيل تقوم بامرهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ولا تذكروا آلهتهم التي
تعبدون بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله
وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب عُدُوّا يقال عدا عدوا وعُدُوّا وعدوانا وعداء روي انه عليه السلام
كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان
الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر كذلك زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا
ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله
لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد
ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول في طلب
الآيات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم
وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا يدرون
انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه
بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن
كثير وابو بكر عن عاصم وابو عمرو ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم
اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل
للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
فيكون انكارا لهم على خلقهم وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم
يؤمنوا به عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهون
وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذر

ونذرهم في طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة ويقلب على البناء للمفعول والاسناد الى افئدة ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا
فاتوا بابائنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلا بما بشروا به وانذروا او جمع
قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على
الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء
الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية ايمانهم وهو حجة واضحة على
المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على
ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم ولكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان فيتمنون نزول الاية طمعا في
ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل
من عدوا او اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض
يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف
القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء
ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون
الضمير للايحاء او الغرور وهو ايضا على المعتزلة دليل فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي ليكون ذلك جعلنا
جعلنا لكل عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه فقالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد
الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم
وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم
يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما
حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن

المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القران
باعجازه وتقرره مغن عن ساير الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من
ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به
لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم
لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل المراد مومنوا اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص
عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم
به فيكون من باب التهييج كقوله تع ولا تكونن من المشركين او خطاب للرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب
لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك بلغت
الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام
ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق
واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا
لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها
قرا
وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به وهو القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون
فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى
وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا
يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وارائهم
وارادهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما
ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم
لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة
معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة
اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم
ضلالا بيان

في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى
كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم باياته مومنين فان
الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي
غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم
الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء
للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل
الحرام وتحريم الحلال قرا الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا
ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ
الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك
والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمهم
الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير
الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله
الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة
الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ
الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه والمبطل وقراه
الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل و
المحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدا وخبره في الظلمات
وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة
لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمومنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت

في حمزة وأبي جهل وقيل عمر أو عثمان وأبي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها أي كما
جعلنا في مكة وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في كل
قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل إذا
أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع
الناس والمكر بهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم
آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا
بني عبد مناف الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل
نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان
الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع
له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه
وإليه أشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك
أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن
يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقا
بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في
السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة
وتنبيه على أن الإيمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب منه وأصله يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد
كذلك أي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب أو الخذلان عليهم
فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو إلى الإسلام أو إلى ما سبق
من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج
فيه أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة قد

قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه
فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم

قد فصلنا الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فبقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم او ذات مثويكم ان جعل مصدرا والمعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض او قرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رايهم فانهم

مثويكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثويكم م

اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان
اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتداء محذوف اى الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم
واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك
مهلك القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل
من ذلك ولكل من المكلفين درجات فيجزى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا
ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغنى عن العباد والعبادة ذو الرحمة
بالولياء يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وقيل تنبيه على ان ما سبق ذكره
الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشاء يذهبكم اى ما به اليكم
حاجة ان يشاء يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من
ذرية قوم آخرين اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت
لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم و
استطاعتكم يقال مكن مكانة اذا بلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التى انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد و
المعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم انى عامل ما كتب عليه من المصابرة والثبات على الا
سلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه
فيحمله بالامر على ما يفضى به اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى
لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا
يكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت
خبرية فالنصب بتعلق بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف
فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائى يكون بالياء
لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم
والظلم فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا

مراتب من عملوا فى ثواب العقاب اى من اعمالهم او جزائهم او من اجلها وما ربك بغافل

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما
لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه
بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه ولم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد
جاء بالكسر ايضا كالود ثلث ساء ما يحكمون بئس حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة
وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما
كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين
وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركين ما زين لهم او الشركاء
التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة
الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر
والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح انما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر
لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له
والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث

لخالصة للمعنى فانّ ما فى معنى الاجنّة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء و
خالفه ابن كثير فى ميتة بنصب كفرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا
من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبها المجرور وقرئ
خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتداء ثان والمراد
به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكور والانثى فغلب الذكر سيجزيهم و
وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه
حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد به العرب الذين كانوا يقتلون بنا
بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة
عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرّموا ما رزقهم
الله من البحاير ونحوها افتراء على الله حيث قالوا ان الله امر بها يحتمل الوجوه المذكورة
فى مثل قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشاء جنات ابدع بساتين
من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى البرارى والجبال
والنخل والزرع اى انشاء والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع وال
الباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك
او كل واحد منها ومختلفا حال من مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من
ثمره من ثمر واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك فى الطعم بينع بعد وقيل فايدته رخصة
المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم
الحصاد الى الزكوة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية
مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء و
ليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر

بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا
يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج اصناف بدل من
حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة
او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من
الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء
والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز
كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او حملت اناث
الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم
صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما
اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او
انثى او ما يحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف
كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصيكم الله
بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او
عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي
اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلق وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما
محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء تكون
لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف

على ان فيه ما حرم الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال
او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم
الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل عطف وهو على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على
مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والاية محكمة لانها تدل على
انه لم يوجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء فلا يصح ///
الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل السنجاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذى ظفر كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ///
ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاويه
او حاويا كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمع
الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة
يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين
ينزل او ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه ///
لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول
الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء اى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا
نحن ولا اباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب
هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما
حرمه كذب الذين من قبلهم الرسل عطف اباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا

باسنا الذی انزلنا علیهم بتکذیبهم قل هل عندکم من علم من امر معلوم یصح الاحتجاج به علی ما زعمتم
فتخرجوه لنا فتظهروه ان تتبعون الا الظن ما یتبعون فی ذلک الا الظن وان انتم الا تخرصون تکذبون
علی الله وفیه دلیل علی المنع من اتباع الظن سیما فی الاصول ولعل ذلک حیث یعارضه قاطع اذ الایة
فیه قل فلله الحجة البالغة البینة الواضحة التی بلغت غایة المتانة والقوة علی الاثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه وهی من الحج بمعنی القصد کانها یقصد بها اثبات الحکم ویطلبه ولو شاء لهداکم اجمعین
بالتوفیق لها والحمل علیها ولکن شاء هدایة قوم وضلال آخرین قل هلم شهداءکم احضروهم وهو اسم
فعل لا ینصرف عند اهل الحجاز وفعل یؤنث ویجمع عند بنی تمیم واصله عند البصریین ها لم من لم اذا
قصد حذفت الالف لتقدیر السکون فی اللام فانه الاصل وعند الکوفیین هل ام فحذفت الهمزة بالقاء
حرکتها علی اللام وهو بعید لان هل لا یدخل الامر ویکون متعدیا کما فی الایة ولازما کقوله هلم الینا الذین
یشهدون ان الله حرم هذا یعنی قدوتهم فیه استحضرهم لیلزمهم الحجة ویظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وانه لا متمسک لهم کمن یقلدهم ولذلک قید الشهداء بالاضافة ووصفهم بما یقتضی العهد بهم فان
شهدوا فلا تشهد معهم فلا یصدقهم وبین لهم فساده فان تسلیمه موافقة لهم فی الشهادة البا
ولا تتبع اهواء الذین کذبوا بایاتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة علی ان مکذب الایات
متبع الهوی لا غیر وان متبع الحجة لا یکون الا مصدقا بها والذین لا یؤمنون بالاخرة کعبدة الاوثان
وهم بربهم یعدلون یجعلون له عدیلا قل تعالوا امر من التعالی واصله ان یقوله من کان فی علو لمن
کان فی سفل فاتسع فیه بالتعمیم اتل اقرأ ما حرم ربکم منصوب باتل لانه بمعنی اقل ای بنبئ حرم ربکم علیکم
متعلق بحرم او اتل ان لا تشرکوا به ای لا تشرکوا به لیصح عطف الامر علیه ولا یمنعه تعلیق الفعل
المفسر بما حرم فان التحریم باعتبار الاوامر یرجع الی اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعلیکم
علی انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف علی ان لا زائدة او الجر بتقدیر اللام او الرفع علی
تقدیر المتلو ان لا تشرکوا او المحرم ان تشرکوا شیئا یحتمل المصدر والمفعول وبالوالدین احسانا ای
واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهی عن الاساءة الیهما للمبالغة وللدلالة علی ان ترک الاساءة
فی شانهما غیر کاف بخلاف غیرهما ولا تقتلوا اولادکم من املاق من اجل فقر ومن خشیته کقوله خشیة
املاق نحن نرزقکم وایاهم منع لموجبیة ما کانوا یفعلون لاجله واحتجاج علیه ولا تقربوا الفو

طلنة

الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم
به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي
احسن الا بالفعلة التي هي واصر وقيل مفرد كآنك اوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل و
والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان
الايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها
ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من
ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي
مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرا حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير
اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم
وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة
واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله
الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن
الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل
ذلكم وصيكم به قديما وحديثا للكرامة والنعمة اعظم من ذلكم ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي
احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى
او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف اي على الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما
يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة
لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه
مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا الله لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه
ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود و

احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر

والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان
كنا ان المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان لدى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم
لغافلين لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على
انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم
ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون
اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا
بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي
امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيمة والهلاك الكلي كقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة
وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله عليه السلام فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان
برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت
في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها
غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل والمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم
وحمل الترديد على اشتراط النفع بالامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم يكن بمعنى
لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي
اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا
واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا

ان باينوا او كانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من
عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى
جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا
من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى و
هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي
عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او
طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الممات انفسهما وقرأ نافع محياي
باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره و
بذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير
الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء ولا
تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم
يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم
خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او
خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى
ليبلوكم فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه
لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة
واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور رحيم بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة

الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية الا
ثمان ايات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها الا قوله واعرض عن الجاهلين
وآيها مائتان وست آيات بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله
كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة والقرآن انزل اليك صفته فلا يكن في
صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر وضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او
يقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف
والجواب وكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او لا يكن لانه
اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه و
ذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطف على
محل تنذر والرفع عطف على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس و
قيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا
قليلا ما تذكرون اي تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة
لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثيرا من القرى
اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها اهلها بأسنا عذابنا
بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم
شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل
لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص

الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيه افظع فما كان دعواهم اى
دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول
الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السوال توبيخ الكفرة
وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام اذ الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت
علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا
منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها
بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى
ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا
الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يو
يوزن الاشخاص لما روى عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن
ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن
فهو جمع موزون او ميزان ما فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من سكناها
وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا يعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه
همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورنا
كم اى خلقنا اباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
طيناً

او ابتداء خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم
لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك الا تسجد
اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ
عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل
على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قيل المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به
فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله
عليه وغلط فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت
فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين
لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين كائنة ولعل
اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق
باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه
الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم
يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة
الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت
يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب لمخالفته قال فبما اغويتنى
اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم او حملا على
الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه
وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام
ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر
والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع

مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه توحش وعن ابن
عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة
حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن
لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم
والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن
يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه لما راى فيهم مبداء متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما من ذامه
اذا ذامه وقرئ مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا
لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب
الشرط وقرئ بكسر اللام على انه خبر لاملأن على ان معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل
من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب
على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة
والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما و
اللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك
عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة ويستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة ولذلك لا يدل وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه

عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلّيهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبّه به على
انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى
اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما اى فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما
العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة
كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا ير
قعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ
يخصفان انفسهما ويخصّفان من خصّف ويخصّفان وان صله يختصفان وناداهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ
على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر
معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا
انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لادم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا
ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اى متعادين ولكم في الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تنقضي اجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله انزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد يوارى سواتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا
نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا
تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياش وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء

وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا

ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون
فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم
كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن
اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع
اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله
جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم
من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة
فعلة متناهية في القبح القبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة
كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا
بامرين من تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم
الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما
ينفر عنه الطبع ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم
لما فعلوها لم فعلتم فقالوا على خلافه لا مطلق اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن
النهي عن الافتراء وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين
يمنع التقليد اذا قام الدليل على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي
عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى
غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود المخلصين له الدين اي الطاعة
فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه
الاعادة بالابداء تقرير لامكانها والقدرة عليها وقيل بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل
بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان
وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره

بغير ما بعده او وخذله فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم
او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل
مسجد لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر
العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام
الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا
بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه كل
ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من
حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل
والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في
من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم
القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقراء نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات
لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه
وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التقدم والتاخر لشدة الهول
يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكر بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان
الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتاكيد معنى ولذلك اكد فعلها بالنون
وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا

نزل في كلب ثقيف فقال علي بن الحسين ... قد جمع الله
الطب في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا

عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى من اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا
باياتنا منكم وادخال الفاء في الجزء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم
فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي
التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اى الالهة الذين كنتم
تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا
اى قال الله لهم ادخلوا يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين في جملة امم
مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما
دخلت امة اى في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا
وتلاحقوا في النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا
من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرا عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخريهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا
فضل لنا عليكم وانا وايكم متساوون في استحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
او الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء
لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما يفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في
تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي بها وبالياء
لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل
لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير
فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل

كالغل والجلة كالنز والجل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالجبل وعن الجبل من القنب وقيل حبل السفينة
وسُم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الخياط ما يخاط به ما كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل
عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء المحذوف وكذلك الاوصاف الذميمة
وذكر الجرم من الحرمان من الجنة والظلم هو التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين
امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته
سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره
للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا
التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في
لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ
ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في
الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها
بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر
والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من
القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم قالوا نعم بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين قيل صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم
من الموعود لم يكن باسرهم مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم
وقرأ الكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن

مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها
عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في
المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم
بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب
اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من
الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة
والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين
وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي
اعلمهم بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم
على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم اي نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن
الاصحاب على الوجه الثاني واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا نعوذ الله ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من
رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق
وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال
والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم ويحلفون ان الله لا
لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا
لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الآخرة وقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان
حبسوا حتى ابصروا الفريقين وقال لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب
الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا
على الاستيناف وتقدير دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان

ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم
فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا
له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من
المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم
يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تاويله الا ما يؤل اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل
تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولا
ن او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما
لاحد الامرين او لامر واحد وهو فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع
اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم
فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات
كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في الايام زمان
طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها
دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على
العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا
كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه

للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر
محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره
بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر بالرفع
كلها على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا
متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى
خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن
سبع سموات فى يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم
قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل
فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا قال بعد قوله وخلق الارض
فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين
بقوله فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد
الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكرير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى
تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح
فى الدعاء والاسهاب به وعن النبى عليه السلام سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول
اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض
بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من
الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمت الله قريب

حم

قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه الى ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى التر
او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض
او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذى يرسل الرياح وقراء ابن
كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى باشر وقراء ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث
وقع والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان
الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر
بشره بمعنى باشرات وبشرى للبشارة بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل
للشئ يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ
لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى
واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات
او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النباتات والثمرات نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
فيعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة والذى خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج
الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على
المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون
نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها
لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبى بعده بعث وهو
ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقراء

الكسائي غيرِهِ بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ان لم تؤمنوا
وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
اي الاشراف فانهم يملأون العيون رواء إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ زوال عن الحق مُبِينٍ بين قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي
ضَلَالَةٌ اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرّض لهم به وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله أُبَلِّغُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو أُبْلِغُكُمْ بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقايد والمواعظ او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام
في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقريرٌ لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه
او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها أَوَعَجِبْتُمْ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم
أَنْ جَاءَكُمْ من ان جاءكم ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ رسالة او موعظة عَلَى رَجُلٍ على لسان رجل مِنْكُمْ من جملتكم او
من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في اباءنا
الاولين لِيُنْذِرَكُمْ عاقبة الكفر والمعاصي وَلِتَتَّقُوا منها بسبب الانذار وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بالتقوى وفائدة
حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب الترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا
يأمن من عذاب الله فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فِي الْفُلْكِ متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او
الضمير في معه وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطوفان إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ عمي القلوب غير مستبصرين واصله
عميين فخففت وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ عطف على نوحا هُودًا عطف
بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله
واعرف بحاله وارغب في اقتفايه قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ استانف به ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم أَفَلَا تَتَّقُونَ عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح
ولذلك قال قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد إِنَّا لَنَرَاكَ فِي

في سفاهة متمكنا فيها حيث فارقت دين قومك وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس
بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء
بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح
وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك الارض من رمل عالج الى بحر عمان
خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذ
كروا
آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد
الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم
انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على
التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع
كالواقع من ربكم رجس من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام أتجادلونني في أسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية
لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية
او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى و
اسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى
وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا و
ضعفها ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه
والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا
مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان
حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد

بن سعد فی سبعین من اعیانهم وکان اذ ذاک بمکة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسیدهم
معاویة بن ابی بکر فلما قدموا علیه وهو بظاهر مکة انزلهم واکرمهم وکانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده
شهرا یشربون الخمر وتغنیهم الجرادتان قینتان له فلما رای ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلک واستحیی
ان تکلمهم فیه مخافة ان یظنوا به ثقل مقامهم فعلم القینتین الا یا قیل ویحک قم فهینم لعل الله یسقینا
الغماما فیسقی ارض عاد ان عادا قد امسوا ما یبینون الکلاما حتی غنتا به فازعجهم ذلک فقال مرثد والله لا
تسقون بدعائکم ولکن ان اطعتم نبیکم وتبتم الی الله سقیتم فقالوا لمعاویة احبسه عنا لا یقدمن معنا مکة
فانه قد اتبع دین هود وترک دیننا ثم دخلوا مکة فقال قیل اللهم اسق عادا ما کنت تسقیهم فانشا الله
سحابات ثلاثا بیضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء یا قیل اختر لنفسک ولقومک فقال
اخترت السوداء فانها اکثرهن ماء فخرجت علی عاد من واد المغیث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاءتهم منها ریح عقیم فاهلکتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مکة وعبدوا الله فیها حتی ماتوا والی
ثمود قبیلة اخری من العرب سموا باسم ابیهم الاکبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقیل سموا به لقلة مائهم من الثمد
وهو الماء القلیل وقرئ مصروفا بتاویل الحی او باعتبار الاصل وکانت مساکنهم الحجر بین الحجاز والشام الی
وادی القری اخاهم صالحا صالح بن عبید بن آسف بن ماسح بن عبید بن حاذر بن ثمود قال یا قوم اعبدوا
الله ما لکم من اله غیره قد جاءتکم بینة من ربکم معجزة ظاهرة الدلالة علی صحة نبوتی وقوله هذه ناقة
الله لکم آیة استیناف لبیانها وآیة نصب علی الحال والعامل فیها معنی الاشارة ولکم بیان لمن هی له آیة ویجوز
ان یکون ناقة الله بدلا او عطف بیان ولکم خبرا عاملا فی آیة واضافة الناقة الی الله لتعظیمها ولانها جاءت
من عند الله بلا وسایط واسباب معهودة ولذلک کانت آیة فذروها تاکل فی ارض الله العشب
ولا تمسوها بسوء نهی عن المس الذی هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذی مبالغة فی الامر وازاحة
للعذر فیاخذکم عذاب الیم جواب للنهی واذکروا اذ جعلکم خلفاء من بعد عاد وبوأکم فی الارض
ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا ای تبنون فی سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها
کاللبن والآجر وتنحتون الجبال بیوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بیوتا علی الحال المقدرة او المفعول علی ان التقدیر بیوتا من الجبال او تنحتون بمعنی تتخذون فاذکروا
آلاء الله ولا تعثوا فی الارض مفسدین قال الملأ الذین استکبروا عن الایمان من قومه للذین

للذين استضعفوا لمن آمن منهم اى للذين استضعفوهم واستذلوهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان
الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
قالوه على الاستهزاء عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل
ويخفى على ذى رائ وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون
على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم
فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله
فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين
روى انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طويلا لا تفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال
وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم
فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج
معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين عن الايمان ذواب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها
من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى يمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها (ولدها) جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت (توسعت) الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح
وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت
قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب

بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسير عليهم ولوطا
وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن
الاولى لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم
باختراعها فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار
والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها
وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها
وهى اعتياد الاسراف فى كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه
بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن
كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس
يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من امن به الا امراته لانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو
يتبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هارون
تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم
عما اخترعوا من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم
وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب
بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له فى القران انها ما هى وما روى من محاربة عصا موسى
التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعود له من اولادها ووقوع عصا ادم
على يده فى المرات يحتمل ان يكون كرامة لموسى وارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى اله الكيل على الاضمار او
اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش بقوله والميزان كما قال فى سورة هود او بالكيل والميزان و
وزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم

حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها
الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل
كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن امن
وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من امن به اي بالله او بكل
صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم و
توعدون بما عطف عليه في موقع الحال من تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه
او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل او المال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين وهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملاء الذين استكبروا من قومه
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب قال اولو كنا كارهين
اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا
عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه
لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود
بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه
جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا

حدوثه

خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون
وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على
الايمان ويخلصنا عن الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي و
الفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه
وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم ولفوات ما يحصل لكم من البخس والتنظيف وهو ساد مسد
جواب الشرط والقسم الموطأة باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها
من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها
اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين
صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف
بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا
بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل
عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء
لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس
اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب
ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا
واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرنا
لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

لا يشعرون وما بينهما اعتراض ومعناه ابعد ذلك أمن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتاً تبييتاً
او وقت بيات او مبيتاً او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتاً أوأمن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس
اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير
لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى تبين
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل
يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد اى يغفلون عن
الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق
جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم المار
ذكرها نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان
جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
لقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه
من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة فاللام لتاكيد النفي والدلالة
على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية
اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان
والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اى علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ
لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند

الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل فى قوله ولقد جاتهم رسلهم او للامم
باياتنا يعنى المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب
العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة
وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول كما قرا نافع فقلب لامن الالتباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان
الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابى بالباء وقرا حقيق
ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى
هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال قال ان كنت جئت باية فات بها من عند من
ارسلك فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين فى الدعوى فالقى عصاه فاذا هى
ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا
فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون انشدك بالذى
ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه
فاذا هى بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار او بيضاء للنظار لا انها كانت
فى جبلتها روى انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب
شعاعها شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل
التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون فى
ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفق عليه
رايهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اى اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر ويعقوب
من ارجات وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير او ارجهى من ارجيت كما قرا نافع فى

فی روایة ورش واسماعیل والکسائی واما قراءة قالون ارجه بحذف الیاء فللاکتفاء بالکسرة عنها و
قراءة حمزة وحفص ارجه بسکون الهاء فلتشبیه المنفصل بالمتصل وجعل جه کابل فی اسکان وسطه واما قراءة ابن
عامر ارجئه بالهمزة وکسر الهاء فلا یرتضیه النحاة فان الهاء لا تکسر الا اذا کان قبلها کسرة او یاء ساکنة ووجهه
ان الهمزة لما کانت تقلب یاء اجریت مجریها وقرا حمزة والکسائی بکل سحار فیه وفی یونس ویؤید الاتفاق
علیه فی الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط فی طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان کنا نحن الغالبین
استانف به کانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرا ابن کثیر ونافع وحفص ان لنا علی الاخبار وایجاب
الاجر کانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنکیر للتعظیم قال نعم ان لکم اجرا وانکم لمن المقربین عطف علی ما سد مسد
نعم وزیادة علی الجواب لتحریضهم قالوا یا موسی اما ان تلقی واما ان نکون نحن الملقین خیروا موسی مراعاة للادب
او اظهارا للجلادة ولکن کان رغبتهم فی ان یلقوا قبله فنبهوا علیها بتغییر النظم الی ما هو ابلغ وتعریف
الخبر وتوسیط الفصل وتاکید ضمیرهم المتصل بالمنفصل فلذلک قال القوا کرما وتسامحا او ازدراء بهم و
وثوقا علی شانه فلما القوا سحروا اعین الناس بان خیلوا الیها ما الحقیقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شدیدا کانهم طلبوا رهبتهم وجاؤوا بسحر عظیم فی فنه روی انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
کانها حیات ملات الوادی ورکب بعضها بعضا واوحینا الی موسی ان الق عصاک فالقاها فصارت
حیة فاذا هی تلقف ما یافکون ای ما یزورونه من الافک وهو الصرف وقلب الشیء عن وجهه ویجوز ان یکون
ما مصدریة وهی مع الفعل بمعنی المفعول روی انها لما تلقفت حبالهم وعصیهم وابتلعتها باسرها اقبلت علی الحاضرین
فهربوا وازدحموا حتی هلک جمع عظیم ثم اخذها موسی فصارت عصا کما کانت فقال السحرة لو کان هذا سحرا
لبقیت حبالنا وعصینا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما کانوا یعملون من السحر والمعارضة فغلبوا
هنالک وانقلبوا صاغرین صاروا اذلاء مبهوتین او رجعوا الی المدینة اذلاء مقهورین والضمیر لفرعون
وقومه والقی السحرة ساجدین جعلهم ملقین علی وجوههم تنبیها علی ان الحق بهرهم واضطرهم الی السجود
بحیث لم یبق لهم تمالک او ان الله الهمهم ذلک وحملهم علیه حتی ینکسر فرعون بالذین اراد بهم کسر موسی وینقلب
الامر علیه او مبالغة فی سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمین رب موسی وهرون و
ابدلوا الثانی من الاول لئلا یتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسی والاستفهام
فیه للانکار وقرا حمزة والکسائی وابو بکر عن عاصم وروح عن یعقوب بتحقیق الهمزتین علی الاصل وقرا

وهنتم

حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق
طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون
بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على
لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما
جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله
فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو
الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم
لقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك
وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق
واكن والهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من
قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على
يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين
وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان واللام في الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة
بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تعريضا

باكنى عنه او لالما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم
وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران
وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة
الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه وتورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم
اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ذلك بشوم كفرهم و
معاصيهم فيتعظوا وترق قلوبهم بالشدايد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن
معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابنا الا بشومهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدايد ترقق
القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات
ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم
وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوؤهم
وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شوم اعمالهم
وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى
يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء والنصب بفعل يفسره تاتنا به اى ايما شى تحضرنا
تاتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن
لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث
بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل
الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات
اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل بيوتهم
حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من
الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم
ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل

الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت
الى النواحي التي جائت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم
وجلودهم فتمصها ففزعوا اليه فدعا عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث
لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلى منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند
التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت
مياههم دما حتى يجتمع القبطي مع الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات
مبينات لا تشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او منفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر
وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلبت السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل
فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون ارسل
الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك
او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله
لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه
فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما
اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم
في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب
تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق
الارض ومغاربها يعني ارض شام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا
فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز
عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والامارات وما

وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل
من الامور الشنيعة بعد ان منّ الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما راى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشورا
بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على
عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من
لخم وقرا حمزة والكسائى يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها
وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات
الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه و
يحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله
وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين
فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم
تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه
خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شىء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم
فى هذا الوقت وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين
او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم
وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة والعشر وقرا ابو عمرو ويعقوب
ووعدنا واتممناها بعشر من ذى الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روى انه عليه السلام
وعد بنى اسرائيل ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك سال ربه فامره
بصوم ثلاثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى
ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله عليه التورية فى العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هارون اخلفنى فى قومى كن خليفتى فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع

سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه
واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارنى انظر
اليك ارنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل ان رؤيته تعالى جايزة فى الجملة
لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن ترانى دون لن ارى ولن
اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى لم يوجد فيه بعد وجعل السوال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما
فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على
استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من
ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا
دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له
اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى راه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان
كالشك والشق وقرا حمزة والكسائى دكاء اى مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا اى قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك
تبت اليك من الجرأة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين مترتفين وقيل معناه انا
اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا قال يا موسى انى اصطفيتك اى اخترتك على الناس على الموجودين
فى زمانك وهارون وان كان نبيا مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتى يعنى اسفار التورية
وقرا ابن كثير ونافع برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من
الشاكرين على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له فى
الالواح من كل شىء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شىء بدل من الجار والمجرور
اى كتبنا كل شىء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من
زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه و

كان فيها التورية اوغيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح
او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن
ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا
احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة
وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية
على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم
بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم سأصرف عن آياتى المنصوبة
فى الآفاق والانفس الذين يتكبرون فى الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل
سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون
اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد و
ثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا و
كانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر
اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله فى الآخرة
حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى
من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافها
اليهم لانها كانت فى ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالاتباع كدلى
ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل
له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل القى فى فمه من تراب اثر فرس جبرائيل فصار حيا وقيل صاغه
بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد
اتخاذهم اياه وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم و
اخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا

انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط فى ايديهم كناية عن اشتد ندمهم فان
النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل
معناه سقط الندم فى انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء و
ربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى
من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون
والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه
والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته او اعجلتم
وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد الانبياء والقى الالواح
طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما
القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس
اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر فى كفهم وهارون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا
ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امى فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف
الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى
ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا
تشمت بى الاعداء فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين معدودا فى
عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لى بما صنعت باخى ولاخى ان افرط فى كفهم ضم اليه
نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم
الراحمين فارحمنا بما منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم
به من قتل انفسهم وذلة فى الحيوة الدنيا وهى خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزى المفترين على

على الله ولا فرية اعظم من فريتهم ولعله لم يفتر احد مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه
من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة
عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرايل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون او
بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكّت واُسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ
منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم ير

هبون

دخلت اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي
الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما
اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان
فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا
منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه من قبل ان يرى ما راى او بسبب آخر
او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرها فترحمت عليهم
بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من
العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون
اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا
في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلالته بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل
وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة

وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده
يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان يكون
المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه
ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المومن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فاثبتها في الآخرة او
فاكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض
او الكل والمراد من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى
العباد الأمي الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر و
يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة
كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي
يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرا ابن عامر آصارهم فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية
وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اي مع نبوته
يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وساير
الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والأرض صفة لله وان حيل بينهما بما
هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره لا إله إلا هو وهو
على الوجه الأول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره يحيي ويميت وفي يحيي ويميت
مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما

بما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود
وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية
الى الايمان به والاتباع له وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى يعني بني اسرائيل أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وَبِهِ وبالحق يَعْدِلُونَ بينهم في الحكم والمراد به الثابتون
على الايمان العاملون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على
ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء
الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وَقَطَّعْنَاهُمُ وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم
عن بعض اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة
أَسْبَاطًا أُمَمًا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة
قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ في التيه أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان
ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ كل سبط
مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ليقيهم حر الشمس وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا اي وقلنا لهم
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ سبق تفسيره في
سورة البقرة وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ باضمار اذكروا والقرية بيت المقدس وَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله
فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه
واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما
نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني
مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ

مضى تفسير فيها وسئلهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى
لا يعلم الا بتعليم او وحى ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التى كانت
حاضرة البحر قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل
طبرية اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت
او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدون من الاعداد اى يعدون آلات
الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم
امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة
لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
وقرئ لا يُسبِتون من اسبت ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت
وشرعا من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل متصل بما قبله اى لا
تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون
امة منهم جماعة من اهل القرية يعنى صلحاؤهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى ايسوا
من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة
لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ و
نفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من
الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال
اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرا حفص معذرةً
بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون
اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب
بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس

بيْسٍ بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بَئِسَ كحَذِرَ كما قرئ فخففت عنه بنقل حركتها الى الفاء ككِبْد في كَبِد ونافع
بِيسٍ على قلب الهمزة ياء كما في قلب في ذِيب او على انه فعل الذم وُصف به فجعل اسما وقرئ بَيِّسٍ كرَيِّسٍ على
قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبَيْسٍ على التخفيف كهَيْن وبائسٍ بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا
عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله
انما قولنا شئ اذا اردناه ان يقول له كن فيكون والظاهر ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا
بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن
اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد
من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت
تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مُسخت قلوبهم لا ابدانهم و
واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يوذن
نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى
يوم القيمة والمعنى اذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم
وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل
ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لا
لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين
امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم
كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على
الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض
هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا ياخذون من

الرشى فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله
يأخذوه حال من الضمير فى لنا اى يرجون مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان الميثاق او متعلق به
اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج
عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو
اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا
الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالياء على التلوين
والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او
مبتداء خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقراء ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على ساير انواع التمسكات واذ
نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما
اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم
وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى
لعلكم تتقون فضايح الاعمال ورذايل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرا
نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم
دلايل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى
فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه عليه بدليل او تقولوا عطف
على ان يقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية

ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم كان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا أفتهلكنا بما فعل
المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم و
جعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح
والمقصود من إيراد هذا الكلام ههنا إلزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم
والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل
الآيات ولعلهم يرجعون أي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آيا
هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك
الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به أو بلعم بن باعورا من الكنعانيين أوتي
علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل
استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال
كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه أي منازل الأبرار
من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة واتبع
هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على
انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة
تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة و
تنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته
في أخس أحواله وهو أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو
ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من النفس الشديد والشرطية
في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة
والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكور على اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم إلى
الاتعاظ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم

تنا

لحقه

وأنفسهم كانوا يظلمون بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى
الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم وان وباله
لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بان
الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول
والجمع فى الثانى لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى
الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله
ولهم اعين لا يبصرون بها الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها بالآيات والمواعظ سماع
تأمل وتذكر اولئك كالانعام فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع و
المضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار
اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هى احسن المعانى و
المراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون فى اسمائه
واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم
يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها با
باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا
عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا
مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار
طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به
على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عم لا يزال من امتى طائفة على الحق الى
ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا
سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة

درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما يريد بهم وذلك ان يتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطفا من الله
بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملى لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدى متين اى اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا
ما بصاحبهم يعنى محمدا عليه السلام من جنة جنون روى انه عليه السلام على الصفا فدعاهم فخذا فخذا
يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين
موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال فى ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شىء مما يقع عليه الشىء من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وأن عسى أن يكون قد
اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون و
المعنى ولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة
الموت ونزول العذاب فباى حديث بعده اى بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان
كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان
يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان
لم يؤمنوا به فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادى له كالتقرير والتعليل
ويذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله
وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال منهم
يسئلونك عن الساعة اى عن القيامة وهو من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة
حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة أيان مرسيها متى ارساؤها اى اثباتها ورسو الشىء ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اوى لان البعض
آو الى الكل قل انما علمها عند ربى استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها
لا يظهر امرها فى وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت كاللام
فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت فى السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها
وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس

والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسئلونك كانك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سال عنه فان من بالغ فى السوال عن الشئ
والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة
فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها كانك حفى فتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى بالسوال عنها تحبه اى تكره لانه من الغيب الذى
استاثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة والمبالغة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع
ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالى ما هى عليه
من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة لقوم يؤمنون بانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا
هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها
كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوا ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها
ولم تلق منه ما يلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت
وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى
فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها
حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد المناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون
ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل
فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم
فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه

فسمّيه عبد الحرث وكان اسمه حرثا فى الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء
ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها
عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى
وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اى شركة بان
اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركا وهم ضمير الاصنام جئ به على تسميتهم اياها آلهة وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
لَهُمْ نَصْرًا اى لعبدتهم وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ فيدفعون عنها ما يعتريها وَإِنْ تَدْعُوهُمْ اى المشركين إِلَى
الْهُدَى الى الاسلام لَا يَتَّبِعُوكُمْ وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم
الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ
وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمرارهم على الصمات عن دعائهم إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ من حيث انها مملوكة مسخرة فَادْعُوهُمْ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انهم آلهة فيحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى
امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
وقرئ إِنِ الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون
بالضم هنا وفى القصص والدخان قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ واستعينوا بهم فى عداوتى ثُمَّ كِيدُونِ فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فَلَا تُنْظِرُونِ فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه إِنَّ وَلِيِّيَ
اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ القران وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده
فضلا عن انبيائه وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ من تمام التعليل لعدم مبالاته
بهم وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا
بصورة من ينظر الى من يواجهه خُذِ الْعَفْوَ اى خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما شق عليهم من العفو
الذى هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
المعروف المستحسن من الافعال وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم

الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك
على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسة للناس اغراء لهم على المعاصى و
ازعاجا بغرز السايق مايسوقه فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ سَمِيعٌ يسمع استعاذتكم عَلِيمٌ يعلم ما فيه صلاح امركم فيحملك
عليها او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان اِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اِذَا
طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او
من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين وهين
والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تَذَكَّرُوا ما امر الله به ونهى عنه فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ بسبب التذكر مواقع الخطأ
ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذلك قوله وَاِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ اى
واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين فِى الْغَىِّ بالتزيين والحمل عليه وقرئ يُمِدّونهم من امدّ ويمادّونهم
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ لا يمسكون عن اغوائهم
حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وَاِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ من القرآن او مما اقترحوه
قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا هلا جمعتها تقولا من نفسك كساير ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا يُوحٰى اِلَىَّ
مِنْ رَبِّى لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ هذا القرآن بصائر للقلوب بها
تبصر الحق او تدرك الصواب وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ وَاَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له و
ظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من
لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر
للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تَضَرُّعًا وَخِيفَةً متضرعا وخائفا و
دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو وَلَا تَكُنْ
مِنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله اِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يعنى الملائكة الملأ الاعلى لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ
يُسَبِّحُونَهُ وينزهونه وَلَهُ يَسْجُدُونَ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض عن عداهم من

من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي فيقول يا ويلتى أُمِر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ
سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ اى الغنائم وانما يعني حكمها سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي
به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ اى امرها مختص بهما يقسمها
الرسول على ما يأمر الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تُقسَم ومن يَقسِم المهاجرون منهم
او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان يُنفِّله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين
واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم
وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي
بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قُتِل اخي عُمير رضي الله عنه
وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي
ولا لك اطرحه في القَبَض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قَتْل اخي واَخذِ سلَبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت
سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ
يسالونك علَّنْفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها وسالونك الانفال اى يسألك
الشبان ما شرطت لهم فَاتَّقُوا اللَّهَ في الاختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال التي بينكم بالمواساة و
المساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فيه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان
الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي و
اصلاح ذات البين بالعدل والاحسان إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اى الكاملون الايمان الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع
خوفا من عقابه وقرئ وَجَلت وهي لغة وفرقت اى خافت وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا لزيادة
المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد
بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون

الآيات الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار
عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند
ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد
لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره
هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول
اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره
ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة وقال يا اهل مكة النجاء
النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت
عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها
فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال لا نرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع
اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال
بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك فانا معك حيث ما احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا
حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام

فقام سعد بن معاذ فقال لعلك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له رسول الله لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي
يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي
انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة
عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته
الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمة ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق و
يبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان
الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من
اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون
اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم
ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في
الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب
لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اياه

اذا جيت بعده او متبِعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرا نافع و
يعقوب مردَفين بفتح الدال اى متبَعين او متبِعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مُرُدِّفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على
الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل واختلف فى مقاتلتهم
وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة
العدد والاهب ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس
بدل ثانى من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار
اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى وقرا ابن
كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشى
وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار
شرود وقرئ امنة كرحمة وهى لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان يعنى الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال
كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله
فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب و
اغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط
على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب
حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول
يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او

فاضربوا

او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على
انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله
كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح
او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر
والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه
من الشق لان كلا من المعاندين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق
بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل
دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروه او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم
او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على
ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا
قليلا سمي به وجمع على زحوف فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا ان يكون مثلكم او اقل منكم والاظهر انها
محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم
متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم
حنين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه
من مكائد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر
القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن
الفرارون فقال بل انتم العكارون اي الكرارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء
من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف
الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام

هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ما وعدتنى فاتاه جبريل وقال له خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر
فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمى و
لكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد
عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء لكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل نزل فى طعنة طعن بها ابى بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم
فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابى الحقيق على فراشه والجمهور
على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين وليبلى المؤمنين منه
بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم
عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل والرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم
وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين و
ابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره و
لن تغنى ولن يدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين
بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية
خطاب المؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما
يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم
اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
رسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر

عنه وذكر طاعة الله للتوطئة وللتنبيه على ان طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم
عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا
لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو
اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به وارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون
لعنادهم وقيل كانوا يقولون احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان
دعوة الله تسمع من الرسول وروى انه عليه السلام مر على ابى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا
لان اجابته لا يقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة
لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا
تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال
او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه
على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب و
تصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر
بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من شدد فيه واليه تحشرون
فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكرين
بين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة

ساغ

لكنه لما تضمن معنى النهي كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل
المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب
قط واما جواب القسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل
للعرب كافة فانهم اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم
فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به من اعاديكم
وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من
الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض
والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات و
اريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه
انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية
في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى
خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى رسول الله
هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب و
ان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء
التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او
منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا
يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا

فانبطوا هممكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية فى قلوبكم يفرقون
بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما يحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر
والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها فى اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم
تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعاما على ما عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى
خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان
بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك
او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا
فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البختري رايى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه غير
كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال الشيخ بئس الراى ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم
فقال هشام بن عمرو راى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراى يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رايه فاتى جبريل النبى عليه السلام فاخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضى الله عنه على مضجعه و
خرج مع ابى بكر رضى الله عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين
اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا قول نضر بن الحارث و
اسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا فى امره عليه السلام
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان تشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين

ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام
ذلك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له عليه السلام ويلك
انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب
اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدا لا
غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق
مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي عليه السلام بين اظهرهم خارج
عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم
غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا لقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم ما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن
المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره
وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به
الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون
موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة
من الصدا وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم
ولايتهم للمسجد فانها لا يليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه و
يرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان

ان يكون للعهد والمعهود ائيتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم

ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى المطعمين فى يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد

منهم كل يوم عشر جزورا وفى ابى سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب

وانفق عليهم اربعين اوقية او اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على

حرب محمد عليه السلام لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها

بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل

وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان

عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة

وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى

الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب

الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون وما انفقه المشركون فى عداوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم يكون عليهم حسرة وقرا حمزة و

الكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا

فيجمعه ويضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين فيجعله فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث

لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون فى الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم

قل للذين كفروا يعنى ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول عليه السلام

بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على خطابهم وان يعودوا

الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا

مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم

الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه و

اسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة والاسلام و

الاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم

للمباشرة فيستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا لم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به

للكافرين

ولا تبالوا بمعاداتهم نِعْمَ الْمَوْلَى لا يضيع من تولاه وَنِعْمَ النَّصِيرُ لا يغلب من نصره وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ
اى الذى اخذتموه من الكفار قهرا مِنْ شَيْءٍ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ مبتداء
خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فإن بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول
صلوات الله عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله عنهما وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا
الى الثلاثة الباقية وعن مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه وذهب ابو العالية الى
ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول وذوو القربى بنوا
هاشم وبنوا المطلب لما روى انه السلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما
هؤلاء اخوتك بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بنى المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه
وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم
ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص و
الآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله
فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم للعمل اذا امر به
لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا محمد من الآيات
والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اى الرسول والمؤمنين يَوْمَ الْفُرْقَانِ يوم بدر فانه فرق فيه بين
والباطل يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ المسلمون والكفار وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على
الكثير والامداد بالملائكة إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث
شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وهم با

بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين
الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير وقوادها اسفل
منكم فى مكان اسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها
الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد
اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا
من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا
وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل
وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه
او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن
عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيى المشارف للهلاك
والحيوة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب
من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك
وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم و
لتنازعتم فى الامر امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة
من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم
اذ التقيتم فى اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين
حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عليه السلام

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ حتى قال ابوجهل ان محمدا واصحابه أكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال
ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم
وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على
هذا الوجه لان هذا الحد انما يتصور بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي
وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
لَقِيتُمْ فِئَةً حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال
فَاثْبُتُوا للقائهم وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله
وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر فَتَفْشَلُوا جواب النهي وقيل عطف
عليه ولذلك قرئ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة
بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالكلاءة والنصرة وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بَطَرًا فخرا واشرا وَرِئَاءَ النَّاسِ ليثنوا
عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فقال ابوجهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من
حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا
امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له
لكن على تاويل المصدر وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فيجازيكم عليه وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مقدر باذكر
أَعْمَالَهُمْ في معاداة الرسول وغيرها وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ مقالة
نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم

واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين و
افضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب
هلاكهم وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله اى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين
كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم
وانى مجيركم من بنى كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين
اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت
هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز
ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر
هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدى لهم فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف
ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو يجعل المضارع عكس ان اذ يتوفى
الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة
فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضر
وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة
او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب
الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر
وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك

ماضيا

بون

وَاَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان
يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى
ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اى دأب هؤلاء مثل دأب آل
فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه اى داموا عليه وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كفروا بآيات
الله تفسير لدأبهم فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ كما اخذ هؤلاء اِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا يغلبه فى دفعه شيء
ذٰلِكَ اشارة الى ما حل بهم بِاَنَّ اللّٰهَ بسبب ان الله لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلٰى قَوْمٍ مبدلا اياها بالنقمة
حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِاَنْفُسِهِمْ يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء كتغير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن
تعرض الآيات والرسول بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات
والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
واصل يك يكون حذف الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وَاَنَّ اللّٰهَ
سَمِيعٌ لما يقولون عَلِيمٌ بما يفعلون كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَا
هْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَاَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغير
فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وَكُلٌّ من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كَانُوا ظَالِمِينَ
انفسهم بالكفر والمعاصى اِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء
للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله اَلَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ
ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود
قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
ومن لتضمن المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سبة الغدر
ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فَاِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فاما تصادفنهم و
تظفرن بهم فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم مَنْ خَلْفَهُمْ

من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب
شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم
يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل طريق قصد في العداوة ولا
تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع
الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على
غيره ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي عليه السلم وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرا
ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول
انفسهم فحذف للتكرار وعلى تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف
او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى
سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او
لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية
ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها
المؤمنون لهم لناقضي العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن
عقبة بن عامر سمعته عليه السلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلم خصه بالذكر لانه
اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به
يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم
الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به
وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار
مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم
لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام والى للسلم

للصلح والاستسلام وقرا ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطالهم
خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم وتحيفه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل
الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك
الله وكافيك قال انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره و
بالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام
بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلوات الله عليه وبيانه لو انفقت
ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى
الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل
الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما فى محل النصب
على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على الكاف عند الكوفيين
والرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى عليه السلام ثلاثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى اسلامه يا ايها
النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت و
قرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
من الذين كفروا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله تعالى و
تأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريان فى وان يكن منكم مائة
بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى
الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم فيكم
ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب
الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك

ان

بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير
واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة
عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما
مَا كَانَ لِنَبِيٍّ وقرئ للنبي على العهد اَنْ يَكُونَ لَهُ اَسْرَى وقرأ البصريان بالتاء حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله
واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا حطامها باخذكم الفداء وَاللّٰهُ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ والله يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر
الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا وَاللّٰهُ عَزِيزٌ يغلب اولياءه
على اعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة
للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اُتي يوم بدر
بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر
وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا
الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء مجتهدون وانه قد يكون خطاء ولكن لا يقرون
عليه لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ لوحكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده
او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لَمَسَّكُمْ
لنالكم فِيمَا اَخَذْتُمْ من الفداء عَذَابٌ عَظِيمٌ روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر و
سعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار الى الاثخان فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل

امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من
زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدة
ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا
الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي
نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم قال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى
قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد
خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم
بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم
المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها
على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين
الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او
بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه
بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على
المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما

بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع
التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم حتى في التوارث وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض يحصل فتنة
فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين بثلاثة
اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد و
بذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الوعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه
ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث
من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله
بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

سورة براءة مدنية وقيل الا الايتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق
وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم وآيها مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان و
قيل كان صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه
قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة
في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من
الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة
مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى

والمشردة

ان الله ورسوله بريئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمؤمنين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما بريئا
منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وكنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين
وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ شوال وذى القعدة
وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه راكب
العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى
ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله عنه سمع ابو بكر رضى الله عنه الرغاء فوقف و
قال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية
خطب رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى
عهد عهده ولعل قوله لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم لانه عليه السلام بعث لان يؤدى عنه كثير لم يكونوا
من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه عن القبيلة الا رجل منها ويدل عليه
انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ لا تفوتونه
وان امهلكم وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ
رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه السلام وقف يوم
النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال
او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين أَنَّ اللَّهَ اى بان الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اى من عهودهم وَرَسُولُهُ عطف على المستكن فى
برئ او على محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان
او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام

الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب
خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله
لا يفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الاخرة الا الذين عاهدوا
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين و
لكن الذين عاهدوا ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوا ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم
قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان تمام عهدهم من باب
التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر
الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل
بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا
المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واحصروهم واحبسوهم و
اسروهم والاخيذ الاسير او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا يبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا يتعرضوا لهم بشيء من ذلك
وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم
لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمور
بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه ان يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما يدعوا اليه فلا بد من امانهم
ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار
والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يثبتوا لهم وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه
وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين وعند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او
ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند

المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء
منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء فهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا
مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم
على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله وخبرتمانى انما الموت
بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال
السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجوار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروا ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية
والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله
لانه قرئ ايلا كجبرال وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المودية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا
من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان
والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية
تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء
اشتروا بايات الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا
عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم
الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة
فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام فى المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب
الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون فى الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم
يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من

من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا
بذلك ذوى الرياسة والتقدم بالكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة روساء المشركين فالتخصيص اما
لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب ائمة
بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان على الحقيقة والا لما
طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية
على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان
نكثوا ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو
ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله
لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما
هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على للانكار فافادت المبالغة
فى الفعل نكثوا ايمانهم التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول عليه السلام حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما ذكر فى قوله واذ يمكر
بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة
والمقاتلة لانه عليه السلام بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة و
المقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم
فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور
قوم مؤمنين يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى فشكوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد
وفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب
عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر

النفي

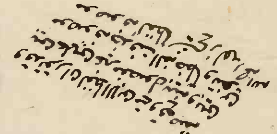
فان القتال كما تسبب لتعذيب بعض تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم
لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد
نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا
عطف على جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم
ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون
يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا
مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها
فعامره لعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر
باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي
رضي الله عنه فى القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى
الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفى النار هم
خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اى انما
يستقيم عمارتها لهولاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج
وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبى عليه السلام قال الله ان
بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق
على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان
به ولدلالة قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى فى ابواب الدين فان الخشية
عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة
التوقع قطعا لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون
فان هولاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين

للمومنين ان يفتخروا باحوالهم و يتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل
لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن و
يؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة
بالمومنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله و
الله لا يهدي القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكين فى الضلالة فكيف
تساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و
بين المومنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة
عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم و
اولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و
جنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه
وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان
الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
آباءكم واخوانكم اولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا و
ابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان
استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
بوضعهم الموالاة فى غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم
مأخوذ من العشرة وقيل من العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ
وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله الحب الاختيارى دون الطبيعى
فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة
عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم

وقل من يخلص لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن
يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام موطن او تفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه ولا
يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما
اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين وادي بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين
حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا
قال النبي او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا
فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة
على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا المشركين
فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاشياء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض
بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون
فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف
خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم
يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة
عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين
اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق
للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا
واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا

مالا يحصى فقال اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله
وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا
فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا
انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما
يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون
وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى
عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا
واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم
عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من
فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة و
جرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ
عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لينقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل
في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما
يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في
اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل
رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى
يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية
بمعنى منقادين او من غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم وهم صاغرون اذلاء وعن
ابن عباس رضي الله عنه يؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب

وروي ان عمر رضي الله عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
وذلك فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله يؤخذ منهم
الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند
مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله
على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير
الكسوب وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وانما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك
لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا
فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا
مع تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه
في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحرف اللين او لان الابن وصف
والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه و
الابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها
او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
مِنْ قَبْلُ اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او
اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهياء على
فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قَاتَلَهُمُ اللهُ دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب
من شناعة قولهم أَنَّى يُؤْفَكُونَ كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا
مِنْ دُونِ اللهِ بان اطاعوهم في تحريم ما احل وتحليل ما حرم او بالسجود لهم وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ بان جعلوه ابنا لله
وَمَا أُمِرُوا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ليطيعوا
إِلَهًا وَاحِدًا وهو الله واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ صفة



صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا اخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القران او نبوة
محمد عليه السلم بافواههم بشركهم او بتكذيبهم ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد
واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم بطلب ابطال نبوة محمد عليه السلم بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب
لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله با
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك
كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اى على ساير الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن
سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان
يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان
يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب
للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه
فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله عليه السلم من ترك صفرا او بيضاء
كوى بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه
ما من صاحب ذهب ولا فضة ولا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار
فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار
جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار
مبالغة ثم حذفت النار واسندت الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال

على رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير
فيها للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصها بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على ان حكم الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او
لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها
المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي
مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ يكنزون
بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في
كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر يوم خلق السموات والارض متعلق
بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله
الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة و
المحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان
حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم
وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا و
يؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب
تقواهم انما النسيء اي تأخير حرمة شهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي بقلب الهمزة
ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة
في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا

ضلالا زايدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يُضَلّ على البناء للمفعول وعن يعقوب يُضِلّ على الفعل لله
يُحِلّونه عامًا يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرّمون مكانه شهرا آخر ويُحَرِّمونه عامًا
فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جُنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في
الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فحرّموه والجملتان تفسير للضلال او حال لِيُواطِئوا
عِدّةَ ما حرّم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين
فيُحِلّوا ما حرّم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زُيِّنَ لهم سوءُ اعمالهم وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلّهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا
يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثّاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثّاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى
الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فتعدى بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا
بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا
فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استُنفرتم
يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم
ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله
وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير
الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الله تع الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه
فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد
فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم ينصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى
نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همّهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص
مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض

فی یمنی

اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور والثور جبل مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه
ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا
بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله
فقال عليه السلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم
يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته الذي يسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر
لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه
على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة
الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عليه السلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبداء له
او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب
عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها
فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا
خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا
وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير
او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان
ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر الشين وسيحلفون
بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة
العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة
لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه

وتوهم يهلكون انفسهم بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع
للنفس فى الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين
للخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه فى الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم
بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شيء اذنت لهم فى القعود حين استاذ نوك
واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا فى الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء و
اذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى
ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذ نوا
فى التخلف عنه كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة
لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص
الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه
الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون اى يتحيرون
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره
الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا
لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا
مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر با
بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين
وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبا
فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة
باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء لاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس
كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب.

والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم
بالظالمين فيعلم ضمايرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول
الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك
المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهى وظهر
امر الله وعلا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول عليه السلام و
المومنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف
اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه
ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان و
المخالفة بان لا تاذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او فى الفتنة بسبب
ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس
قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى
الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق
لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الآن لان احاطة
اسبابها بهم كوجودها ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم
وان تصبك فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من
قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم فى التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له
او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا
باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم
وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصوب لانه وقوع الشئ فيما قصد وقيل من الصواب هو مولينا ناصرنا و

ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون
بنا ينتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفايدته المبالغة في تساوي
الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو
جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يوخذ منهم وان
لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان
وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي
وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلون ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدايد و
المصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في
العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا
يلجاون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول و
قرأ يعقوب مدخلا اي مكانا يدخلون انفسهم ومتدخلا من تدخل ومندخلا من
اندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح
وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن

كثير يلمزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الاترون الى صاحبكم انما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير
الغنايم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا
للمفاجاة نايب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم
الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان
بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله صدقة او
غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والاية
باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات
تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات
دون الغنايم والفقير من لا مال له ولا كسب له يقع موقعا من حاجته من الفقار
كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه و
يدل عليه قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلم سال المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل
بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها
والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف ترقب
باعطائهم ومراعاة اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله وسلم عيينة حصين ولا	قرع
بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه
عليه السلم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم
من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المولفة لتكثير سواد
الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد

اوبان يفدي الاساري والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا
للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم
يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني
الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق
على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بنا القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او
حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء
في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي رحمه الله وعن عمر
وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال
الائمة الثلاثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الآية بيان
ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة
السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف و
شلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن
خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير
ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم
وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله
ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرا
حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب بفعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة
وقرا نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون

رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بايذائه يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ على معاذيرهم فيما قالوا اوتخلفوا
لِيُرْضُوكُمْ ليترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين وَاللهُ وَرَسُولُهُ اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ احق بالارضاء
بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين اولان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه
اولان التقدير والله احق ان ترضوه والرسول كذلك اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ صدقا اَلَمْ
يَعْلَمُوا اَنَّهُ ان الشان وقرئ بالتاء مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ يشاقق مفاعلة من الحد
فَاَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يعنى الاهلاك الدائم يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ اَنْ
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وتهتك عليهم استارهم و
يجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو
محتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول
بشيء وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولون فيما بينهم استهزاء لقوله قُلِ اسْتَهْزِؤُا
اِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مبرز او مظهر مَا تَحْذَرُونَ اى ما يحذرونه من انزال السورة فيكم او
ما يحذرونه اظهاره من مساويكم وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ اِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ
روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله فى غزوة تبوك فقالوا انظروا هذا الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم
كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شيء مما يخوض
فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قُلْ اَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ توبيخا
على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبا باعتذار الكاذب لَا تَعْتَذِرُوا
لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قَدْ كَفَرْتُمْ قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول
الطعن فيه بَعْدَ اِيمَانِكُمْ بعد اظهاركم الايمان اِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ لتوبتهم واخلاصهم
اولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء يُعَذَّبْ طَائِفَةً بِاَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرين على النفاق
اومقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله

وَإن تُعذَّبْ بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعضٍ اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض
الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل
فانه يدل على مضادة حالهم بحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح
نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله إن المنافقين
هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه
وما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين
من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبههم بهم وتمثيل حالهم فا
فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخرجة من الشهوات الفانية والتهايم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذي خاضوا
كالذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة
الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح
وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين
واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ايتفكت بهم اى انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وايتفاكهن به انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل
بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم

وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب وَالْمُؤْمِنُونَ وَ
الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَيُطِيعُونَ
اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فى ساير الامور أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ لا محالة فان السين موكد للوقوع
إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حَكِيمٌ يضع الاشياء مواضعها وَعَدَ
اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ
طَيِّبَةً تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت الاحمر فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ اقامة وخلود وعنه عليه السلم عدن دار الله التى لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى
طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على
سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التى
يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش
معرى عن شوايب الكدورات التى لا يخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا
تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمودى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه السلم ان الله تعالى يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضوانى فلا
اسخط عليكم ابدا ذٰلِكَ اى الرضوان او جميع ما تقدم هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذى يستحقر
دونه الدنيا وما فيها يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بالسيف وَالْمُنَافِقِينَ بالزام الحجة
واقامة الحدود وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ فى ذلك والخاصم وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
مصيرهم يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا روى انه عليه السلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا

لاخواننا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت
فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم و
اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر
منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او
اخراجهم واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله
وما نقموا وما انكروا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من
فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله
اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس
على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت
في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلم
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر
فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما اتاهم من فضله

بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض
عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في
قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم الى يوم
يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اى جزآءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله
ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون و
بكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا
وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اى المنافقون ومن عاهد الله وقرئ بالتاء على
الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه فى انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف
ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم و
قرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روى انه عليه السلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف
فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت و
فيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم
وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتى اجر
بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين
لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه
فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ
بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين
في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى ان
عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر

٩٢٥

ان تستغفر له فنفعل فقال عليه السلم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم اولم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فيجوز
ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد
باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم
الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر و
الارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو
الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة
فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض للمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه
ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او
انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء
بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على
انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة
العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين
يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا
فاستأذنوك للخروج اي غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى
النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة

عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اى المتخلفين
لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل
على احد منهم مات ابدا روى ان ابن ابى دعا رسول الله فى مرضه فلما دخل عليه سأله
ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن
الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه
حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر
ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحى ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهى او لتأبيد الموت ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا والآخرة وتزهق انفسهم وهم
كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذا فى فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن
ويجوز ان يراد بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا
مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما فى الجهاد وموافقة الرسول
من السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك
لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور
لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون
بالمطالب اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعنى اسدا و

وغطفان استاذنوا فی التخلف معتذرین بالجهد وکثرة العیال وقیل هم رهط عامر بن الطفیل
قالوا ان غزونا معک اغارت طی علی اهالینا ومواشینا والمعذر اما من عذر فی الامر اذا
قصر فیه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فی الذال ونقل
حرکتها الی العین ویجوز کسر العین لالتقاء الساکنین وضمها للاتباع لکن لم یقرا بهما وقرا یعقوب
معذرون من اعذر اذا اجتهد فی العذر وقرئ المعّذّرون بالتشدید العین والذال علی
انه بمعنی اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فی العین وقد اختلف فی انهم کانوا معتذرین با
بالتصنع او بالصحة فیکون قوله وَقَعَدَ الَّذِینَ کَذَبُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فی غیرهم وهم منافقوا الاعراب
کذبوا الله ورسوله فی ادعاء الایمان وان کانوا هم الاولین فکذبهم بالاعتذار سَیُصِیبُ
الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ من الاعراب او من المعذرین فان منهم من اعتذر لکسله لا لکفره عَذَابٌ اَلِیمٌ
بالقتل والنار لَیْسَ عَلَی الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَی الْمَرْضَی کالهرمی والزمنی وَلَا عَلَی الَّذِینَ لَا یَجِدُونَ
مَا یُنْفِقُونَ لفقرهم کجهینة ومُزینة وبنو عُذرة حَرَجٌ اثم فی التاخر اِذَا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ
بالایمان والطاعة فی السر والعلانیة کما یفعل الموالی الناصح او بما قدروا علیه فعلا او قولا
یعود علی الاسلام والمسلمین بالصلاح مَا عَلَی الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلٍ ای لیس علیهم جناح ولا الی
معاتبتهم سبیل وانما وضع المحسنین موضع الضمیر للدلالة علی انهم منخرطون فی سلک المحسنین
غیر معاتبین لذلک وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ لهم او للمسیء فکیف للمحسن وَلَا عَلَی الَّذِینَ اِذَا مَا
اَتَوْکَ لِتَحْمِلَهُمْ عطف علی الضعفاء او علی المحسنین وهم البکاؤن سبعة من الانصار معقل
بن یسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن کعب وسالم بن عمیر وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل و
عُلبة بن زید اتوا رسول الله وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا علی الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة
نغزو معک فقال لا احد فتولوا وهم یبکون وقیل هم بنو مُقرِّن مَعْقِل وسُوَید والنعمان
وقیل ابو موسی واصحابه قُلْتَ لَا اَجِدُ مَا اَحْمِلُکُمْ عَلَیْهِ حال من الکاف فی اتوک باضمار
قد تَوَلَّوْا جواب اذا وَاَعْیُنُهُمْ تَفِیضُ تسیل مِنَ الدَّمْعِ ای دمعا فان من للبیان وهی
مع المجرور فی محل النصب علی التمییز وهو ابلغ من تفیض دمعها لانه یدل علی ان العین صارت
دمعا فیاضا حَزَنًا نصب علی العلة او الحال او المصدر لفعل دل علیه ما قبله اَلَّا یَجِدُوا ای لئلا یجدوا

متعلق بحزنا او بتبيض ما ينفقون في غزاتهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك
وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو
السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثار الدعة
وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته
يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم
ولا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب
عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا
عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل
على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم
جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا
والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله و
بصدد عقابه او ان امكنهم ان تلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا
ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر
بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر
ان لا يعلموا واحق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها

واللّه عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم و
محسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله
ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا عليه ثوابه وانما
ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دواير الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم
فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه
او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار
يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق
والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي
يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلواته لانه عليه السلم
كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه السلم اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان
يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم
على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته
وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى
في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاو[لون]
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة ومصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع خالدين

لون

فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدكم يعني المدينة من الاعراب
منافقون وهو جهينة ومزينة واسلم وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة
للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم
في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي
مواضع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم
ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا لهم
سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة و
نهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم
لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم
على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسال عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا
انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف
باخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة
شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان
يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من
اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك

456

صلواتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير
اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم
والمراد به التخصيص عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن
لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من ياخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى
لا يخفى عنهم كما رايتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون
اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو
وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان
تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم
حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهولاء كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك
اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون
مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص
وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قباء سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم
بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام
فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة
والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى
هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية

للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة
في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعني الراهب فانه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله
ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام
من قبل متعلق بحارب او باتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه
بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا
ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين
والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على
التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين
الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان و
المكان لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى
بان يصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء
قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام
مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي
تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم
نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه
على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة

بالطاعة أمّن أسّس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها
فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا
الجرف وهو ما جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان
تاسيس ذاك على امر يحفظ عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها
وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار
لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرى اساس بنيانه واُسُّ على الاضافة
واُسُس واَساس واِساس بالكسر وثلثها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة بناهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان
بناهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عليه السلام
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا
بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة و
قيل التقطيع ما هو كاين بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا و
قرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرى
يُقطع بالياء وتُقطع بالتخفيف وتُقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت
على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل
انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف ببيان
ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر موكد
لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا في القرآن ومن

اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال وذلك الفوز
العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد به المؤمنون المذكورون و
يجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله
مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلم سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون
الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال
الجامعون بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق و
الشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم
بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك
سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هولاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المؤمنين
موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف
المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلم قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك
بها فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم
ياذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيايهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع
النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن

عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
بالايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهى الوعد بالايمان
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره
ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى و
الجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا
ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما
يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل
انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شئ عليم فيعلم امرهم فى الحالتين ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى
قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب
عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود
فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار من اذنه
المنافقين فى التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى و
المهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه
ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من
عباده الذين اتبعوه فى ساعة العسرة فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر
يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا
الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفى
كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث
القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ثم تاب عليهم
تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدو

إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع الَّذِينَ خُلِّفُوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤون حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهى مثل لشدة الحيرة وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها انس و سرور وَظَنُّوا أَنْ لَا
مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ الا اليه من سخطه الا الى استغفاره ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق للتوبة لِيَتُوبُوا اذا نزل بتوبة
توبتهم ليعدوا فى التوابين او رجع عليهم بالقبول او الرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرَّحِيمُ متفضل عليه بالنعم يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ فيما لا يرضاه وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فى ايمانهم وعهودهم او فى دين
الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة
واضرابهم مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ من حكم
نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ لا يصونوا انفسهم عما لم يصن
نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء
فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ
سيفه ورمحه كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال
كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذَلِكَ اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المتابعة بِأَنَّهُمْ بسبب انهم لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ شئ من العطش وَلَا نَصَبٌ تعب وَلَا مَخْمَصَةٌ مجاعة فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ
مَوْطِئًا مكانا يَغِيظُ الْكُفَّارَ يغضبهم وطاءه وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا كالقتل والاسر و
النهب إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة إِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق
الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ولو علاقة وَلَا كَبِيرَةً مثل ما

ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وكل منفرج ينفذ فيه
السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله
بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان
يثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل
جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا
مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع
على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل
به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة
الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت
القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين
ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى
الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي وضمير النافرين في اذا
رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هو يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم
فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على
القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة
والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم
زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين

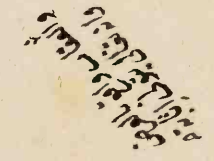
آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى
ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا
وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء
انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر
عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل
يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم
انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء
بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما
عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن
غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل
فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
او الجسم العظيم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان
آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من
الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع
وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب
الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم

بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا استفهام
انكار للتعجب و عجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او
على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم
فوجهوا نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم
قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من
فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا في المال وخفة الحال اهون شيء في هذا الباب و
لذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام
ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول اوحينا و
بشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة
رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم لم ينالوها الا بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب
وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه
اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا
الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته
ويهيئ بتحريك اسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع
الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات
الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية
ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون
ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت
او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد

من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
بعد بدائه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم
وقيامهم على العدل فى امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه
لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزى
الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم بالمبالغة فى استحقاقهم
العذاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة للمؤمنين بما يليق
بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه اما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم
والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله
المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدؤ بالفتح اى لانه
ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذى جعل الشمس ضياء
اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن
ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور
وسمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور و
قد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او
للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله
لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات
لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء
ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات
لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم
على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها و



وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذايذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج
عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا و
الانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل
عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا
عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقايق كما قال عليه السلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة والتهذيب وان دل على ان سبب
الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان
بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف تجري من تحتهم الانهار استيناف او
خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر
منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم
اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها
سلام وآخر دعويهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك
ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى
فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها و
بنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع
تعجيله بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم وبان المراد
شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي
اليهم اجلهم لاميتوا او اهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل

لم يرد

وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا
لهم واستدراجا وإذا مس الإنسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا
لجنبه اي مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف
المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر على موقف الدعا
يرجع اليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق
اللون كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين
للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد
أهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى
والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو
حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك
مثل الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في
ذلك
امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على
كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد
القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته
الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن
الفعل تارة ويقبح اخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعد من الثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا أو بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك
آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي أن أبدله من
تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام

لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ تعليل لما يكون فان
المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض وَرَدّ
لما عرضوا له بهذا السوال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه
عصيانا إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي اى بالتبديل عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وفيه ايماء بانهم استوجبوا
العذاب بهذا الاقتراح قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ غير ذلك مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ولا
اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم و
لاعلمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ
ولا أدرأتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء
بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتى
حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مقدار عمر اربعين سنة
مِنْ قَبْلِهِ من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان
من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا
خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم و
احتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين
على ما هى عليه علم انه معلم به من الله أَفَلَا تَعْقِلُونَ اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
لتعلموا انه ليس الا من الله فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا تفاد مما اضافوه اليه كناية
او تظليم للمشركين بافترائهم على الله فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ فكفر بها
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لانه
جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب
نفع او دفع ضر وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ الاوثان شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ يشفع لنا فيما يهمنا من
من امور الدنيا او فى الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث
تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع
لهم عنده قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ اتخبرونه بِمَا لَا يَعْلَمُ وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بما

شفعاء عندلقوما لا يعلم العالم بجميع المعلومات لا لكون له كون ما في السموات وما في الارض حال
من العايد المحذوف موكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او
ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة
واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلم الى ان قتل قابيل
هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى و
الاباطيل او ببعثة الرسول فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم
عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية
من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في
انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما انزل علي من الآيات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم
مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا
منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة
الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ما تدبروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن
وجرين بهم عن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه يذكر لغيرهم ليتعجب حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير
للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم

وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم
مسالك الخلاص كما احاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع
الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من
لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا
الفساد وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة
الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره
ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره
بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره ثم
الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت
باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب
والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت و
ظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب
زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله
كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة و
قرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون

الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض
حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه
المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى
دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك
او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله
رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف و
اكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين
الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على
مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتداء والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة سيئة بمثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما
بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتداء خبره محذوف اي جزاء سيئة واقع او بمثلها على زيادة الباء او
تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه الموصوف
فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف ما هو
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا

قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر
ولان الذين احسنوا متناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يعني الفريقين جميعا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
بكم أَنْتُمْ تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وَشُرَكَاؤُكُمْ عطف عليه وقرئ بالنصب على
المفعول معه فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ
مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ان ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي
يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَ
بَيْنَكُمْ فانه العالم بكنه الحال إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة هُنَالِكَ تَبْلُو في ذلك المقام تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو
اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبر
اي نفعل فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان
يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ الى جزائه اياهم بما اسلفوا مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة كما اتخذوه مولى
وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وَضَلَّ عَنْهُمْ وضاع عنهم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من
ان آلهتهم تشفع لهم او كانوا يدعون انها آلهة قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل
من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان
من النطفة والنطفة منه وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص

وهم

فسيقولون اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون
انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولى
لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم
ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع فى الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او
ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا
تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد
بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى
الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم فى الجواب
فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا به فانى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق
افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى
من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم
كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما
يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة
واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد
بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على

على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن
افتراء من الخلق تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدم من الكتب الالهية المشهود على صدقها
ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر
او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو
تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقاير والشرايع لا ريب فيه
منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه
مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كاينا من رب العالمين
او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا
من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه و
البرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فأتوا بسورة مثله
في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا
في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به
من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا
بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته و
يحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف
دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه اوولم ياتهم بعد
تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن
معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى
التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق

فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به
فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره اوفيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين اوبالمقصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي
ولكم عملكم فتبرا منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان اوباطلا
انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لاتؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم
ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من
يستمعون اليك اذا قرات القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع
اصلا افانت تسمع الصم ولوكانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه
تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى
الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف
والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع
به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلايل نبوتك ولكن لا يصدقون
افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولوكانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر
عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم
يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة
من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او القبور لهول ما يرون
والجملة التشبيهية فى موضع الحال اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة اوصفة ليوم والعايد
محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله اولمصدر محذوف اى حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم
يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر

للامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون
يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون
حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا
من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعقاب
الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازيهم عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها
ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة
من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه
قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم
لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكافرين لقوله وجيء بالنبيين والشهداء و
قضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم
للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب
اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم
اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا
فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت
بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
اي شيء من العذاب تستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب
ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به
بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول

الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن
آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا
واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما
تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو
فانه فيه تعريض بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة فى موقع النصب
بيستنبئونك قل اى وربى انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
اى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده
وما انتم بمعجزين فائتين من العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدى على الغير
ما فى الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى
فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوا من فظاعة الامر وهوله
فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر
الشىء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشىء واسره اذا اظهره
وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير لقدرته على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
لانهم لا يعقلون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت فى الدنيا فهو يقدر عليهما
فى العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا
واليه ترجعون بالموت او بالنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن
الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى

لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات
النيران مصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته
بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة
ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب
الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت فعند ذلك
فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده
انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك
وقرا ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل
باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان
المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه
انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله
اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة
ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على
الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان يجازوا عليه وهو منصوب بالظن
ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو
فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب
ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله

الهمزة من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن
معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول
تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر
ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم
ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا
عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد منه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال
ذرة يوازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان
العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها
والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب
مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسرة لامتناع
الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا
ان اولياء الله لا خوف الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا
الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب
او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل
لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في
الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم
شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم و

وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم
لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم
الْعَلِيمُ بعزماتهم فيكافيهم عليها أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ من الملائكة و
الثقلين اذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل
احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ شُرَكَاءَ شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول
يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ اى ما يتبعون الا يقينا
وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله أُولَئِكَ
الَّذِينَ يدعون يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشائه وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يكذبون فيما ينسبون
الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده
باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه لفرق بين الظرف المجرد والظرف
الذي هو سبب إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تدبر واعتبار قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من
كلمتهم الحمقاء هُوَ الْغَنِيُّ علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ تقرير لغناه إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا نفى لمعارض ما اقام
من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او
نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان

العقايد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سايغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع
في الدنيا خبر مبتداء محذوف اى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم
او تقلبهم متاع او مبتداء خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت ف
يلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم
واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم
وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة
او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت ووثقت به فاجمعوا
امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم
وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا
من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على وجه يمكنهم ثقة
بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من
غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري
ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الي
بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون فلا تمهلوني فان توليتم
اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او
يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به
آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو
غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم
وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية

ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم
بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة
شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم تكذيب الحق و
تمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال و
اتباع المألوف وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق
ذلك ثم بعثنا من بعدهم بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا
برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة
للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر اوفائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى للقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر
هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير و
المحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة
كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة
على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر
اومن تمام قولهم ان جعل سحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء فى الارض الملك فيها سمى بها
لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما
وقال فرعون ائتونى بكل ساحر وقرا حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال لهم موسى ما جئتم به السحر اى الذى
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرا ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء
وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منها او خبر مبتدأ محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى
آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه
او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد

وبموته لا محقه له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته واوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل
دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم آمنوا به او مومن من آل فرعون و
امراته آسية وخازنه وزوجته وماشطة على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير
لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة و
مضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف و
افراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملا كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب
فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال
موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به و
اعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم
كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيب دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم
الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم
ومن شوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعا تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا
ليجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة
مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة
امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان
يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملاءه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا و

المعلوم

وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت
ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفرة استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما
جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها
على ان المقصود عرض الآيات ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها
والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا ينشرح للايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على
ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان
يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما
كاين ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله
وعن ابن عامر ولا تتبعان بنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع
ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين
لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال
تبعه حتى اتبعه فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ
عدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به
بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن
الآن وقد أيست من نفسك فلم يتبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك
وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك
من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك
من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك
عاريا من الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكان له درع من ذهب يعرف بها

وقرئ بابدانك اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه وبدرعك كانه كان مظاهرا
بينها لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً لمن ورائك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من
عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا
على ممرهم من الساحل او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا ما ل امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا على الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء
الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية كساير
الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة
الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على
المشهور وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا انزلنا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ فما اختلفوا فى امر دينهم
إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما قرؤوا التورية وعلموا احكامها او فى امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا
صدقه بنعوته ونظام معجزاته إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ من القصص على سبيل الفرض والتقدير فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ
فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد
بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم
بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال
عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبى والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت
ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ واضحا
لا مدخل للمرية فيه بالآيات فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ بالتزلزل عما انت عليه من الجزم
واليقين وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ايضا من

للمرية

من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم يؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين آجالهم روي ان يونس عليه السلم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشاء ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطاف

بالله

وتوفيقه فلا تجهد فى نفسك فى هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه
سببه وقرئ بالزاء وقرا ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم
بالنظر فى الحجج والآيات او لا يعقلون دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول
قوله قل انظروا اى تفكروا ماذا فى السموات والارض من عجايب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال
قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغنى الآيات والنذر عن
قوم لا يؤمنون فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك او فا
نتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية
الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين
نهلك المشركين وحق علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس
خطاب لاهل مكة ان كنتم فى شك من دينى وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على
العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت
ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحى حذف الجار من ان يجوز ان
يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان
اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى
الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك
سواء الخبر منها والطلب فى المعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته

فان دعوته فإنك إذاً من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وإن
يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه إلا هو إلا الله وإن يردك بخير فلا راد
فلا دافع لفضله الذي اراداك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين
للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن
رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة
ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن
ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فإنما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن
ضل بالكفر بهما فإنما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول
الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قرأ سورة يونس اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وعشرون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب
محذوف أحكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او
منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت
بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات
الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار
او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فَصَلَت اي
فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في
الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت
او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ان لا

تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول و
يجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كانه قيل
ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا إنني لكم منه نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا
إليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين
يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم فى امن ودعة إلى أجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا
يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها
مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي
فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا او الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وإن تولوا
وان تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد
ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى إلى الله مرجعكم رجوعكم
فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم ألا إنهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق و
ينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى او يولون ظهورهم وقرئ
يثنوني بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من
الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثنى و
تثنئن من اثنأن كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله و
المؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا و
استغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين
وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم الا
حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون فى قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه إنه عليم

عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابّةٍ
في الارضِ الا على الله رزقها غذائها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة و
انما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكيل فيه ويعلم مستقرها و
مستودعها اماكنها في الحيوة او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
كلٌّ واحد من الدواب واحوالها في كتابٍ مبينٍ مذكور في اللوح المحفوظ و
كانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على
الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايامٍ اى خلقها وما فيها كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات
بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقها لم يكن حايل
بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء
اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله
اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من
خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب و
مواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها
وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث
انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل
لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبيح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقي دايما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب و
الجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع
في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول

او القرآن المتضمن لذكر البعث الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت
او ان تكون بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ
الْعَذَابَ الموعود إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ الى جماعة من الاوقات قليلة لَيَقُولُنَّ استهزاء
مَا يَحْبِسُهُ ما يمنعه من الوقوع أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ كيوم بدر لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ليس
العذاب مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم
خبرها عليها وَحَاقَ بِهِمْ واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع
يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَّا رَحْمَةً ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ثم سلبنا تلك
النعمة منه إِنَّهُ لَيَئُوسٌ قطوع رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كَفُورٌ
مبالغ في كفران ما سلف من النعمة وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ كصحة بعد
سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي اي المصائب التي ساءتني إِنَّهُ لَفَرِحٌ بطر بالنعم مغتر بها فَخُورٌ على الناس
مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجد الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجد في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى
شيء لان الذوق اول ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا على
الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ شكرا لآلائه سابقها و
لاحقها أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ كَبِيرٌ اقله الجنة والاستثناء من الانسان
لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق
ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ تترك تبليغ
بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم

من توقع الشيء لوجود ما يدعوا اليه وتوقعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل
عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا
ضيق بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك
والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم
ام يقولون افتريه ام منقطعة والهاء لما يوحي قل فأتوا بعشر سور مثله في الفصاحة
في حسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة
وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من
عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثل يقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص
والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه
وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي
مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا
انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو
واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور
عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من
ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من
انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان
ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة

وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال
العذر من يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها
نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد
وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع
لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم
فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء وقيل في المنافقين
وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا
وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة
لما قبلها وقرئ وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا
من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على
الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين
هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر
وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد
من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعني التورية
فانها ايضا يتلوه في التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما
لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب
عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلوا القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله و
شهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة

كان — وقيل المراد به النبي عم

ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان
على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب
معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند
اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا او
تعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد
كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
تهويل عظيم مما يحيف بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان
يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم عن العقاب ولكنه اخر
عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن
كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن
الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء
فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين
خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم

والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم
لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان
امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله
الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا تمثيلا او صفة وحالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر
وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص
ان لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو فى الحقيقة صفة
المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صايم للمبالغة فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه
بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير
تعمق من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا
ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادي الراى و
العامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك و
لمتبعيك علينا من فضل يوهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك فى
دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغايبين قال يا قوم ارايتم
اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواى واتاني رحمة من عنده
باتياء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى
نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة و

وحذفها للاختصار او لانه لكل واحد منها وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي أخفيت
وقرئ فعماها على ان الفعل لله أنلزمكموها أنلزمكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما
جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر
فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا على الله فانه المأمول منه وما أنا بطارد الذين
آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم إنهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
ملاقوه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله
بدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا ان التماس
طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندي خزائن الله رزقه و
امواله حتى جحدتم فضلي ولا أعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول انا
اعلم الغيب حتى يكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة
ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا أقول إني ملك حتى تقولوا ما انت
الا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري أعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم
لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله
أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة
والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة
منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا
فأطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في الدعوى
والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال إنما يأتيكم به الله إن شاء عاجلا او آجلا وما
بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم شرط
ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله

يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت
طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من
ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده
محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هُوَ رَبُّكُمْ
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على اعمالكم أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ
من اجرامكم في اسناد الافتراء الي وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا
مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما
فعلوه من التكذيب والايذاء وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة
الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية
على طريقة التمثيل وَوَحْيِنَا اليك كيف نصنعها وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا فلا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل
الى كفه وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ حكاية حال ماضية وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا
تَسْخَرُونَ اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يعني به اياهم وبالعذاب الغرق وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عَذَابٌ مُقِيمٌ دائم وهو عذاب النار
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وَفَارَ التَّنُّورُ نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور
الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكانت في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند
او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها
قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا في السفينة مِنْ كُلٍّ نوع من الحيوانات المنتفع بها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذكر

ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من كل
صنف ذكر وصنف انثى وَأَهْلَكَ عطف على زوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونسائهم
إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بانه من المغرقين يريد به كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
وَمَنْ آمَنَ والمؤمنين من غيرهم وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه ثلاثة سام وحام ويافث ونسائهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم
روى انه عليه السلم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس
وفي اعلاها الطير وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب
في الارض بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها
مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او الزمان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما
بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر
اى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها
بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت
واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام
عليكما وقرا حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا
من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ متصلة بمحذوف دل
عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ في موج من الطوفان وهو
ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء
طبق ما بين السماء والارض وكان السفينة تجرى في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ
الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذاك قبل التطبيق وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ كنعان وقرا
ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله

فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ
ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنيّ اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع
الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من
الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم
ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال قال سآوي
الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم
وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من
جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادي به اولو العلم وامرا بما يومرون تمثيلا لكمال قدرته
وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة
من عظمته وخشيته من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء وقضي الامر
وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي
جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عاشر المحرم فصام
ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا
بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب
الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح
ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك

نقص

وَعْدَكَ الْحَقُّ وان كل وعد تعد حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله
او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ لانك اعلمهم و
اعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قَالَ يَا
نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت الصالح تعريضا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عَمِلَ اى
عمل عملا غير صالح فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ما لا تعلم اصواب هو ام ليس وانما سمى نداءه
سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شانه ولده او استفسار المانع للانجاز في
حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ لان استثناء من
سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى
اشتبه الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا
النون على ان اصله تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ
فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ما لا علم لي بصحته وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وان لم تغفر لي ما فرط مني
من السوال وَتَرْحَمْنِي بالتوبة والتفضل علي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ اعمالا قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ
بِسَلَامٍ انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ
ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبُط بالضم وبركة
على التوحيد وهي الخير النامي وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وعلى امم هم الذين معك سموا
امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ اى وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ
في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط و
شعيب والعذاب ما نزل بهم تِلْكَ اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها

فانما هي اقبال وادبار
ثم بدل الفاسد بغيره

يعني صلاح

معناه

نقص

مِن أَنبآءِ الغَيبِ اى بعضها نُوحِيها إِلَيكَ خبرثان والضمير لها اى موحاة اليك او
حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء مَا كُنتَ تَعلَمُهَا
أَنتَ وَلَا قَومُكَ مِن قَبلِ هَذَا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا
اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك
بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه
فكيف برجل منهم فَاصبِر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح إِنَّ
العَاقِبَةَ فى الدنيا وفى الآخرة بالفوز لِلمُتَّقِينَ عن الشرك والمعاصى وَإِلَى عَادٍ
أَخَاهُم هُودًا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قَالَ يَا قَومِ اعبُدُوا
اللّهَ وحده مَا لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرُهُ وقرئ بالجر على المجرور وحده إِن أَنتُم إِلَّا مُفتَرُونَ
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يَا قَومِ لَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجرًا إِن
أَجرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي خاطب كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أَفَلَا تَعقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا
المحق من المبطل والصواب من الخطاء وَيَا قَومِ استَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ
اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرء عن الغير انما يكون
بعد الايمان والرغبة فيما عنده يُرسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُم مِدرَارًا كثير الدر وَيَزِدكُم
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلثين
سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة كثرة الامطار ويضاعف القوة
بالتناسل وَلَا تَتَوَلَّوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مُجرِمِينَ مصرين على اجرامكم قَالُوا
يَا هُودُ مَا جِئتَنَا بِبَيِّنَةٍ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من المعجزات وَمَا نَحنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا بتاركى عبادتهم عَن قَولِكَ
صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى وَمَا نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ اقناط له من
الاجابة والتصديق إِن نَقُولُ إِلَّا اعتَرَاكَ ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من

بالظنون

بالله

ثلث سنين

من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها و
ذلك تهذي و تتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء
مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدو
جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى
على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك و تثبيتا له وامرهم
بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار
حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء والاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع سن اضراره انتقاما منه وهذا
من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه
ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم و
ان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا يقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من
دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد
بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق و
العدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما
ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني
ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف على
الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني
ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون
منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم
او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب

نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من
عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة و
تخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا و
التعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبو رهم
وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم
ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر
كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا
طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى
الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة
تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوا او
كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد
الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا
واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه
خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم
فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى
بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين من
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم واستغفروه ثم توبوا اليه ان
ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور
او

انقطع

او ان توافقنا فی الدین فلما سمعنا هذا القول منك رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما یعبد آباؤنا على حکایة الحال الماضیة واننا لفی شك مما تدعونا الیه
من التوحید والتبری عن الاوثان مریب موقع فی الریبة من اراب او ذی ریبة
على الاسناد المجازی من اراب فی الامر قال یا قوم ارایتم ان کنت على بینة
من ربی بیان وبصیرة وحرف الشك باعتبار المخاطبین وآتانی منه رحمة نبوة
فمن ینصرنی من الله فمن یمنعنی من عذابه ان عصیته فی تبلیغ رسالته والمنع
عن الاشراك به فما تزیدوننی اذ باستتباعکم ایای غیر تخسیر غیر ان تخسرونی بابطال
ما منحنی الله والتعرض لعذابه او فما تزیدوننی بما تقولون لی غیر ان انسبکم الی
الخسران ویا قوم هذه ناقة الله لکم آیة انتصب آیة على الحال وعاملها معنى الاشارة
ولکم حال منها تقدمت علیها لتنکیرها فذروها تأکل فی ارض الله ترع نباتها و
تشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فیأخذکم عذاب قریب عاجل لا یتراخى عن مسکم
لها بالسوء الا یسیرا وهو ثلاثة ایام فعقروها فقال تمتعوا فی دارکم عیشوا فی منازلکم
او فی دارکم الدنیا ثلاثة ایام الاربعا والخمیس والجمعة ثم تهلکون ذلك وعد غیر
مکذوب ای غیر مکذوب فیه فاتسع فیه باجرائه مجرى المفعول به کقوله ویوم شهدناه
سلیما وعامرا او غیر مکذوب على المجاز وکأن الواعد قال له انی بك فان وفی به صدقه
والا کذبه او وعد غیر کذب على انه مصدر کالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجینا
صالحا والذین آمنوا معه برحمة منا ومن خزی یومئذ ای ونجیناهم من
خزی یومئذ وهو هلاکهم بالصیحة او ذلهم وفضیحتهم یوم القیامة وعن نافع
هنا وفی المعارج فی قوله عذاب یومئذ بالفتح على اکتساء المضاف والبناء من المضاف الیه
ان ربك هو القوی العزیز القادر على کل شیء والغالب علیه واخذ الذین ظلموا
الصیحة فاصبحوا فی دیارهم جاثمین قد سبق تفسیر ذلك فی سورة الاعراف کأن لم
یغنوا فیها الا ان ثمودا کفروا ربهم نونه ابو بکر هنا وفی النجم والکسائی فی جمیع
القرآن وابن کثیر ونافع وابن عامر وابو عمرو فی قوله الا بعدا لثمود ذهابا الی الحی

او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل
ثلاثة جبريل وميكائل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط
قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام
اى امركم او جوابى او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا حمزة و
الكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطاء مجيئه به او فما ابطاء فى المجىء به او فما تاخر
عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من
حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل
اليه لا تمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان
يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار
قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة
اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة وراء الستر تسمع
محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل
الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان
العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدى بسلمى ضاحكا فى
لبابة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحا
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل
يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف
على موضع او على لفظ باسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما
عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اى ويعقوب
مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون
اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من
جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان

٥٠١

ان وُلِدَ فسمّيا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالَتْ يَا وَيْلَتَى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر
فظيع وقرئ بالياء على الاصل أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ابنة تسعين او تسع وتسعين وَ
هَذَا بَعْلِي زوجي واصله القايم بالامر شَيْخًا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على
الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر
بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ يعنى الولد من هرمين وهو
استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب
على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة إِنَّهُ حَمِيدٌ
فاعل ما يستوجب به الحمد مَجِيدٌ كثير الخير والاحسان فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ
ما اوجس من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى بدل الروع يُجَادِلُنَا فِي
قَوْمِ لُوطٍ يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما
جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل
جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل
اخذ او اقبل يجادلنا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ مُنِيبٌ راجع الى الله والمقصود غير عجول
على الانتقام من المسيء اليه أَوَّاهٌ كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس
مُنِيبٌ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط ترحمه يَا إِبْرَاهِيمُ على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابرهيم أَعْرِضْ عَنْ هَذَا
الجدال إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ساءه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان فظن انهم

اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه
وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون
اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين
قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع
طار او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه
من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة
والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب
على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو افضل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها
فاتقوا الله بترك الفواحش ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلون
او بايثارهن عليهم
من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل
رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من
حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت
بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في
شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ
او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره
لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا
الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا
فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء

فان فى بيت لوط سحرة فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل
حيث جاء فى القرآن من السرى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ بطائفة منه وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ
ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط إِلَّا امْرَأَتَكَ
استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا
امرأتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء
فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا
يجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة
والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين عن قوله لا يلتفت مثله فى قوله تعالى ما فعلوه الا
قليل ولا ابد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ
ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ كانه علة الامر بالاسراء
أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا او
امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا فانه جواب
لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسنده الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر فانه روى ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نُبَاحَ الكلب وصِياح الدِيكة ثم قلبها عليهم وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا على المدن او شذاذها
حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ من طين متحجر لقوله حجارة مِنْ طِينٍ فعرب واصله سنككل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله
او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل
اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا مَنْضُودٍ
نضد معدا لعذابهم او نضد فى الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على
بعض والصق به مُسَوَّمَةً معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء يتميز به عن
حجارة الارض او باسم من يرمى به عِنْدَ رَبِّكَ فى خزائنه وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ فانهم بظلمهم
حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبرئيل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك

ولا يبعد

متحجر لقوله حجارة من طين

ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة
من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين
اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد
اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل لحكمة التعاوض
انى اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا
ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى وانى اخاف
عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره و
عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله
عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى
دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من
ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص
الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات و
العثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر
صلوات الله عليه وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله
ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم
مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من
القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت
او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم

والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله لايدعوا اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس
من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر و
قرا حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف
المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ عطف على ما اي
وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو
جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او
عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي اشارة الى ما اتاه
الله من العلم والنبوة وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال
وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه فاخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير
المألوف والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به
فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
اي ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اعلاها حق الله وثانيها
حق الله وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما
مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او
اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ وما توفيقي لاصابة الحق والصواب
الا بهدايته ومعونته عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد

ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب
العلم بالمبدأ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
أنيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة
به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة
بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يكسبنكم شِقَاقِي معاداتي
أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُودٍ من الريح أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ
من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب و
عن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح
فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ
زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد
ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل و
الشهيق وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ عما انتم عليه إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ عظيم الرحمة
للتائبين وَدُودٌ فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا
تَقُولُ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم
وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة
نفرتهم عنه وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او
مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع
بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين وَلَوْلَا رَهْطُكَ
قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى
العشرة وقيل الى التسعة لَرَجَمْنَاكَ لقتلناك برمي الحجارة او باصعب وجه وَمَا أَنْتَ

أنت علينا بعزيز فيمنعنا عزتك عن الرجم وهذا دين السفيه المحجوج يقابل الحجج
والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت
العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون
محيط فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح
بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال ماذا
يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك
ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه
لكنهم لما كانوا كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني
معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع و
لما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة
عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية
واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من
تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا بالتوراة والمعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها

بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا و
سلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الآية يعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما
فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا
موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك
فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل
لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما
هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان تقدمهم فى الدنيا
الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى
تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود
اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار
بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن فى
امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا
فى هذه لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود
بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده و
المخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك اى ذلك النبأ من
انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى
باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل
حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم آلهتهم
فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم التى يدعون من دون الله من شىء لما
جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير
وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف

الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى و
هي ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها و
فايدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة
إن أخذه أليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد فى التحذير
إن في ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة
لمن خاف عذاب الآخرة بعبر عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين
فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء وان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل
تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة
الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو
ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى له للجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم
مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به
كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض
من تعظيم اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم إلا لأجل معدود
الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان
يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من
جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف
إلا بإذنه الا باذن الله كقوله ولا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف و
قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه
هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى

الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لأهل الموقف وان لم يذكر
لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس فأما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق ردّه واستعمالهما في اول النهيق
وآخره والمراد منهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم عن استولت الحرارة على
قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها
ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فان النصوص دالة
على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب
يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض
زوال عذابهم ولا من دوام دوامها الامن قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه
وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليها
قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل
وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على
دوام الثواب والعقاب فلا يجري له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف لصحة الاستثناء لان زوال الحكم
عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام
عذابهم فان التأبيد من مبدإ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء
وهؤلاء وان شقوا لعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك
الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون
عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين
في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب
احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز
برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان

لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او من لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى
سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة
التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين ما دامت السموات والارض الا ما شاء
عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب والعقاب في التابيد وقرا
حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية
شك بعد ما انزل عليك من حال الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء
المشركين في انها ضلال مؤدي الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة
عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد
آباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء
في الشرك اي ما يعبدون عبادة كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه
من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب
يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا
لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته
حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن
به قوم وكفر به بعض كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني
كلمة الانظار الى القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم
وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل
المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع

لا ينقطع تنبيه على ان المراد
بالاستثناء في الثواب ليس
الانقطاع ولاجله فرق
بين الثواب
والعقاب

وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى
موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت
ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لمًّا
بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
انه بما يعملون خبير فلا يفوت شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر
المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل
بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما
انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في
غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في
معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم
ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه وخطاب الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة وهي العدل فان
الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه
وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما
لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون
اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا تبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد

وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون متنزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لايقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لايبصرون اصلا واقم
الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل
وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوة من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر
لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير وفي سبب النزول
ان رجلا اتى النبي عليه السلم فقال اني قد اصبت من امراة غير انى لم آتها فنزلت ذلك اشارة
الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على
الطاعات وعن المعاصي فان الله لايضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان
على المقصود ودليله على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لايعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من الراي والعقل او اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده
انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله
الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما
انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين
كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم
فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل
عليه الكلام اذ المعنى فلم ينتهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على
اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان

بشركه

يفتريه المشهورة وبعض تقدم للانجاء وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر
ولا يبقى مع الظلم وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر
على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان
مطلقا إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق
والعمدة فيه وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة
او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وعيده او قوله للملائكة
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اي من عصاتهما أَجْمَعِينَ او منهما اجمعين لا من احدهما
وَكُلًّا وكل نبأ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ نخبرك به مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ بيان
لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة
قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر
بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فوادك من انباء الرسل وَجَاءَكَ
فِي هَذِهِ السورة او الانباء المقتصة عليك الْحَقُّ ما هو حق وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
اشارة الى سائر فوائده العامة وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ على حالكم
إِنَّا عَامِلُونَ على حالنا وَانْتَظِرُوا بنا الدوائر إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ان ينزل بكم نحو ما نزل
على امثالكم وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ
الْأَمْرُ كُلُّهُ فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فانه كافيك وفي تقديم
الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ انت
وهم فيجازي كلا ما يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان
يوم القيمة من السعداء سورة يوسف مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات
الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات
السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله
او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت إِنَّا أَنزَلْنَاهُ اي الكتاب قُرْآنًا عَرَبِيًّا سمي البعض
قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال
وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او الحال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او
حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ علة لانزاله
بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم
فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نَحْنُ نَقُصُّ
عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن
ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب
واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بِمَا أَوْحَيْنَا بايحائنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ يعني السورة
ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه
موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة إِذْ قَالَ يُوسُفُ بدل من احسن
القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو
كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته لِأَبِيهِ يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
وعنه عليه السلم الكريم بن الكريم بن الكريم الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يَا أَبَتِ اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها
هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض عن حرف يناسبها و
فتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة

وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل
منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص
رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر ان
يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن
يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح و
الفرغ ووثاب وذوا الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها رايتهم لى ساجدين استيناف ببيان
حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بنى
تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتى عشرة سنة لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من
رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرفى التانيث كالقربة والقربى و
هو انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون
باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى
بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك
اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما
فعل بآدم وحوا فلا يألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد و
كذلك اى وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك

يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير
الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت
كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة و
على آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله
كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل اي من هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان
لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء كما ينبغي لقد كان في
يوسف واخوته في قصتهم آيات دلائل قدرة الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك للسائلين
لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج
اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ
واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف
واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا
منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف
اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة
اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا
بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك
التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له
اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا
وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران

وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب
الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم
فى محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف
والفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين
مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعد خلو
وجه ابيكم قال قائل منهم يعنى يهودا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب فى قعره سمى بها لغيبوبته عن اعين الناظرين و
قرا نافع فى غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرى غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون فى الارض ان كنتم فاعلين مشورتى
او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف
لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن
رايه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام وبالاشمام وعن نافع بترك
الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا
الى الصحراء يرتع نتسع فى اكل الفواكه ونحوها ويلعب بالاستباق والانتضال وقرا
ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرا الكوفيون
ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرى يرتع من ارتع ماشيته
ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال
انى ليحزننى ان تذهبوا به لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه واخاف ان ياكله الذئب
لان الارض كانت مذابة وقيل راى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان
يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية اليزيدى وابو عمرو وقفا وعاصم
وابو عمرو وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم
عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن
اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء

في الموضعين

مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فيه للحال فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني
ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه و
كان فيها ماء فسقط ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما
قال وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره
كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القي في
النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه
اياه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا لتحدثنهم بما فعلوا بك وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انك يوسف
لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت وذلك اشارة
الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول
اليه امرهم ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي
وهم لا يشعرون ذلك وَجَاؤُا أَبَاهُمْ عِشَاءً آخر النهار وقرئ عُشَيًّا وهو عُشَيّ وعُشًى
تصغيره
بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يَبْكُونَ متباكين روي انه لما سمع ببكائهم
فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ نتسابق
في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وَ
تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا بمصدق لنا
وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وَجَاؤُا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ

كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اى جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرئ وقيل اصله
البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع
النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروى
انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه
ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت فى اعينكم امرا
عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل
وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت
سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث
من القائه فيها فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن
دعر الخزاعى فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه
قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا
اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى
بالاضافة وقرئ يا بشرى بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف
واسروه اى الوارد واصحابه من ساير الرفقة وقيل اخفوه امره وقالوا لهم دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهوذا كان ياتيه كل
يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة فقالوا هذا غلامنا
ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه
متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما
يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه باعوه وفى
مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل

بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان
عشرين درهما وقيل اثنى عشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين والضمير في كانوا
ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه
من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك
يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات من قبل في حيوته بالبينات
وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة
واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين

وهو ابن ثلثين سنة واوتي العلم والحكمة

واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوج نعل
وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه
اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه
من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وبنت شعيب التي قالت يا ابت
استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته
في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها و
لنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه
اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معنى
كتاب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها

وتستقل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لبنيه وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ لا يرده شيء ولا ينازعه
فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ان الامر كله او لطايف صنعه وخفايا لطفه وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين
وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتَيْنَاهُ حُكْمًا حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او
حكما بين الناس وَعِلْمًا يعني علم تاويل الاحاديث وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تنبيه
على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وَرَاوَدَتْهُ
الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء و
ذهب لطلب شيء ومنها الرائد وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير
او للمبالغة في الايثاق وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على
الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير
بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هِيتُ
كجير وهِئْتُ كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وقرئ هُيِّئْتُ وعلى هذا فاللام من صلته
قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اعوذ بالله معاذا إِنَّهُ ان الشان رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ سيدي قطفير
احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله
اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله وَلَقَدْ
هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه
ومنه الهُمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد
الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لَوْلَا
أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ في قبح الزنا وسوء مَغَبَّتِهِ لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة
ولا يجوز ان يجعل وهم جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم جوابها عليها بل

بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل
قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي
مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو و
ابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب
اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها
ليخرج واسرعت وراه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه و
القد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها لدى الباب وصادفا زوجها لدى
الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما
بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغيره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية
او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد
شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما
القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع
خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول
او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع
بين ان وكان على تاويل ان تعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي
فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ودبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح
كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر

قين

قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لساير النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء
الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى النفس او لانهن يواجهن به الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفرى لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هى اسم لجمع امراة و
تانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها فى المدينة ظرف
قال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز
والسجان وصاحب الدواب امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة
غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتا فتى لقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا
ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه با
بالقطران فاحرقه انا لنراها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن انما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او
قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن
تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه
من الوسايد واتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن
فاذا خرج اليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة فى ايديهن
الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا
ولذلك نهى عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكا
طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع
الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكاء من

من تكئ يتكئ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه
الفائق وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرنه بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير المصدر او ليوسف على حذف اللام اى حضن له من
شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور
العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله
تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو
عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء
فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى
براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى
هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ
بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين
الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق
جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فهو ذلك العبد
الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما
عاينتن لعذرتننى او فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به فحذف
الجار او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا والصغر من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كلنسفعا على حكم الوقف وذلك فى
الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الى مما

يدعونني إليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه
النفس وذاك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها و
زين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى
به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر
والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت
على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي و
الصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من
الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان
الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب
له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته
بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه
هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا
الآيات ثم ظهر للعزيز من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي
وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر تفسيره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او
يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب
به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان
اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه و
خبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام
وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني
اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نراك
من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما
رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا ان

بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اى بتاويل ما
قصصتما على او بتاويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما
الى التوحيد ويرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء و
النازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب
ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اى ذلك التاويل مما علمنى ربى بالالهام
والوحى وليس من قبيل التكهن والتنجيم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائى ابرهيم
واسحق ويعقوب او كلام مبتدا لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما فى
الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير
للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالاخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله
من شىء اى شىء كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى ساير
الناس ببعثتنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل
فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلايل وانزال الآيات ولكن
اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبى السجن
اى ساكنيه او صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب
متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار
الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما
من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا
اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم
تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من
حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه

الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من
التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة
ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا يستحق الآلهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي
العقل غيره ولا يرتضيه العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيتخبطون فى جهالاتهم يا صاحبي
السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما
الآخر يريد به الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اى قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان
استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف
ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان
يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسي يوسف ذكر
الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى
الجملة لكنها لا يليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع
من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت
المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات
قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص
من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني
بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء
لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملا افتوني فى رؤياي اعبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون

ان

ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا، وهو الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي
مثالها في العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن
يعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث
احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او
لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد
جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه من
النجاة وأمه اي نسيان يقال امِهَ يأمَهُ امهًا اذا نسي والجملة اعتراض ومفعول القول انا
انبئكم بتأويله فارسلون الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل
الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله
وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود
الى الملك ومن عنده او اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون بتأويلها او
فضلك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا يعلمهم
قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين
او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما
مصدر دأب في العمل قيل يزرعون امر اخرج في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون
في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما
ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون

تحرزون لبزور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث
او يغاثون من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا
انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت
السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان
اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف اليابسات بسنين مجدبة
وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم
وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع
الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال
النسوة وفحص حالهن ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به
الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقى مواقعها وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال
النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته
مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي بكيدهن عليم حين
قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب
امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له و
تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا
ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ
على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي
ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول فاخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني
لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو و

او هو غايب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله
لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته و
لذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية
نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس
انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبرئيل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء
من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات
الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك و
قيل الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية قول راعيل
والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام
ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر المستغفر لذنبه و
المعترف على نفسه ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من
السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من
خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان
قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال
احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه
على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل
فوجدها عذراء وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض
ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلم لما راى انه
يستعمله في امره لا محالة اثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية و
اظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة

الا باستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض في ارض
مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرء ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا واجلا
ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء
اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط
الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها
اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع و
العقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد
اليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب ساير البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين
اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد و
مفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي راوه عليها من حاله
حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم
بعدتهم واوقر ركايبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما
يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ
لكم من ابيكم روي انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله
نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني
عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا
عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل
كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زايدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان
ياتوا به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه

عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ذلك لا نتوانى فيه وقال لِفِتْيَتِهِ لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ
فِي رِحَالِهِمْ فانه وكّل بكل رحل واحدا يعبّي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا
وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفونها
إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ وفتحوا اوعيتهم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ لعل معرفتهم ذلك يدعوهم
الى الرجوع فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب
ببنيامين فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة و
الكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
عن ان يناله مكروه قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ وقد قلتم في
يوسف وانا له لحافظون فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا
بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ وقرئ رِدّت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ما نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد
علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من
احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا
على صدقنا هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا استيناف معطوف على محذوف اي ردت الينا
فنستظهر بها وَنَمِيرُ أَهْلَنَا بالرجوع الى الملك وَنَحْفَظُ أَخَانَا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا
وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية
احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع
الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل
لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير

عنهم

وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمل الحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين صح

معطوف على نبغي ونمير اهلنا صح

فانية

لا يخاطر بمثله بالولد قال لن أرسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله
حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتننى به جواب القسم اذ المعنى
حتى تحلفوا بالله لتأتننى به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا
جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او
من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله
على ما نقول وكيل من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين
فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم
بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليه خوفه على بنيامين و
للنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه السلام فى دعوته اللهم انى اعوذ بكلمات الله
التامة من كل هامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله من شىء مما قضى عليكم بما اشرت
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا
ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على
الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء
سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد
ما كان يغنى عنهم راى يعقوب واتباعهم له من الله من شىء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب
فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا
حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحزازة
من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج
ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شىء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على
الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان

لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا
وهذا الثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس
فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل كانت تسقى
الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب
فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون
لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبه السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم
لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل
كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح
والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له
وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام
العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم
الدواب لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او
الصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على
انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله

قون

فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم
ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع
لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر
لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد الا ان يشاء
الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق
كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى غير عالم بذاته اذ لو كان ذا
علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم
ولان العليم هو الله ومعناه الذي له العلم البالغ لغة فكانه لا فرق بينه وبين قولنا
كل العلماء عليم وهو عليم مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل
يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه
فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص
عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره و
القاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل فاسرها يوسف في
نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه
وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها و
المعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما
كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله
اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا
شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله
فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا

متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتويكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم
وقيل ان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحة رضاه عليه فلو
اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر
او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية قال كبيرهم فى السن وهو روبيل
او فى الراى وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا
وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتوكيد من جهته ومن قبل ومن
قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى
موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف
او على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل
اذا كان خبرا او صلة لا تقطع عن الاضافة حتى لا تنقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه
بمعنى قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر
حتى ياذن لى ابى فى الرجوع او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم
او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك و
الله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت عن ثيابه
فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب
غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير
الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على
ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين فلا ندرى انه سرق او
سُرّق ودس الصاع فى رحله او ما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق
انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التى كنا فيها يعنون
مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة و

والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد
في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل
سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك
ان السارق يوخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان
ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم
بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم و
قال يا اسفى على يوسف اي يا اسفى تعالى فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف
بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزءها لان رزءه قاعدة
المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه
من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه
دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه
قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابرهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو
الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملائه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه و
اصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم
اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت
بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبالضم كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال
انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد

الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب
داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل
راى ملك الموت في المنام فسال عنه فقال هو حي وقيل علم من رويا يوسف انه لا يموت
حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما و
تفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تياسوا من روح الله لا تقنطوا من
فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا يياس من
روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فانه لا يقنط المسلم من رحمته في شيء من الاحوال
فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا
الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من
ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها و
اختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي
المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف
واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما
راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين
وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم
كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف
استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقراه ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة

بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي
وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة
والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع
بين التقوى والصبر وقالوا تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة
وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال
لا تثريب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فا
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر
للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بساير الايام او
بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغاير والكباير ويتفضل عن التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة
ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان
في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي يصير بصيرا واتوني انتم
وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند
وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا تالله اي الحاضرون
انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف والاكثار
ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ

لا تانيب عليكم

الملطخ اليه فأُفرحه بحمل هذا اليه أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ طرح البشير القميص على وجه يعقوب او
يعقوب نفسه فَارْتَدَّ بَصِيرًا عاد بصيرا لما انعش فيه من القوة قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي
أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ من حياة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتداء
والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت
الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة
ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعوا وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين حتى نزل جبرئيل وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا
حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة ونصفا وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله
واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحاق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى
اما وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ من القحط واصناف المكاره والمشية +
متعلقة بالدخول المكيف بالامن او الدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري
مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته و
الرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ رأيتها ايام الصبا قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا صدقا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي
مِنَ السِّجْنِ ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ من البادية
لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ

إِخْوَتِي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ
لِمَا يَشَاءُ لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته وتتسهل دونها إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
بوجوه المصالح والتدابير الْحَكِيمُ الذي يفعل كل شيء في وقته على وجه يقتضي الحكمة روي ان
يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله
قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل امرني الله بذلك لقولك واخاف ان ياكله
الذئب قال فهلا خفتني رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ بعض الملك وهو ملك مصر وَعَلَّمْتَنِي مِنْ
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يوت كل التأويل فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادي براسه أَنْتَ وَلِيِّي ناصري او
متولي امري فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ او الذي يتولاني بالنعمة فيهما تَوَفَّنِي مُسْلِمًا اقبضني وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عليه السلام اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم
عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه
الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق
من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى
الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو
جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذَلِكَ اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب
فيه للرسول وهو مبتدأ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ خبران له وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي
لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون
به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته
منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بِمُؤْمِنِينَ

بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء والقرآن من اجر جعل
كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية
والمعنى وكأي عدد من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في
السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها
وبالنصب على ويطؤن وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم
الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب
ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا
ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة
فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني
الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال
من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال
منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين و
انزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة
وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما نوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص
نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم
واحلم من البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من
المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشعوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك و
المعاصي افلا تعقلون فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية
محذوف دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن

النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع
وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد
الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد
لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسل ظنوا انهم
اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة
هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين
بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف
وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهل
ان نشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان
المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند
من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة
ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية
وانها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل
معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك هو القرآن
كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او

يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن

اوالرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبران دل
على اختصاص المنزل بكونه حقا فهواعم من المنزل صريحا اوضمنا كالمثبت بالقياس وغيره
مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه
الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر
بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب اوعمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها
صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برويتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود
الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لابد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على
بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ماذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ
والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة
تنفع في حدوث الكاينات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم بها ادواره
اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر
امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها
ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام
ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسى الشيء اذا ثبت جمع
راسية والتاء للتانيث على انه صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات
متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات
صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار
يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ماكان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي
بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه

دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها
يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون
لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض
من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات
من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع
لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع
عطف على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول
وقرا حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع
الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار
وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل
بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه
فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي
دالة على وجود المبدا فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته
وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او
مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم
لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى
خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون
عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء
وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم

ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة العقوبة لانها مثل
المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه و
قرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع
ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل
التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر
او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن يشاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل
وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم
هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم
الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل
من الآيات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها
على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزله لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد
وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما
تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما
تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى
مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة وروي ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقال الشافعي رضي الله عنه اخبرني شيخ باليمن ان امراة ولدت بطونا
في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا
ازداد واتسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام

على المجاز فانهما لله او لما فيهما وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا
مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغايب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير
العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر
عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به ومن
هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل واحد من
سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى اثنين كقوله
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له معقبات لمن اسر او جهر او استخفى او
سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء
على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها فادغمت
التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع
معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه
من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب با
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من امر الله و
قد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما
بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال
القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه
الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل
على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث
وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة و
الاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او

بارزه

اجل

او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب
الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله
والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله و
نزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله
وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون
في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية
واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف
الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه
له الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا
بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت
وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه
تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة
وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من
حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد
او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل
دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت
الآية في عامر واربد ان هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله
او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله

بارز

اجل

بحلول محاله وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم و
الذين يدعون اى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون
الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشئ
من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه
يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته و
الاتيان بغيرها جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن
اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة
والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالتى الشدة
والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراد فيهم شاؤا
او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقلص وانتصاب طوعا بالحال
او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال
وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة
والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ
والايصال وهو الدخول فى الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولى
امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذى لا يمكن المراء
فيه او لقنهم الجواب به قل أفاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد
عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على
ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوى الاعمى والبصير
المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوى الظلمات والنور الشرك والتوحيد

وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ بل اجعلوا والهمزة للانكار و
قوله خَلَقُوا كَخَلْقِهِ صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هولاء خلقوا
كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون
على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا خالق غيره فيشاركه
في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على
قوله وَهُوَ الْوَاحِدُ المتوحد بالالوهية الْقَهَّارُ الغالب على كل شيء أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ انهار
جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها
لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بِقَدَرِهَا بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار
او بمقدارها في الصغر والكبر فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا
عاليا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس
على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ طلب حلي أَوْ مَتَاعٍ كالاواني وآلات
الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زَبَدٌ مِثْلُهُ اي ومما توقدون عليه زبد
مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء والتبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان
الضمير للناس واضماره للعلم به كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ مثل الحق والباطل فانه
مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي نزل من السماء فسيل به الاودية على قدر الحاجة
والمصلحة فينتفع انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك
بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي
واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً يجفاء اي يرمي به السيل او الفلز
المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ كالماء و
خلاصة الفلز فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ينتفع به اهلها كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لايضاح

المشبهان للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى
والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل
لشان الفريقين ضرب المثل بهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة
والذين لم يستجيبوا مبتداء خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به وهو على الاول كلام مبتداء لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب
وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ ومأويهم مرجعهم
جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار
ان يقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول
المبرأة عن متابعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على
انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين و
الايمان بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده
عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين
صبروا على ما يكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجودا
وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذى وجب
عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون مآل اهلها وهى الجنة والجملة
خبر الموصولات ان ارتفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستيناف
بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتداء خبره يدخلونها
والعدن الاقامة اى جنات يقيمون فيها وهو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم

وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر
او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم و
تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفعهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان
الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون و
الاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله
يعنى مقابل الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة
عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اى اهل
مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الآخرة فى جنب الآخرة
الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا
من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر
قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل
ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من
اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه
قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى
اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب الى بما جئت به بل بادنى منه من الآيات
الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به
واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة

على وجوده ووحدانية او بكلام يعنى القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله
تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم
وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى و
يجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى
ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم
فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب
الذي اوحيناه وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت
بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال
القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيا وية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين
قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى امرى
لا اله الا هو لا يستحق العبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب
مرجعى ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم
شان القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان كتابا زعزعت به الجبال
من مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن
فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع
لنا فنتخذها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث
لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت على هذا فتقطيع الارض قطعها
بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل
شئ وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه
من الآيات لكن الارادة لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله

قوله أفلم ييئس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ماراوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى
ان معناه افلم تعلم لماروى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
رضى الله عنهم قراوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب
عن العلم فان المأيوس عنه لايكون معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو
على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر
وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون
منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا
برسول الله فانه عليه السلام كان لايزال يبعث السرايا فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم
وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه السلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام
الحديبية حتى يأتي وعد الله اى الموت او القيامة او فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد
لامتناع الكذب فى كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان تترك
ملاوة من الزمان فى دعة وامن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم أفمن
هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لايخفى عليه شىء من
اعمالهم ولا يفوت عنه شىء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك و
جعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه
وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله

اَو عطف على الخبر المقدر للمبتدا اى افمن هو هذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء

قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم
ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم فى الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم
يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شىء ام بظاهر من القول ام تسمونها

شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج
بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم
فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه
للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير ما يصيبهم من المصائب
ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه او من رحمته
من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو
مبتداء خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل تجري من
تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العايد
المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها كذلك لا ينسخ في الدنيا بالشمس
تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية
باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم
ومن الاحزاب يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن
الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو يخالفهم
او ما يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين
اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا
سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه

اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه
بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع مما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى
لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع
عليها انزلناه حكما تحكم في القضايا والوقائع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما
بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم
التي يدعونك اليها لتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك
من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك
وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما
كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه
الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد
على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه
حكمته وقيل يمحو السيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة
ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحش في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا و
يثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة و
الكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من
كائن الا وهو مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم
يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله
يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب

فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلا في الدنيا وقد مكر الذين من
قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر
على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار
لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما ياتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير
لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
كما عرفت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين
كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل
المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من
النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا و
يؤيده قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد
على الموصول ويجوز ان يكون مبتداء والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده
علم على الحرف والبناء للمفعول وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد
اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث
يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى
النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور
بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده
او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله الله الذي له
ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتداء وخبر او الله خبر محذوف و

والذي صفة وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على
الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه
لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها
فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله
بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويُصدون من اصد وهو منقول من صد صدودا
اذا تنكب وليس فصيحا لان في صد مندوحة من تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون
لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته
يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتداء خبره اولئك في ضلال
بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق ان ينذرهم
ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث من امم مختلفة
ليبين على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة
فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح
وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولُسُن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعُمُد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه السلام وانه تعالى
انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل لتبين للعرب فيضل الله من
يشاء فيخذله عن الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على
مشيئته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا
وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال

معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها
ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب
حروبها وقيل بنعمائه وبلائه إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر
لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب
عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر و
الشكر عنوان المؤمن وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من
آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة
غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله
بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم احوال
من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة و
الاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او
استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجا والمراد بالبلاء النعمة و
إذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما
في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء
وغيره بالايمان والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فلعلي
اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد
والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال
موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا من الثقلين فإن الله لغني عن شكركم
حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وينطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم
نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله
عز وجل والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من

من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله
ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ
فِي أَفْوَاهِهِمْ فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل لقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا
لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها
على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل
ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم
وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها
الى حيث جاءت منه وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا
إِلَيْهِ من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مُرِيبٍ موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق
النفس وان لا تطمئن الى الشيء قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ادخلت همزة الانكار
على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك
لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار ذلك بقوله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وهو صفة
او بدل وشك مرتفع بالظرف يَدْعُوكُمْ الى الايمان ببعثه ايانا لِيَغْفِرَ لَكُمْ اي يدعوكم الى
المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض
ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة
دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث
جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة
بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا لا فضل لكم علينا
فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا بهذه الدعوى فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ يدل
على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به

من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا اشاركتهم في الجنس
وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة
عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته تعالى وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى
نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب
التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله اي
اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها
بيده وقرا ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب
قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فل
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن
عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
حلفوا ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة
لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا
الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول
او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم
كقوله واورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به
وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي
يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف
وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح
على اعدائهم او القضا بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا

مؤمنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان
كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن وخاب كل جبار
عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح و
معنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم
اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل
من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من
ورائه جهنم تلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسـ
يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز
الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من
الشدائد فيحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره
وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ
اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى
سنيهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان
يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره
محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله كرماد وهى على الاول جملة
مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته و
اسرعت فى الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصوف اشتداد الريح وصف به
زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم و
اغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس
من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شىء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة

التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه
الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل واحد
من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي
يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي خالق السموات ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالق السموات
والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم
بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه
يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته
او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه
فقال الضعفؤا جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم
الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم و
استغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع
كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال
والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز
ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان
يكون مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا
اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله
للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا
او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن

لكن سردد و ناطرق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع و
الصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء
علينا كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا
ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان
لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في
الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا
حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم
الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه فاستجبتم
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة
لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس
فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب
الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه
من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة اجراء مجرى الهاء و
الكاف في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتموني
من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي
من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة
يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قوله سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة

الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالطريق
ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من
يزيد ياء على ياء الاضافة ع

بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة
الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول
من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه
او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم
حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره
والمدخلون هم الملائكة. وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا
بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا و
كشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اى هى كشجرة وان يكون اولى مفعولى ضرب اجراء
لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء
بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على
على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين
وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها
من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف فى
الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك
فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظلة و

والكشوف ولعل المراد بها ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا فى
دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الآخرة
فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة و
انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه الى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام
ونبيى محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد
فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من
تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
اى شكر نعمة كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم
فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا
سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين
بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما
المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين تبعوهم
فى الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال
منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وبئس القرار اى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى
هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال
ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا
بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين

كانيان لامحالة ولذلك علله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور
من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم
المقيمون لحدود العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اى قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لاينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب
له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم
يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة
ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية اوعلى الحال اى ذوي سر
وعلانية اوعلى الظرف اى وقتى سر وعلانية والاوجب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به
من قبل ان ياتي يوم لابيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه ولا
خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا
مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما
على النفى العام الله الذي خلق السموات والارض مبتداء وخبر وانزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يعيشون به وهو يشمل المطعوم و
الملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز
ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين يدابان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من
المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتيكم من
كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سالتموه يعنى من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود

من كل صنف بعض ما في قدرته او لعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسال
لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة و
مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كلٍّ بالتنوين اي وآتاكم من كل شيء
ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موقع الحال اي
وآتاكم من كل شيء غير سائليه وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا
تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد
يفيد الاستغراق بالاضافة إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة باغفال شكرها او
يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كَفَّارٌ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع
كفار في النعمة يجمع ويمنع وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ بلد مكة آمِنًا
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول
ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
بعدني واياهم أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على
لغة نجد واما الحجاز فيقولون جنبني وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق
الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عُيَيْنَة
ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها و
يسمونها الدُّوَار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رَبِّ إِنَّهُنَّ
أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن
واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فَمَنْ تَبِعَنِي
على ديني فَإِنَّهُ مِنِّي اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب
فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ
ذُرِّيَّتِي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن وُلد منه
فان اسكانه متضمن لاسكانهم بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ يعني وادي مكة فانها حجرية لا تُنبِت

عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه
الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اى اعتق منه ولو دعا
بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤول اليه روى ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلم فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم راوا الطيور
فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك
فى الباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير
النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة و
سال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس
ومن للتبعيض ولذلك لو قال افئدة الناس لازدحموا حوله وقرى آفدة وهو يحتمل ان
يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادور وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة اذا
عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها
بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرى تهوى
على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى تهوى اذا احب وتعديته
بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم
يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شئ حتى
توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى
وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا
بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك و
التوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع واللجا الى الله وما يخفى على الله من شئ فى

فى الارض ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبر آيس عن الولد قيد الهبة
بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحاق روى انه ولد
له لتسع وتسعين سنة واسحاق لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه
من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف
الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه
وسال منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم
واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف
على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه
يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعائى واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ربنا
اغفر لى ولوالدى وقرئ ولابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما
آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم
قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته
على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه معاقبهم على
قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلة جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار
اى تشخص ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى
او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعى
رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع
اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه
هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب

يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب
دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره قوله لولا اخرتنى الى اجل قريب
فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم بالله من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى
اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا نظرا وغرورا او دل عليهم
حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم
اذا ماتوا لا يزولون عن تلك الحالة الى الحالة الاخرى لقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود و
اصل سكن تعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت
الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل بهم و
ما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى
الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند
الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم و
ابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال
ومعدا وقيل ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل
لامر النبى ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية
ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه وقرا الكسائى لتزول على انها المخففة واللام هى الفاصلة
ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد
مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن
انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا

بالفتح والرفع

لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعد احد كيف يخلف رسله إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذُو انْتِقَامٍ لاوليائه من اعدائه يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ
الْأَرْضِ بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده و
لا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وَالسَّمَاوَاتُ عطف على الارض
وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير
وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت
شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد
مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله
الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وَبَرَزُوا من اجداثهم لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ لمحاسبته
ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ قرن بعضهم مع بعض بحسب
مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين
او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم
الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
فِي الْأَصْفَادِ متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة
بن جندل وزيد الخيل قرنا في صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سَرَابِيلُهُمْ
قمصانهم مِنْ قَطِرَانٍ وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به

الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل
النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليه لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع
النار فى جلودهم مع ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان
يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الوحشة فتجلب اليها
انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرٍ آنٍ والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى
المتناهى حره والجملة حال ثانية من الضمير فى مقرنين وتغشى وجوههم النار اى وتتغشاها
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما
تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة وقوله تع يوم يسحبون فى النار على وجوههم ليجزى الله كل نفس
اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان
المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام
ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن
او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس
كفاية لهم فى الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح
الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من
الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما
يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد هى الغاية و
الحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى للمنتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية التى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من
عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب و

وقرآنٍ مبينٍ الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم
اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبيّن الرشد من الغيّ بيانا غريبا رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم
القيمة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات
ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفّه عن الجرّ فيجوز
دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضي
فى تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحلّ العقال
ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض
الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن
ذَرْهُمْ دعهم يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا بدنياهم وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار
واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه
والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد
اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يودي اليه طول
وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ اجل مقدر كتب فى اللوح والمستثنى
جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت
صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا
وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ اى ما يستأخرون عنه وتذكير ضميره للحمل على المعنى وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو
قوله إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله نزل عليك الذكر اى القرآن لَوْ مَا تَأْتِينَا ركب لو
مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه

ان كنت من الصادقين في دعواك

مؤيدا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ما تنزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده بوجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلم ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا اتبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا منهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير توافقها في المرجع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او

او يصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد او تشكيكهم فى الحق انما سكرت
ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة من قرا سكرت بل نحن
قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفى كلمتى الحصر و
الاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل ما خيل اليهم بنوع من السحر
ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيآت والخواص على ما دل عليه الرصد و
التجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيآت البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان
يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امورها ويطلع على احوالها الا من استرق
السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من
قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب و
حركاتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه
تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق
السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة
وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها و
القينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها فى الارض او فيها وفى الجبال من كل
شيء موزون مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمة او مستحسن متناسب من قولهم كلام
موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش
تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له
برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد العيال والخدم والمماليك وساير
ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل متعينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع
النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته

ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة

وتناهى حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه
ويعبدوه ثم بالغ في ذلك وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه على اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه
مقدوراته بالاشياء المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله الا من بقاع
القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض
الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح
حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك
بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح
الطوايح وقرئ ارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه
فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته
لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل
حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء
تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض
الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير
للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او
تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان
ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا
عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض
القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء و
توسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد و
التنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح

٥٩٠

كما صرح به بقوله إنه حكيم تام الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل
اذا انتن تضعيف صل من حماء كاين من حماء مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب
ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحماء فصور
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه
ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل عنهما يكون
منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من
الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم
من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في
الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب
فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هي للدلالة
على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح
فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح
في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه
القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا
واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة
كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة
وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني
حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي
لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس

اي طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي ح ح ح

فاسقطوا له

مالك ألا تكون ما غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد لبشر
جسماني كثيف واللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد وانا ملك روحاني
لطيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي
اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج
منها من السماء او من الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان
من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته و
ان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن لانه يناسب
ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى
آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه
بما ينسى اللعن معه فيصير كالزايل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل
عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن
الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى
عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف والياس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلايق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن
بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب
بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك
اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد
القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى
الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا
عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه على اغواء بني آدم بان الله علم منه ومن

وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا
لمن خالفه فى استحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم
اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى
كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او
الاخلاص على معنى انه طريق علي يودي الى الوصول الي من غير اعوجاج واضلال وقرئ
علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
تصديق لابليس فيما استثناه وتغير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص
من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول
من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناء وان جهنم لموعدهم
لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا
على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون
فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الهاوية ثم الجحيم ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم
افرز له فاعلاها للموحدين من العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ
جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجرى الوصل مجرى الوقف
ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه
ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فى جنات وعيون لكل واحد

جنة وعين او لكل عدة منهما لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان
وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية ادخلوها على ارادة القول و
قرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين
من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم
من غل حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها
او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين
ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين
حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او من الضمير في
متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي
ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او
سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم
امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا
توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله فبشرناها
باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر
اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشرونني او
فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر
النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق ما

بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره فلا تكن من
القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير الابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله
وكمال قدرته وعلمه كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم
الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا
والبشارة لا يحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان
كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط
المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي
آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته
استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا
ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين من الكفرة لتهلك معهم وقرا
ابو بكر قدرنا بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم و
يجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على
مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما
جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقو
ني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك
بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل

وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل فى
طائفة من الليل وقيل فى آخره قال افتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف
احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى
حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك
الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم الامر و
تعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على
المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسئ
الى ضيفه فقد اسئ اليه واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلونى بسببهم
من الخزى وهو الهوان ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهى الحياء قالوا اولم ننهك عن
العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى يعنى نساء
القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى هود ان كنتم فاعلين قضاء
الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبى عليه السلم وقيل لوط قالت الملائكة
له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور
على السنتهم انهم لفى سكرتهم لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم
بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل
صيحة جبرئيل مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالى المدينة او عالى

اوعالي قريتهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر
اوطين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك
لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان
في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب
كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة المتكاثفة فانتقمنا منهم
بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر
احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق و
مطمر البناء واللوح لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا
صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن
معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم
من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب
الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار
الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء و
ازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح
الصفح الجميل فلا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية
السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبين امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان
الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص
بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها

الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس
او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهى الاسباع مِنَ ٱلْمَثَانِى بيان للسبع والمثانى من التثنية
او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءة او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة
والاعجاز ومُثنٍ على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى
القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ان اريد بالسبع الآيات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف
احد الوصفين على الآخر لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ لا تطمح ببصرك طموح راغب طامع إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا
بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات
مفض الى دوام اللذات وفى حديث ابى بكر رضى الله عنه من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من
الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه السلم وافى باذرعات سبع
قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات
هى خير من هذه القوافل السبع وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُؤْمِنِينَ وتواضع لهم وارفق بهم وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ انذركم ببيان وبرهان ان عذاب
الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ مثل العذاب الذى انزلنا عليهم فهو وصف
لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا
الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا ان تقاسموا على
ان يبيتوا صالحا عليه السلم وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله لقد آتيناك فانه بمعنى
انزلنا اليك والمقتسمون ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين
او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون
ذلك تسلية لرسول الله وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدّا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء
جمع عضة واصله عضوة فعلة من عضّى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا

اذا بهتة وفى الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتداء خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام فى كل ما فعلوا من الكفر والمعاصى فاصدع
بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع واعرض
عن المشركين ولا يلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من
اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث و
الاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عليهما السلام
امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه
فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى
صار كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى اسود بن عبد يغوث وهو
قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى اسود بن
المطلب فعمى الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم فى الدارين ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك فسبح
بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون
حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزنه
امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق
والمعنى فاعبد ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات ~~ينقلونكم~~ فى آخرها آيات وهى مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • اتى امر الله فلا تستعجلوه
كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر
استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان

سلامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه
ولا خلاص لكم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع
ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين
الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روى انه نزلت اتى امر الله وثب النبي ورفع
الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ بالوحي او القران فانه يحيى به القلوب
الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به
علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير و
ابو عمرو ويُنْزِل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزّل بمعنى تتنزّل وقرا ابو بكر نُزِّل على المضارع
المبني للمفعول من التنزيل مِنْ أَمْرِهِ بامره او من اجله عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ان يتخذه رسولا
أَنْ أَنْذِرُوا ان اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ان الشان لا اله الا انا
فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو
المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح
او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على ان نزول الوحي بوساطة الملائكة وان
حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات
القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى
هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها
وخصصها بحكمة تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها ومما لا يقدر على
خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ جماد لا حس لها و
لا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ منطيق مجادل مُبِينٌ للحجة او خصيم
مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روى ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم
وقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت وَالْأَنْعَامَ الابل والبقر والغنم وانتصابها
بمضمر يفسره خَلَقَهَا لَكُمْ او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل

له فيها دفء ما يدفأ به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة
على رؤوس الآى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما الاكل من ساير الحيوانات
المأكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين
ويجل اهلها فى اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة
الضروع ثم تأوى الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اى لم تكن فضلا ان تحملوها على ظهوركم
اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه و
اصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم
حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة
بفعل الخالق والركوب ليس بفعله وان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض
وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين
اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه
غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية
حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا
او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق
فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق
او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك
اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض

وقرئ ومنكم جاير اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب
السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به و
تقديمها توهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله
فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض
شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به
الزرع وقراء ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يوكل منه لانه
سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها
ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض
وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروق
ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطباع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس
الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع
اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره
او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان
ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد
لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرا
حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر والشمس
والقمر ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة
الظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض

تما

عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفاً ألوانه اصنافها فانها تتخالف
باللون غالبا إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر
ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب
والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم
يسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به
مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان
لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم واسند
اليهم لانهن من جملتهم ولانهن تتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه
تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة
رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
وألقى في الأرض رواسي جبالا رواسي أن تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض
قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وأنهارا وجعل فيها انهارا لان
ألقى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل
بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونجوم وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار
والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرئ وبالنجم بضمتين وضم وسكون على الجمع وقيل الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص
كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم

أفمن يخلق كمن لا يخلق إنكار بعد إقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل
على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على أنهم بالإشراك به
جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه
أولوا العلم منهم أو الأصنام وأجراها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله
أن يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة فكأنه قيل من يخلق ليس كمن لا يخلق أولي العلم
فكيف بما لا علم عنده أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده
بأدنى تذكر والتفات وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا أن تطيقوا
القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على أن
وراء ما عدد نعما لا تنحصر وأن حق عبادته غير مقدور إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم
في أداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم و
الذين تدعون من دون الله أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء
وقرأ حفص ثلاثتها بالتاء لا يخلقون شيئا فإنه لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق
بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية
فقال وهم يخلقون لأنها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن يكون واجب
الوجود أموات هم أموات لا تعتريهم الحيوة أو أموات حالا أو مآلا غير أحياء بالذات ليتناول
كل معبود والإله ينبغي أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون أيان يبعثون
ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله ينبغي
أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف
إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و
هم مستكبرون بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن المؤمن
بها يكون طالبا للدلايل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم

وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر و
الاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك
رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو
في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن
توحيده واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما يدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما
سموه منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون
له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا
اوزار اضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم
وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون
من لا يعلم انه ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بيس شيا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي
سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة
العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل و
قيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله
ربنا انك من يدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركايي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية
لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المومنين في شانهم و
قرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المومنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي
الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم وينكرون عليهم او الملايكة ان
الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة
الاهانة وحكاية لان يكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم الملايكة وقرا حمزة بالياء وقرى

بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب
المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل قائلين ما كنا
نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اي فيجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا
السلم الى آخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب
يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد
عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعدّ له وقيل ابواب
ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب و
اطبقوا على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين
قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير
اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا للخير على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم
ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه
على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر و
المعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض
ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي
وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل

المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم
ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المودية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا
حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء
يجب وما لم يشاء يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر و
نحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا
اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق
وهو لا يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يودي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما
يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة اضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه قد ينتفع
المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله
وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم
وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله
وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر
قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت
عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم
بدفع العذاب عنهم واقسموا جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد

من جهته

ردّ الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدًا مصدر موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث
موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده اولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة
اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين
فقال ليبيّن لهم اى يبعثهم ليبيّن لهم الذى يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث
الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشىء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تع بمحض قدرته
ومشيئته لا توقف على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا
سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى فيكون عطفا
على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه المهاجرون
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباءة حسنة وهى المدينة او
تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم فى الدنيا وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من
المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الاخرة
افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين
لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين
الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم رد لقول
قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحى اليهم على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفى الاية دليل على انه

جرون

انه لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا ممثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه السلم راى جبريل على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قايل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القايم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والبين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ كما خسف بقارون أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ اى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء فى انفسهم واموالهم حتى هلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقة تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها من شيء يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ

اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو
يتفيأ بالياء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد منها استعارة
من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير
فى ظلاله وجمعه فى قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير فى ظلاله والمراد من السجود
الاستسلام سواء كان بالطبع او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طأطأ راسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال
بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها
ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل
او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمايل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى
لان الكواكب يظهر منه اخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربى المقابل له فان
الظلال فى اول النهار يبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال يبتدئ
من المغرب على الربع الشرقى من الارض ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض اى ينقاد
انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض
او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات
على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما
فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء
كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم
لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او
يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة
والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا وقال الله لا تتخذوا

لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او
ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل
من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي
فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا
لازما لما يتقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين
ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دايما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون
ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من
الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة
بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهم
كفاركم بربهم يشركون بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان
كانه قال اذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم لقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم
مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها
من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ الوعيد وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على
ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون
اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل
انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العايد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجهول له محذوف للعلم
به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها الهة
حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما
يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى
الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى

١٧ نجاشم س

أخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه
كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من
سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل أم
يدسه في التراب أم يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ألا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة
السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث و
وأدهن خشية الإملاق ولله المثل الأعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة
الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى
سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى
الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون
اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة وكالاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف
ألسنتهم الكذب مع ذلك أن لهم الحسنى اي عند الله لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم أن لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وأنهم
مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من
الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فأصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين
لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي

ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب
اليم في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من
التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان
على محل لتبين فانهما المنزل بخلاف التبين والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد
موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر و
انصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف
لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من
بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض
الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها
كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن
واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام
المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة
معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية و
المرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم
الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها
فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع
فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به
اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها و
الثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي

متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره او للتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا
يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا
للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون
اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف
المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة
بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم
وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها
وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى
القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكره بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان
منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك و
قرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من
كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي تحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله
وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به
عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة

لانها

العطر فيستحيل في باطنها عسلا ثم يقئ ادخارا للشتاء ومن زعم ان النحل تاكلها ملتقط بافواهها
اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها
شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف
بين النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير
الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون
للتعظيم وعن قتاده ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال
اسقه العسل فيذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق رسول الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفا الله فبرا فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين
الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ويحملها عليه
والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني
الهرم الذي يشابه الطفولة في نقصان القوة والعقل وقيل تسعون سنة وقيل خمس وسبعون
لكيلا يعلم بعد علم شيا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله
عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى
الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير
ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم خلاف ذلك فما الذين فضلوا
برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم
الذي جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة
لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم
فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله

عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء
لتضمن الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا اى من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوا من
آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في
الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربايب ويجوز
ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذايذ
ومن للحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو
ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوايب وبنعمت الله هم
يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما
للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا
يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا
منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه
وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا
تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم
فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم وعظم جرمكم فيما
تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم من عبادة عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم
كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم
كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز من التصرف راسا ومثل نفسه
بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية من الاصنام التي هي اعجز

العجز المخلوقات وبين الله القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق و
تقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهار من موصوفة لتطابق عبدا
وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد
لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى
غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على موليه عيال وثقل
على من يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه
بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يأت بخير بنجح وكفاية
مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس
بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم
لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما
يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر
ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن
محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض و
ما امر الساعة وما امر قيام القيامة في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من
اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك
الحركة في الآن الذي يبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير
او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه هو
كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة
كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ
الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق
لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة

تعقلون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات معا
بينها بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها
لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأه ابن
عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن الا
الله فان ثقل جرمها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لآيات
تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه و
امساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى
مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول
المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها
من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم
ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وضعها او ضربها وقرأ الحجازيان يوم ظعنكم بالفتح وهو
لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز و
اضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى
مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم
والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن
وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء
باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن
والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع

الرجوع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله
التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها
وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة و
اكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل
اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان و
الكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة
ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء
عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف
تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم
التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله
او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام
به حينئذ في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم شفعاؤهم و
يشفعون لهم حين كذبوا وتبرءوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع
عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا
يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم

يعني بنبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كا
لتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل و
التبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية
كما قال عليه السلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن
الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما
ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم
فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه
الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع آية في القرآن
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق
عليه ان تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك
الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون
واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل
النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها كيدها
توثيقها بذكر الله ومنه وكد واكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في
نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات

طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت
فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن
تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ حال من
الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها
متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ
هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ بان يكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي
حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ الضمير لان يكون امة لانه بمعنى
المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون
بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وَلَيُبَيِّنَنَّ
لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقة على الاسلام وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بالخذلان
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بالتوفيق وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سؤال تبكيت ومجازاة وَلَا
تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي
فَتَزِلَّ قَدَمٌ اي عن محجة الاسلام بَعْدَ ثُبُوتِهَا عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة
على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وَتَذُوقُوا السُّوءَ العذاب في الدنيا بِمَا
صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة
وارتد جعل ذلك سنة لغيره وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الآخرة وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ولا تستبدلوا
عهد الله وبيعة رسوله ثَمَنًا قَلِيلًا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب
في الآخرة هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مما يعدون إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان كنتم من اهل العلم والتمييز
مَا عِنْدَكُمْ من اعراض الدنيا ينقضي ويفنى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ من خزائن رحمته بَاقٍ لا ينفد
وهو تعليل للحكم السابق يَنْفَدُ ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ

صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون
بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من
ذكر او انثى بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في
استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا
يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا
بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم
يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فا
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم
المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان
الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالغفلة
بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما
والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه
وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف
قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب
اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم و

ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب.
قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم
الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزل تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب
المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة. ليثبت الذين آمنوا على الايمان
بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت
عقايدهم واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان
على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ
ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا غلاما رومي
لعامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقران التورية والانجيل
وكان الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن
عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر
وقرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح لسان اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي
مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين
احدهما ان ما سمعه منه كلام اعجمي لا تفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل
فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه
اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ
مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق في تلك العلوم مدة
متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض كلمات اعجمية لعلهما
لم يعرفا معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او
الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد
ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون

بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله
والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد
ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتداء خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب من الله ويجوز ان ينتصب بالذم و
ان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه
دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب
به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا
اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ
بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام
واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكى فجعل
رسول الله يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم
بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى فقال
انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد
ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدى القوم الكافرين فى علمه
الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون فى

قوله دلت عليه

في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة
هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال
هؤلاء عن اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره
مولاه جبرا حتى ارتدا ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق
ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او اذكر تجادل عن نفسها
تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما
جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة
لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم
الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم
من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له
وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر
الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار
بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلوات الله عليه و
الضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون
اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رز
الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا عن صنع الجاهلية ومذاهبها

عملت

قوله دلت عليه

في الاسلام

قكم

الفاسق واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد
عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة
الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام
بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت
مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا مما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض إن
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح
وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب
اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم و
بين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم إن ربك للذين عملوا السوء
بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة
الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا إن ربك من
بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة إن إبراهيم كان امة

أمة لكماله واستجماعه فضايل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة وليس من الله بمستنكر ان
يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك و
الطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان ساير الناس كفارا وقيل هي فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفا دة
ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قايما باوامره حنيفا مائلا
عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا
لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في
السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين من اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين
ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول
ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد
الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة
الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي
على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا
له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او المجازاة كل فريق بما يستحقه ادع
من بعثت اليه الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح
للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابيات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن

بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي
هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية
والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه
والى من تابعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث
انها يتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر
والضلال وقيل انه عليه السلام لما راى حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله
بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وقيل دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس
ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله
ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به
بقوله واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على
المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير
في ضيق وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله
بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي
مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل
علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى
وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي

اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عليه السلم قال بينا انا
فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق او من الحرم
وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روى انه كان نايما فى
بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به و
سعى رجال الى ابى بكر رضى الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له
فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدو
الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل
الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه او جسده والاكثر على انه اسرى بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه
والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض
مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد
برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر
ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط
الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا
كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقا
وصرف من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقوال محمد عليه السلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا اى على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل
وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيرى ذرية من

ن

طرفى م

ماتهم

حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله
عليهم بانجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا
يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على
الاقتداء وقيل الضمير لموسى عليه السلم وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا
في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت
مجرى القسم مرتين افسادتين اولهما مخالفة احكام التورية وقتل اشعيا وقيل ارميا وثانيهما
قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلم وقتل ارميا ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرون عن
طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا
بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل
نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ
بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم و
حرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية
وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي
الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار
لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت
فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع
الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكر باللام ازدواجا فاذا جاء وعد
الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد و

والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضد قراءة الكسائي بالنون وقرئ ليسوءنّ بالنون
والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا و
اللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا
وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله
عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف اسمه جودرز وقيل خردوس
وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل
منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلم فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدا عسى ربكم
ان يرحمكم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا
بتكذيب محمد عليه السلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب
الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون للخروج
منها ابد الاباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة
او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدعو الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر
على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان
الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح
الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلم دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته
لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انا بشر فمن دعوت
عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هو الحق من عندك

فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر
الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اى الآية التى هى الليل بالاشراق
والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او
مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله لقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل
الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر
جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيا فشيا الى المحاق وجعل آية النهار التى
هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوءها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا
فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما
عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شىء تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا فصلناه
تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش
الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطاير وبروحه استعير لما هو سبب
الخير والشر من قدر الله وعمل العبد فى عنقه لزوم الطوق فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا
هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا و
لذلك يفيد تكررها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطاير
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ يخرج اى الله عز وجل يلقاه منشورا
بكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر
يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تميز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد
لانه يكفى المدعى ما اهمه وتذكيره على ان الحسب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجى اهتداؤه غيره ولا يردى
ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما
تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع ويلزمهم الحجة

ويلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً واذا
تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد
المريض ان يموت ازداد مرضه شدة أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا متنعميها بالطاعة على لسان رسول الله
بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان
فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله فَفَسَقُوا فِيهَا كقولك امرته
فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم
من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته
فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال
سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده
قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم إمارة
اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ يعني كلمة السابق بالعذاب لحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في
المعاصي فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وَكَمْ أَهْلَكْنَا وكثيرا
اهلكنا مِنَ الْقُرُونِ بيان لكم وتمييز له مِنْ بَعْدِ نُوحٍ كعاد وثمود وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ مقصورا عليها همه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قيد المعجل و
المعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمني ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله
حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا مطرودا من رحمة الله وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا حقها من السعي وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون
بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وَهُوَ مُؤْمِنٌ ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا

تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله
مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا اى كل واحد من الفريقين و
التنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الآنفة مدد السالفة هولاء
وهولاء بدلا من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اى
التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع
الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة
حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولك قعدت عن الشىء اذا عجزت عنه مذموما مخذولا
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه
لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة و
يجوز ان يكون مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته
لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة
حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او
بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك فلا
تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر
وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع
وحفص للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا
وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذاء
قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٢٨

وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يوذيهما بعد الامر بالاحسان بهما وَلَا
تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اصوات وَقُلْ
لَهُمَا بدل التأفيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلا لا شراسة فيه وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ
تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت و
قرة اذا اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او
اراد جناحه لقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف
حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد و
النعت ومنه ذلول مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا يكتفت برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رحمة مثل رحمتهما علي
وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان
ذلك وهما يحبان بقاءك وانت يفعل ذلك وانت تريد موتهما رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ
من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة و
استثقالا إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ قاصدين الصلاح فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ للتوابين غَفُورًا
ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية وتقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما
لكل تايب ويندرج فيه الجاني على ابويه التايب من جنايته لوروده على اثره وَآتِ ذَا الْقُرْبَى
حَقَّهُ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا
محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى اقارب الرسول عليه السلم وَالْمِسْكِينَ وَ
ابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف و
اصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف
قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقائهم واتباعهم لانهم

يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روى انهم كانوا ينحرون الابل ويياسرون عليها
ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات وكان
الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان
اعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من
الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح
لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم و
الميسور وهو من اليسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم
بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما
الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير
محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا
رسول الله عليه السلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع
قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم
سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشية التابعة
للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم
سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان البسط والقبض من امر
الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة
ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان
يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم
هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم و
اياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع و

درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا
فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك

والخطاء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرا ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ
يضاد الصواب وقيل لغة كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء بالمد والكسر
وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص
حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد
و خطأ بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وهو الغصب على الابضاع المؤدي
الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى
ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما
غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا
تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان
القتل عمدا عدوان فان الخطا لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من يحق
قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد
الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا
علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله
وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته
واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا
مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ
اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله
من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد
ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه او يسال العهد لم نكثت
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد
كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان
السوي وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب و

وبئس طريقا طريقه

وحفص

واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة
والكسائي بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل
اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة
ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع
اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان
قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة
الزور ويؤيده قوله عليه السلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي
بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجرى مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة
عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث
انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان
عنه مسؤلا في ثلثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه
ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند
الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسال صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما
يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مواخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال
وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم
بالمختال وتعليل للنهي فان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك
اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات
مامورات ومناهي وقرا الحجازيان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى
ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على

على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان
او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المرضي لا المقابل المراد لقيام القاطع على ان
الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك
من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره
للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله
او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه ما هو عائدة الشرك في قوله اولا ولا
تجعل مع الله في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم في نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله و
الهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بناتا
لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه
وهي خاصة بعض الاجساد لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم
بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا
وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير وحفص بالياء
فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك
سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لتقربه لعلمهم بقدرته و
عجزهم لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى
عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو
كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح

المقابل

له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه مما هو
من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم
الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم
تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ
والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر وابو بكر تسبح بالتاء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا
لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا
يحجبهم عن فهم ما تقراه مستورا عليهم اذا ستره كقوله وعده ماتيا وقولهم سيل مفعم بمعنى ممتلئ
او مستورا عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا
ما انزل اليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا
له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه
قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان
القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى
واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون
جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك
مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع
الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر
وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا

الى طعن يوجه فيها فتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما
بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون
لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او
حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها
فان قدرته تعالى لا يقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة
وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم
فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو
آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره
والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء
والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة بحمده
حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون
سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم
الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون
من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا
يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم
تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم الى الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا
في ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم

بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى
داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله
وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول
عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله
ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة
بالضم فهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه
ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا
يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك
منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون
الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله
الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كساير العباد فكيف يزعمون
انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان
من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب مسطورا مكتوبا وما منعنا ان
نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون
الا تكذيب الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك و
استوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن
ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة
بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فظلموا
انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اي بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب
المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة

الاخرة فان امرمن بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول
محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته
او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى
لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان
فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه
دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤياها فى وقعة بدر
لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكانى انظر الى مصارع القوم هذا
مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بنى امية
يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا
كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث فى ايامهم والشجرة الملعونة فى القرآن عطف
على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم يحرق بالحجارة
ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من يقدر ان يحمى وبر السمندل من ان تاكله النار و
احشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة
لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها فى اصل
الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا و
قد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا
الا عتوا متجاوزا الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع
الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة
الانكار قال ارايتك هذا الذى كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا
مفعول اول والذى صفة والمفعول الثانى محذوف لدلالة الصلة عليه والمعنى اخبرنى عن هذا
الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على لئن اخرتنى الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام

موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا
لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك
وانما علم ان ذلك متسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير
او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد و
تخلية بينه وبين ما سولته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم
فغلب المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم
من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم
ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من
الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عم
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على
من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا
حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ
رجالك ورجالك وشاركهم فى الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما
لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى
والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد
الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرام الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان
عبادى يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم
ليس لك عليهم سلطان اى على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة
منك على الحقيقة ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله الربح
وانواع الامتعة التى لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه
وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون

ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا
تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر
اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة عطاء فتى تمكن فى المعالى
فاعرض فى المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض أفأمنتم الهمزة فيه للانكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر
بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او
يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى
ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء
لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثم
لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه فى البحر تارة
اخرى بخلق دواع تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشئ
الا قصفته اى كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم
او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد
كرمنا بنى آدم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق و
الاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعة
واتساق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر
دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه
يرفعه اليه بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او
حملناهم فيهما حتى لم نخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة
والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده و
المسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما
دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا

او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة
لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في مدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا
به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب
كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم و
قيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح
اولاد الزنى فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا
وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة و
الضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله
اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه
الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني
للتفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كقولك اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف
لفظا وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر و
ان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني و
قيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي
الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك
من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم
لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن

تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق
الله وحفظه إِذًا لَأَذَقْنَاكَ اى لو قاربت لاذقناك ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ اى عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل
الكلام عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه ثم اضيف كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب
الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا يدفع العذاب عنك وَإِنْ كَادُوا و
ان كاد اهل مكة لَيَسْتَفِزُّونَكَ ليزعجونك بمعاداتهم مِنَ الْأَرْضِ ارض مكة لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ
خَلْفَكَ ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إِلَّا قَلِيلًا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء
فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت ثم قتل منهم بنو قريظة و
اجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن معطوفا على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك لا
على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى و
يعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه وَلَا
تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا اى تغييرا أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتانى جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدالك لان يده لا تستقر
وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان
الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها فى لثلاث خلون إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ الى
ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وَقُرْآنَ الْفَجْرِ وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها
نعم لو فسر بالقراءة فى صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم

الذى هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة
المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبداء الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت
يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة
لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور
انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره
بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك
مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلنى اى فى القبر مدخل
صدق ادخالا مرضيا واخرجنى اى منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد
ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل
ادخال الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى
فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرنى على من
خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على
الدين كله ليستخلفنهم فى الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من
زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل
مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة فى عين واحد واحد منها فيقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من
صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل
انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف
ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض

أعرض من ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر وناء على القلب او على
انه بمعنى نهض وإذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله قل كل
يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الضلالة والهدى او جوهر روحه
واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد
فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان
ويدبره قل الروح من أمر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء
جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثره الله
بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين
لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك
وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تستفيدونه
بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية مما هو من الضروريات المستفادة من
احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا
من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه الا بعوارض
عما يلتبس فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا
ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق
والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي
لا نهاية لها قليل ينال بها خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي
أوحينا إليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى
إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من

يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا إلا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله إن فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليك وابقائه
في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن
النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو
جواب قسم محذوف دل عليه الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسالة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم
كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا
كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم
يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون
ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله
تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه
ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة
وابو بكر ونافع وغيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر او فعل
بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا
لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف
الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من
زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك و

وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا كساير الناس
رسولا كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلايم حال قومهم
ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب
المجمل اما التفصيل فقد ذكر في ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بايديهم ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم
الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم
هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة يمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله
بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين
فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس
فعامتهم عماة من ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس
وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي
او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه
كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها
او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لا يستبصروا
بالايات والعبر وتصامّوا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت
سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم

فتعود ملتهبة متسعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على
الاعادة والافنا واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان ذلك اشارة الى ما تقدمه من عذابهم
اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب
فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده
كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفايدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة
على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا
ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة
الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة
الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربى ولا تمشوا ببريء الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يديه ورجليه فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل
الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الاخرة من السعادة والشقاوة
قوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق
بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او

او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او ليتسلى نفسك او تعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا
على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين و
طمانينة القلب وعلى هذا كان نصبا بآتينا او باضمار نخبرك على انه جواب لامر او باضمار اذكر على
الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد
علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب
السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني
لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا وشتان ما بين الظنين فان ظن مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان لا خالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى
وقومه او ينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن
معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة
او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم
نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق
الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على
الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر و
آخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف
الجار كما في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة
لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالضم
مؤلفة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن

لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ تعليل
له اى لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قروا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين الحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل
اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء
عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القرآن يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثه محمد عليه السلام
على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا عن خلف الوعد إِنْ
كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا انه كان وعده كاينا لا محالة وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ كرره لاختلاف
الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن
حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام
فيه لاختصاص الخرور به وَيَزِيدُهُمْ سماع القرآن خُشُوعًا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قُلِ ادْعُوا
اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله
يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله فى التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على
ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى
انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير
والتنوين فى ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان
التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ
بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها وَلَا تُخَافِتْ بِهَا حتى
لا تسمع من خلفك من المؤمنين وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم

علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و
لم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل
مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا
وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد
بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة و
التحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روى انه عليه السلم اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل
على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك
لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل
له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جنابه
والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح
العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها و
انتصابه بمضمر تقديره وجعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في
ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه
ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا
شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من
لدنه صادرا من عنده وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل

على صلة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الأجر أبدا بلا انقطاع وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر
المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى
انهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى
الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما
جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين يقولونه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه
الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم

والاول ابلغ وادل على المقصود

صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها
وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام
ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله
من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ
باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القران اسفا للتأسف عليهم
او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال
باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن
زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع
منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا
لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا
عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع
متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه

انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي
الذي فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورًا
وصيدهم والقوم فى الكهف همّد او لوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل
على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم
السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدّت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة
لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل
فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم
مرّ بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الىّ بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه
قال ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك
فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فىّ فضل واصاب الناس شدة فجاءتنى ثنى
امراة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا
ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك فاتت وسلمت الىّ نفسها فلما تكشفتها وهممت
بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها اخفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها
واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان
لى ابوان همّان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث
فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين
فشق علىّ ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم
ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ أوى الفتية
الى الكهف يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف
فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ
لنا من امرنا من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين
او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على
آذانهم اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع اى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف

في قولهم بني على امراته في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق
علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من
غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد زمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق
عنه لنعلم فهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف
الزوايد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب
منا بالسيوف القوانسا نحن نقص نباهم بالحق انهم فتية شبان جمع فتى كصبي وصبية
عليك
آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن
والاهل والمال والجراة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد
قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرطا في الظلم هولاء مبتدا قومنا عطف بيانه اتخذوا
من دونه الهة خبره وهو اخبار في معنى انكار لولا ياتون هلا ياتون عليهم على عبادتهم
بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يوخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من
الديانات مردود وان التقليد فيه غير جايز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي و
اذا اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كساير المشركين
ويجوز ان يكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية
على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فاووا
الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من
امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل
الله وقرا نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض
فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رايتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت تزاور

تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيوذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله
زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرا الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب
تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف
وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
ولا يوذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق
والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه
مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه
ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شانهم
وايواؤهم الى كهف كذلك او اخبارك وقصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته
من يهدي الله بالتوفيق فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على
ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتامل فيها والاستبصار بها ومن يضلل
ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم و
كثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تاكل الارض ما يليها
من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا
وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط
ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل
العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت
منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملا
صدرك بما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية
انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك
قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما

دخلوا جائت ريح فاحرقتهم وقرا الحجازيان لمّيت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا
بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتسآلوا بينهم ليسال بعضهم
فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا انعامه
عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي
مدّة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم
وهذا انكار لآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم
الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم
الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام
القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم وردّ المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده و
حملهم له على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب
او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او
في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في
ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم ليزداد بصيرتهم اطلعنا
عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق
لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في
امكانها وان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف
لاعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة و
بعضهم يقول تبعثان معا ان يقع الخلاف ويتبين انهما تبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا
بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة ابنوا عليهم بنيانا تسكه

يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال اخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله
ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم فى اولئك المتنازعين او من المتنازعين
فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم
واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا
اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن
وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس
ثم رجعوا الى مضاجعهم فما توا فدفنهم الملك فى الكهف وبنا عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون
اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم
اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم وقيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى والعاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم
بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطايفة بعد ما حصر اقوال
الطوايف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم
رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة
للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء
اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم

فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا فلا تجادل فى شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص
عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسال احدا
منهم عن قصتهم سوال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة من غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سوال متعنت
تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله نهى تاديب من الله لنبيه حين قال اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب
الكهف وذى القرنين فسالوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق
عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى اى ولا تقولن لاجل شىء تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا
بان يشاء الله اى الا متلبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن
لك ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب
النهى واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه السلم ان شاء الله اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير
الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم
صدق ولا كذب وليس فى الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر
مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسى وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا
او اظهر دلالة على انى نبى من نبا اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب
رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعنى لبثهم فيه
احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى
مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرا حمزة
والكسائى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه هنا ان علامة الجمع فيه جبر
لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلثمائة

قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها
فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج
عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير و
كبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان
اصله ابصر الله اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له
او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو
كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من دونه من ولي متولي امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له
فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل
اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام
على انه وحي معجز امره ان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها
وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها
وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او طرفي النهار وقرا ابن
عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فتكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضا
الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى
نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين
وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف
في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا
عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان
الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف
بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى
الله قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه

بذكرنا كقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا ولا واتبع هواه
وجوابه ما مر غير مرة واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا
اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذ الوراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق
خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر
من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا
هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق
الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا
من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او
الضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في
حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما
هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن
اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم
الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة
به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان و
اكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة
على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين
نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن
رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن

وقيل

اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا و
عقارا وصرفها المؤمن فی وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل بهما اخوان من
بنی مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بساتين من اعناب من الكروم
والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما
مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا
للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ وكلا الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه
ولم ينقص من اكلها شيئا يعهد في ساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام
غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا
بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه
وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره
بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا
حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون
في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه
الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة
ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرا الحجازيان و
الشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك
لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال
له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك
ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ

الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار
على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي
ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان
الادغام وقرأه ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء
الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبر له
خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت قال انت كافر بالله
لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت
وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة
او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشية الله ان شاء
ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة
لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم
راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يجوز
ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة
مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك
حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد
به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق
عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به
كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله
حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به علاه واذا علاه
اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب
كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين
كناية عن الندم وكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة عما

على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على
يقلب يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى
لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم
تكن له فئة وقرا حمزة والكسائى بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك
او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك فى ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله
الحق النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا
وخير عقبا اى لاوليائه وقرا حمزة والكسائى بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل
هنالك اشارة الى الاخرة وقرا حمزة والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرى بالنصب على المصدر
المؤكد وقرا حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا اذكر لهم ما يشبهه الحيوة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة
كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع
فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل
من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة
من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان
لم يكن وكان الله على كل شىء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات
واعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات واعمال

الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب
خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عايدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الاخرة
ما كان يامل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها
فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم
القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من
سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى
على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر
او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو
للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر
لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا
لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في نسير كما خلقناكم اول
مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحايف الاعمال
في الايمان والشمايل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين
الهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم
ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملايم لعمله واذ قلنا للملايكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك
المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما
بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان

الشيطان زهرهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من
انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكر ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كل
تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج من امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان
الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة
افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه
وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق
بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من
توابع الخالقية والاشراك فيه يستلزم الاشراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا
للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها
غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي
لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول عليه السلام و
قرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد
من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافرين وقرأ حمزة بالنون نادوا شركاي الذين
زعمتم انهم شركاي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ و
المراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم
فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او
عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او
مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيمة وراى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها

ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من
كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء يتاتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل
وانتصابه على التميز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول
الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة
الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرا الكوفيون قبلا
بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة و
قبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور
المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق
عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو
شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي
انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزئ به ومن اظلم ممن
ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من
الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم
ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم
لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان
حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم
بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام
بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى يقال وأل اذا نجا
ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا

لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخر العذاب عنهم و
قرا ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل
كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتيه يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف
عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتيه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف
الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه
ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف منهما المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من
السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق
وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر
كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي
حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان
امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان
موسى خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا
اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون
وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب
اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته
فهو هناك فقال لفتيه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى
مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان
يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد

فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضا يوشع من عين الحيوة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر
بالمطلوب فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب
بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي
البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه آتنا
غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما
جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره
ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني
الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته
او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره
الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل
الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند
موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار والانجذاب بشراشره الى جناب
القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه ولان عدم
احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله عجبا
سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله
المضمر اي قال في اخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ
موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب
فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر
واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي و
النبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت

مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل
والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العايد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي
له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولاينافي نبوته وكونه صاحب
شريعة ان يتعلم من غيره مالم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن
ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب
فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله
عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانها مما لا يصح
ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر
وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وباطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر
لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي
لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية
اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا
خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله قال فان اتبعتني فلا تسالني عن
شيء فلا تفاتحني بالسوال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا
حتى ابتدئك ببيانه وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل
يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع
لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء المفضي
الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى
الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قال لا تواخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني
وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المواخذة
مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل
انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا

من امري بالمضايقة والمواخذة على المنسي فان ذلك تعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق
فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء
للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية و
الاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار
الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم يبلغ الحلم وانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت
نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم
بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان
القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد
جئت شيئا نكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا
بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير اول مرة
حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت
صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد
وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى
استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع من لدني بتحريك
النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني
بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اتيا اهل قرية قرية
انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما و
قرئ يضيفوهما من ضاف اذا انزله به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال
ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل

عقيل ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا
كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان
ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او
بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا تحريضا على اخذ الجعل لنتعش به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه اراد
لما رايت الحرمان ومساس الحاجة واشتغالك بما لا يعنيك لم تتمالك نفسك واتخذ افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت
واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك
الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت
اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك
شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة
اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان
وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة
بن جلندى الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله
فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف
الغصب وانما قدم للعناية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة
الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ
كل سفينة صالحة على والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا بنعمتهما لعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما
طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله

او بممالاتهما على طغيانه وكفره حبا وانما خشى ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس ان
نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان
علمت من حال الولدان ما علم عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة
من خاف سوء عاقبة ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان
يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب
والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية
فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرا نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد
وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل
وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم
المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما
في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكوتهما وما تعلق بهما من الحقوق
وقيل من كتب العلم وكان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا
الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيها على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان
بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الراي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من
ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة ولعل اسناد الارادة اولا الى
نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله و
ثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلته
رحمة من ربك وما فعلته ما رايته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك
على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة

مخلفه ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوايد هذه
القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى
يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذى القرنين يعنى اسكندر الرومى
ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين او لانه طاف قرنى الدنيا
شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان
وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال للكبش الشجاع كانه ينطح اقرانه و
اختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او
مشركو مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله انا
مكنا له فى الارض اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل
شىء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اى فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة
ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب و
ابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان
ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ
حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين
كذلك نجده فى التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش و
طعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد
وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله
قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة
وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا و

معى فى الدنيا بالقتل ويعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله وأما من آمن وعمل
صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى
ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله
المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء
الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدا والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون
التخيير اى لكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن
تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى و
سنقول له من امرنا يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع
سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مغرب الشمس يعنى الموضع الذي تطلع
الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان طلوع الشمس
فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء
فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما
وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل
الذي تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد و
الاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به
الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من
الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين بينهما سدة وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيف من ورائهما يأجوج
ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم
وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث
يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما
قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون

تمانأمره

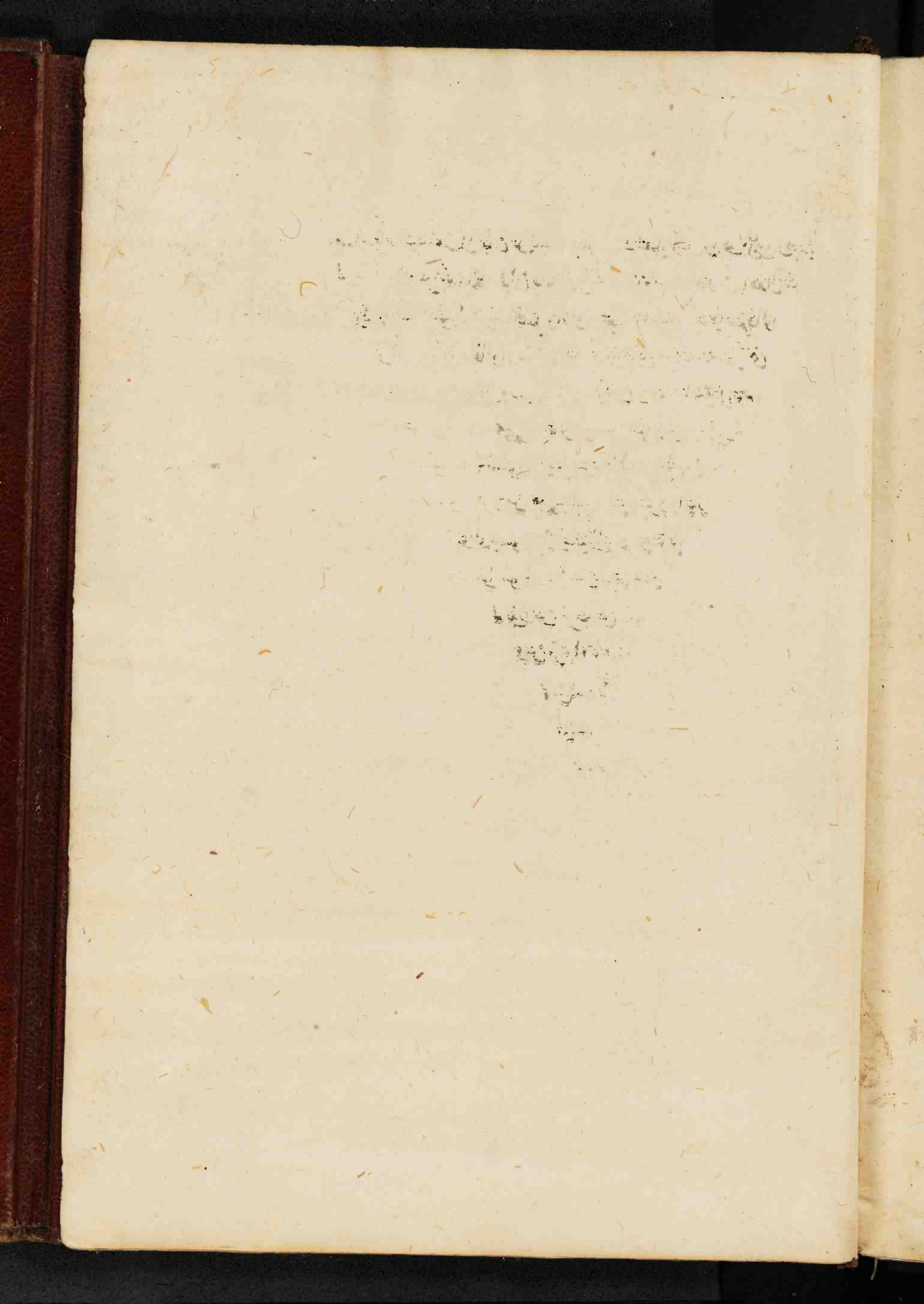
لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال
مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من
ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل
منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرا عاصم ومنع صرفهما
للتعريف والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع
قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا
ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا
وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضم السدين غير حمزة والكسائي قال
ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا
حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة اي بما اتقوى به
من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع اتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو
لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما
ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين
الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين
وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال اي قال للعملة انفخوا في
الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال اتوني افرغ
عليه قطرا اي اتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك
البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا
مفعول اتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني موصولة

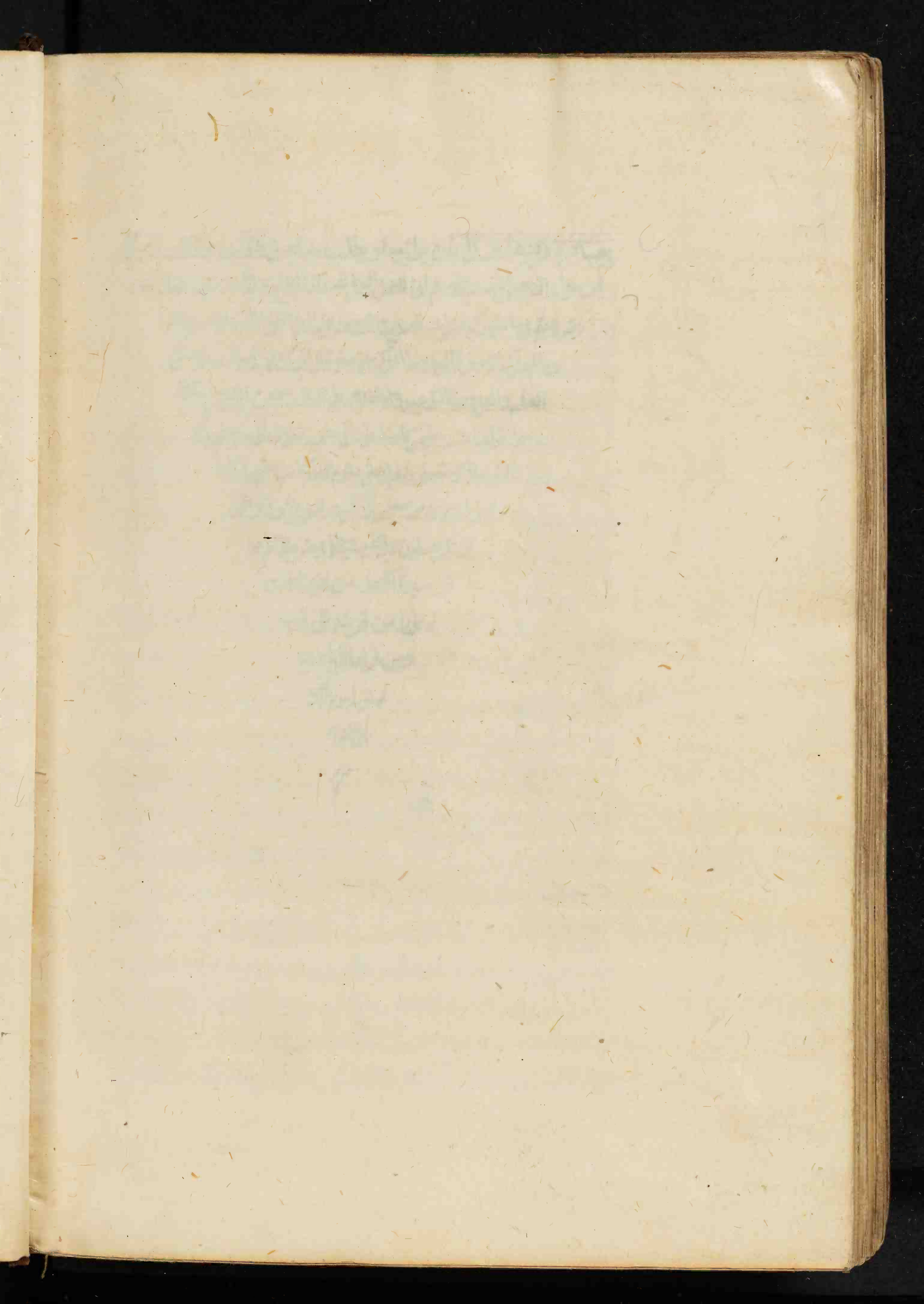
الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين
الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه
وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء و
جعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى
اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليها فاختلط و
التصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب
من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة
من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة
بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول
ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في
غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون
سمعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به
وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار
ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا
اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب
فان الصفة اذا اعتمدت على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم

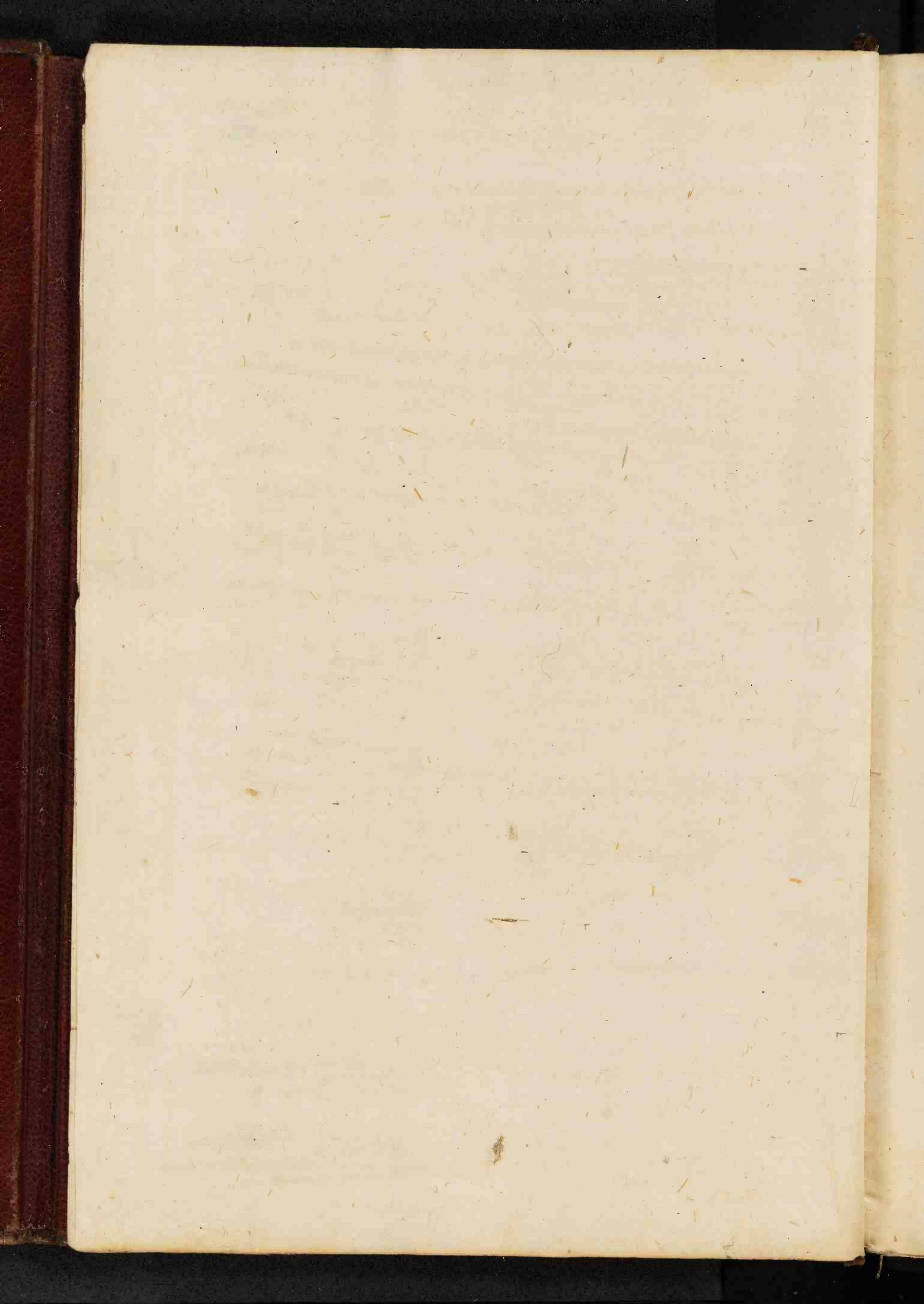
نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا نصب على التميز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع
اعمالهم الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم
خسروا دنياهم واخريهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال والجر على البدل او
النصب على الذم وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بالقرآن او بدلايله المنصوبة على التوحيد والنبوة وَلِقَائِهِ
بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ بكفرهم فلا يثابون عليها فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن
به اعمالهم لانحباطها ذَٰلِكَ الامر ذلك وقوله جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك
مبتداء والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره
وجهنم عطف بيان للخبر بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا اي بسبب ذلك إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا فيما سبق من حكم الله و
وعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خَالِدِينَ
فِيهَا حال مقدرة لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ما يكتب به وهو اسم ما تمد به الشيء
كالحبر للدواة والسليط للسراج لِكَلِمَاتِ رَبِّي لكلمات علمه وحكمته لَنَفِدَ الْبَحْرُ لنفد جنس
البحر باسره لان كل جسم متناه قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وَلَوْ
جِئْنَا بِمِثْلِهِ بمثل البحر الموجود مَدَدًا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع
ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلايل القاطعة على تناهي الابعاد و
المتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومِدَادًا بكسر الميم جمع مدة
وهو ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزوله ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
لا ادعي الاحاطة على كلماته يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وانما تميزت عنكم بذلك
فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ يأمل حسن لقائه فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ترضيه الله وَلَا يُشْرِكْ

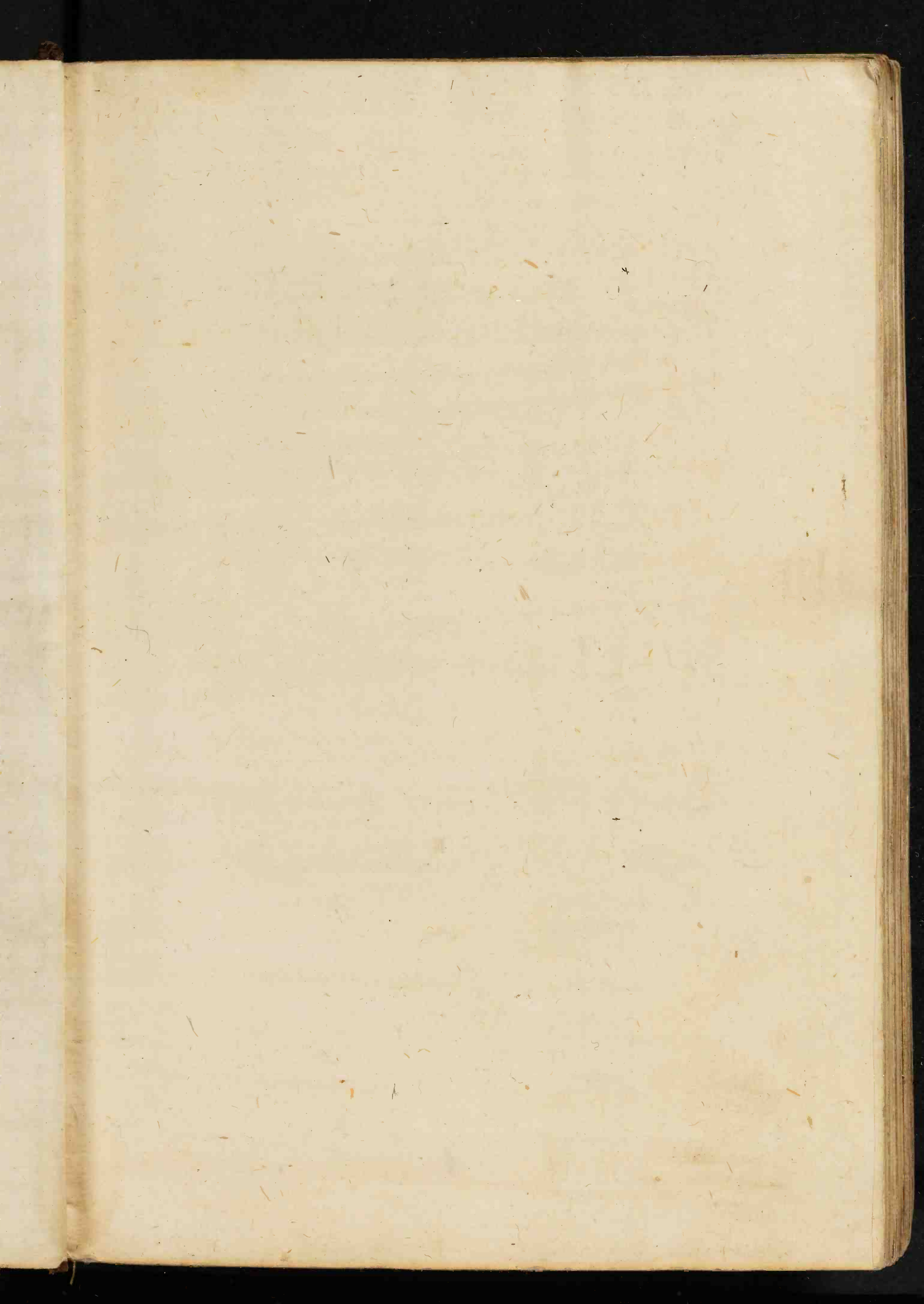
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا بان يرائيه او يطلب منه اجرا وكان جندب بن زهير قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان
الله لا يقبل ما شورك فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا والاية جامعة لخلاصة
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قراها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلالا الى مكة حشو ذلك
النور ملائكة تصلون عليه حتى تقوم فان كانت مضجعه بمكة كان
له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلم من
قرا سورة الكهف من اخرها كانت
له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قراها كلها كانت
له نورا من الارض
الى السماء

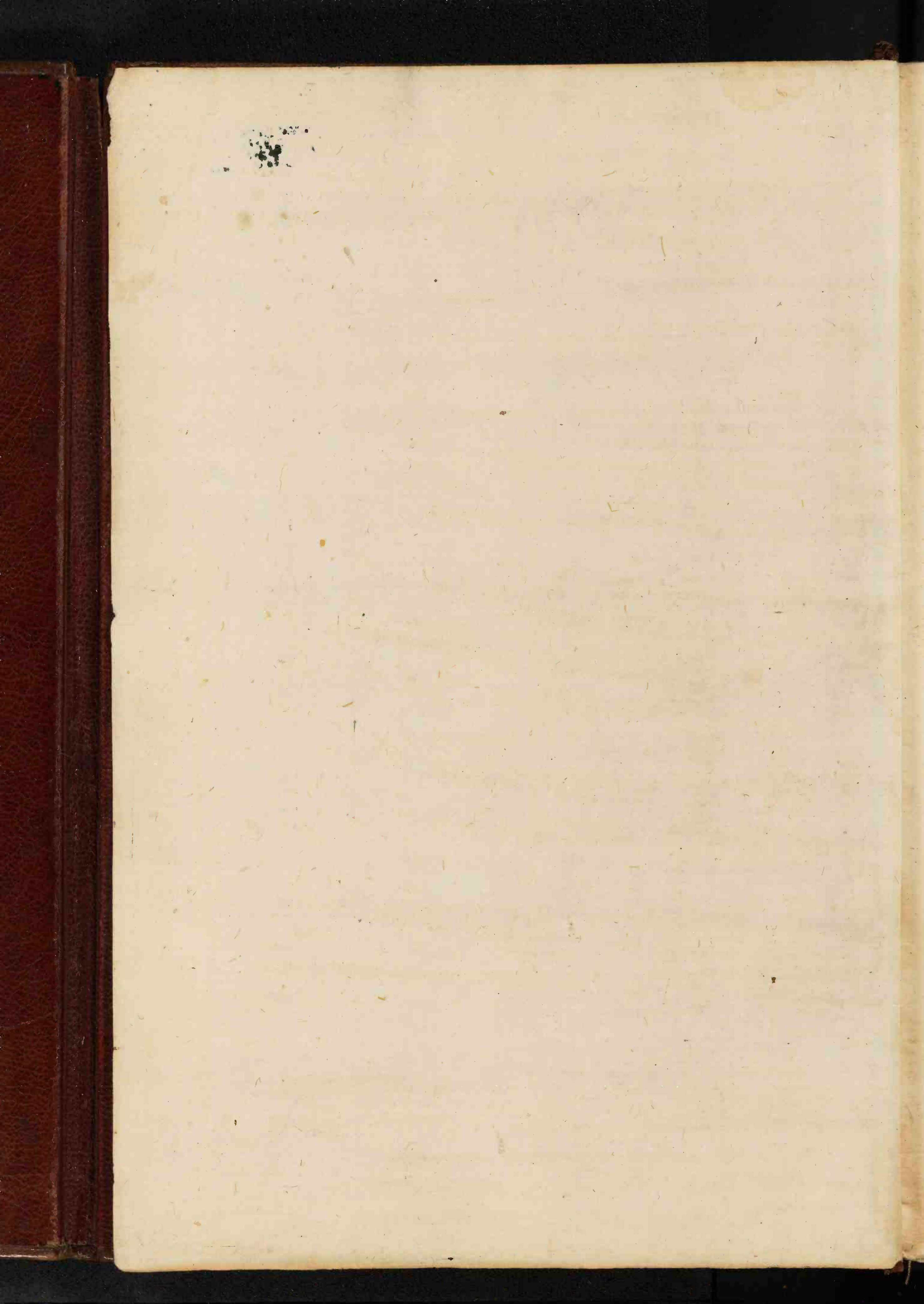
تم تم



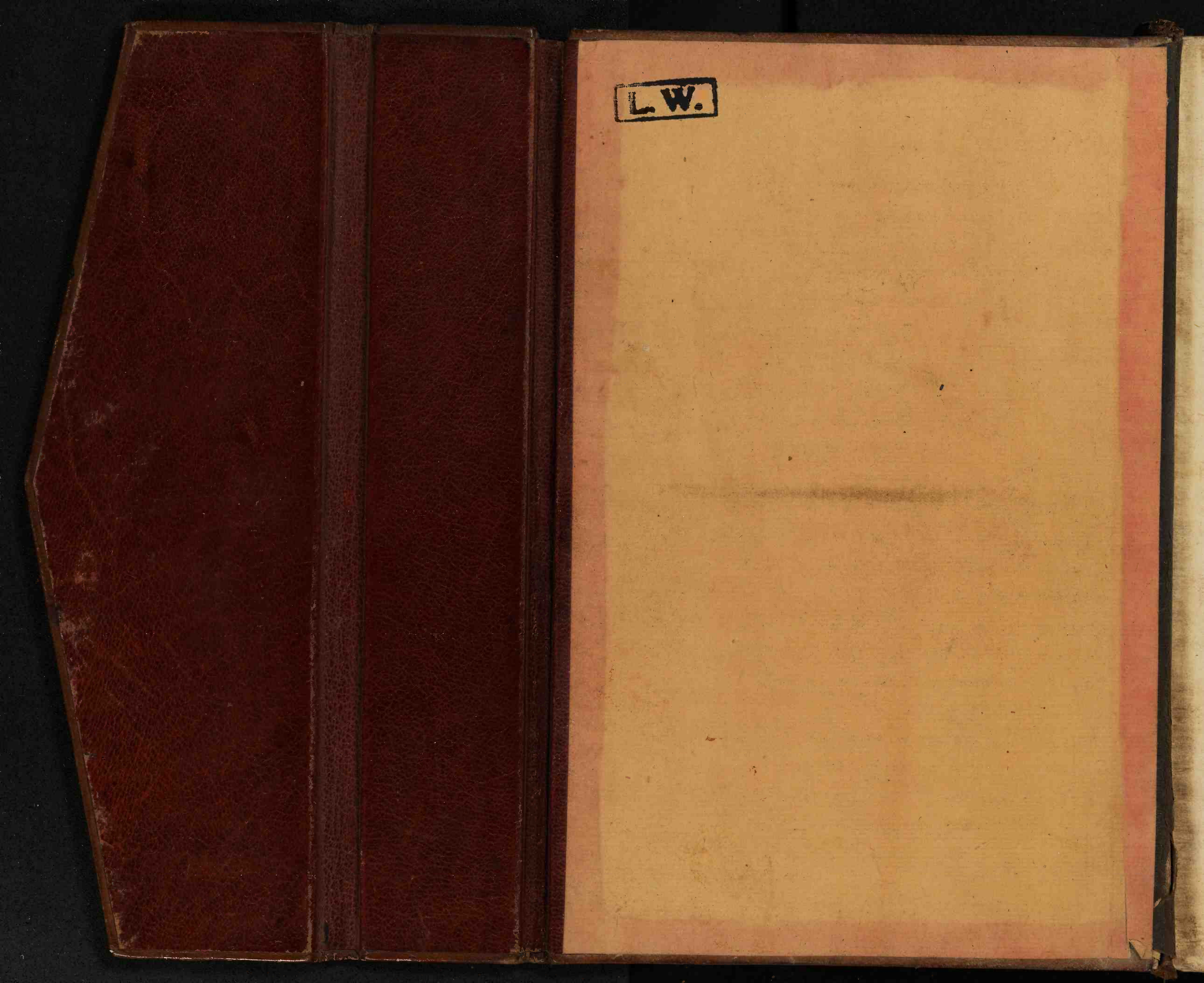








N° 13:


L. W.


83.